كتاب الأغاني

تأليف

أبي الفرج الأصفهاني

المجلد الرابع عشر

القسم ٥٣ - ٥٧

الناشر

دار الثقافة

بيروت

١٩٥٩

كتاب
الأغاني

تأليف

أبي الفرج الأصفهاني

المجلد الرابع عشر

الناشر

دار الثقافة

بيروت

١٩٥٩

بسم الله الرحمن الرحيم

المجلد الرابع عشر
من كتاب الاغاني

أخبار الحصين بن الحمام ونسبه

نسبه :

هو الحُصين بن الحُمام بن ربيعة بن مُساب بن حَرام بن وائلة بن سَهم بن مُرّة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن الرَّيث بن غطفان بن سعد بن قيس بن عَيلان بن مُضَر بن نزار .

مكانته في قومه :

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال : أخبرنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال :

كان الحصين بن الحمام سيّد بني سهم بن مرّة . وكان خُصيلة بن مُرّة وصِرمة ابن مرّة وسهم بن مرّة أمهم جميعاً حَرقفة بنت مَعنم بن عوف بن بليّ بن عمرو ابن الحاف[1] بن قُضاعة ، فكانوا يداً واحدة على مَن سواهم ، وكان حصين ذا رأيهم وقائدهم ورائدهم ، وكان يقال له : مانع الضَيم .

---

(١) الحاف ؛ أصله الحافي ، وهو مما حذفت العرب ياءه اجتزاء بالكسرة .

وفود ابنه على معاوية:

وحدثني جماعة من أهل العلم أن ابنه أتى باب معاوية بن أبي سفيان فقال لآذنه: استأذنْ لي على أمير المؤمنين وقل: ابن مانع الضيم، فاستأذن له؛ فقال له معاوية: ويحك! لا يكون هذا إلا ابن عُروة بن الوَرد العبسي، او الحصين ابن الُحمام المرّي، أدخِله. فلما دخل اليه قال له: ابن من أنت؟ قال: أنا ابن مانع الضيم الحصين بن الحمام؛ فقال: صدقت، ورفع مجلسه وقضى حوائجه.

أخبرني ابن دريد قال: أخبرنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال:

كان ناس من بطنٍ من قضاعة يقال لهم: بنو سلامان بن سعد بن زيد بن الحاف بن قضاعة. وبنو سلامان بن سعد إخوة عُذرة بن سعد، وكانوا حلفاء لبني صرمة بن مرّة ونزولاً فيهم. وكان الُحرقة وهم بنو حُميس بن عامر بن جهينة حلفاء لبني سهم بن مرّة، وكانوا قوماً يرمون بالنبل رمياً سديداً، فسمُّوا الحرقة لشدة قتالهم. وكانوا نزولاً في حلفائهم بني سهم بن مرّة. وكان في بني صِرمة يهوديٌّ من أهل تَيماء يقال له جُهينة بن أبي حَمَل. وكان في بني سهم يهودي من أهل وادي القرى يقال له غصين بن حيّ، وكانا تاجرين في الخمر. وكان بنو جوشن – أهلُ بيت من عبد الله بن غطفان – جيراناً لبني صِرمة، وكان يتشاءم بهم ففقدوا منهم رجلاً يقال له خُصيلة كان يقطع الطريق وحده. وكانت أخته وإخوته يسألون الناس عنه، وينشدونه في كل مجلس وموسم. فجلس ذات يوم أخ لذلك المفقود الجوشني في بيت غُصين بن حيّ جار بني سهم يبتاع خمراً، فبينما هو يشتري إذ مرّت أخت المفقود تسأل عن أخيها خصيلة، فقال غُصَين:

تُسائل عن أخيها كلَّ ركبٍ وعند جُهينة الخبر اليقينُ

فأرسلها مثلاً، يعني بجهينة نفسه. فحفظ الجوشني هذا البيت، ثم أتاه من الغد فقال له: نشدتُك الله ودينك هل تعلم لأخي عِلماً؟ فقال له: لا وديني لا أعلم. فلما مضى أخو المفقود تمثّل:

لعمرُكَ ما ضلّت ضلالَ ابن جوشنٍ حصاةٌ بليلٍ أُلقيتْ وَسطَ جَندلِ

— أراد أن تلك الحصاة يجوز أن توجد، وأن هذا لا يوجد أبداً — فلما سمع الجوشني ذلك تركه، حتى اذا أمسى أتاه فقتله. وقال الجوشني:

طعنتُ وقـد كاد الظلام يُجِنُّني[1] غُصَينَ بن حيٍّ في جوار بني سهمِ

فأُتِيَ حصين بن الحمام فقيل له: إن جارك غصيناً اليهودي قد قتله ابن جوشن جار بني صِرمة. فقال حصين: فاقتلوا اليهودي الذي في جوار بني صرمة، فأتوا جهينة بن أبي حمل فقتلوه. فشدّ بنو صرمة على ثلاثة من حُميس بن عامر جيران بني سهم فقتلوهم. فقال حصين: اقتلوا من جيرانهم بني سلامان ثلاثـة نفرٍ، ففعلوا. فاستعر الشرُّ بينهم. قال: وكانت بنو صرمة أكثر من بني سهم رَهط الحصين بكثير. فقال لهم الحصين: يا بني صرمة، قتلتم جارنا اليهودي فقتلنا به جاركم اليهودي، فقتلتم من جيراننا من قضاعة ثلاثة نفرٍ وقتلنا من جيرانكم بني سلامان ثلاثة نفر، وبيننا وبينكم رَحم ماسّة قريبة، فمُروا جيرانكم من بني سلامان فيرتحلون عنكم، ونأمر جيراننا من قُضاعة فيرتحلون عنا جميعاً، ثم هم أعلم. فأبى ذلك بنو صرمة، وقالوا: قد قتلتم جارنا ابن جوشن، فلا نفعل حتى نقتل مكانه رجلاً من جيرانكم؛ فإنك تعلم أنكم أقلُّ منّا عدداً وأذلّ، وإنما بنا تعزّون وتُمنعون. فناشـدهم الله والرّحم فأبَوا. وأقبلت الُخضر[2] من محارب، وكانوا في بني ثعلبة بن سعد، فقالوا: نشهد نَهبَ بني سهم اذا انتهبوا فنصيب منهم. وخذلتْ غطفان كلُّها حصيناً، وكرهوا ما كان من مَنعه جيرانه من قضاعة. وصافَهم حصينٌ الحرب وقاتلهم ومعه جيرانه، وأمرهم ألا يزيدوهم على النَّبل، وهزمهم الحصين، وكفّ يده بعد ما أكثر فيهم القتل. وأبى ذلك

(١) أجنه: ستره.

(٢) في الاصول «الحضر» بالحاء؛ وهو تصحيف. والصواب الخضر، وهم بطن من قيس عيلان سموا بذلك لخضرة ألوانهم.

البطن[١] من قضاعة أن يكفُّوا عن القوم حتى أثخنوا فيهم . وكان سِنان بن أبي حارثة[٢] خذّل الناسَ عنه لعداوته قضاعة ، وأحبّ سنان أن يهبّ الحيّان من قضاعة ، وكان عيينة بن حِصن وزبّان بن سيّار بن عمرو بن جابر ممن خذّل عنه أيضاً . فأجلبت بنو ذبيان على بني سهم مع بني صرمة ، وأجلبت مُحارب بن خصفة معهم . فقال الحصين بن الحمام في ذلك من أبيات :

شعره في لوم بني عمه على تجردهم لقتاله :

ألا تقبلون النّصف منّا وأنتمُ ... بنو عمنا ! لا بلّ هامكمُ القطرُ[٣]
سنأبى كما تأبون حتى تلينكم ... صفائح بُصرى والأسنّة والأصر[٤]
أيُؤكلُ مولانا ومولى ابن عمنا ... مُقيمٌ ومنصورٌ كما نصرتَ جسر[٥]
فتلك التي لم يعلم الناس أنني ... خنعتُ لها حتى يغيّبني القبر
فليتكم قد حال دون لقائكم ... سنون ثمانٍ بعدها حججٌ عَشر[٦]
أجدّيَ لا ألقاكمُ الدهر مرّةً ... على موطنٍ إلا خدودكمُ صُعر[٧]

---

(١) اي بنو حميس بن عامر .

(٢) في الاصول « أبي جارية » وهو تصحيف .

(٣) النصف : الانصاف كالنصف محركة . والهام : جمع هامة ، وهي الرأس . يدعو عليهم بألا يمطروا .

(٤) الصفائح : السيوف العريضة . بصرى : بلد بالشام من أعمال دمشق ، وتنسب اليها السيوف البصرية . الاصر : الكسر والحبس .

(٥) المولى : الحليف والجار . يعني حلفاءهم من بني حميس . ومولى ابن عمنا : يعني بني سلامان حلفاء بني عمهم صرمة بن مرة . وجسر : هم جسر بن محارب بن خصفة بن قيس عيلان . وقد تقدم في القصة : أن محارب بن خصفة أجلبت مع بني صرمة على بني سهم قوم الحصين .

(٦) حجج : جمع حجة بالكسر وهي السنة .

(٧) تقول العرب : أجدّي وأجدك ، بالنصب وبكسر الجيم وفتحها . فمن قال : أجدك بكسر الجيم فإنه يستحلفه بجده وحقيقته ، ومن فتح الجيم استحلفه بجده وهو بخته . وصعر : جمع أصعر ، وصف من الصعر بالتحريك وهو ميل الخد ؛ يقال : صعر خده ، اذا أماله عن النظر الى الناس تهاوناً .

إذا ما دعوا للبغي قاموا وأشرقت ... وجوههم، والرُّشد ورْدٌ له نفر [١]
فواعجبا حتى خصيلة أصبحتْ ... مواليَ عزٍّ لا تحلُّ لها الخمر!

— قوله: موالي عزٍّ، يهزأ بهم. ولا تحلّ لهم الخمر، أراد حرَّموا الخمر على أنفسهم كما يفعل العزيز، وليسوا هناك —:

أَلمَّا كشفنا لَأْمة الذلّ عنكمُ ... تجرَّدت لا برٌّ جميلٌ ولا شكر [٢]
فإن يكُ ظنّي صادقاً تجزِ منكمُ ... جَوازي الإله والخيانة والغدر [٣]

قال: فأقاموا على الحرب والنزول على حكمهم، وغاظتهم بنو ذبيان ومحارب بن خصفة. وكان رئيس محارب حميضة بن حَرملة. ونكصت عن حصين قبيلتان من بني سهم وخانتاه، وهما عدوان وعبد عمرو ابنا سهم، فسار حصين، وليس معه من بني سهم إلّا بنو وائلة بن سهم وحلفاؤهم وهم الحُرقة، وكان فيهم العدد، فالتقَوْا بدارة موضوع، فظفر بهم الحصين وهزمهم وقتل منهم فأكثر. وقال الحصين بن الحُمام في ذلك:

جزى الله أفناء العشيرة كلَّها ... بدارة موضوعٍ عُقوقاً ومأثما [٤]
بني عمنا الأدنَين منهم ورهطنا ... فزارة إذ رامت بنا الحرب مُعظما [٥]
ولمَّا رأيت الودّ ليس بنافعي ... وإن كان يوماً ذا كواكبَ مُظلما

(١) النفر: الجماعة يتقدمون في الامر.

(٢) اللأمة: الدرع. يريد لباس الذل. تجرد للأمر: جدّ فيه، اي جددت في قتالنا.

(٣) الجوازي: الجزاء، جمع جازية، مصدر على فاعلة.

(٤) الافناء من الناس: الاخلاط، واحدها فنو بالكسر أو فنا كعصا. ودارة موضوع: موضع بين ديار بني مرة وديار بني شيبان.

(٥) أي جزى الله بني عمنا معظماً أي أمراً معظماً.

صبرنا وكان الصبر منّا سجيّةً بأسيافنا يقطعن كفا ومعصما
نُفلّق هاماً من رجالٍ أعزةٍ علينا وهم كانوا أعقّ وأظلما
نطاردهم نستنقذ الجرد بالقنا ويستنقذون السَّمهريَّ المقوَّما[١]

— نستنقذ الجرد ، أي نقتل الفارس فنأخذ فرسه . ويستنقذون السمهريّ وهو القنا الصلب ، أي نطعنهم فتجرّهم الرماح —

لَدُنْ غدوةٍ[٢] حتى أتى الليل ما ترى من الخيل إلّا خارجياً مُسوَّما[٣]
وأجرد كالسرحان يضربه الندى ومحبوكةً كالسِّيد شقّاء صِلدِما[٤]
يطأن من القتلى ومن قصدِ القنا خباراً فما يجرين إلا تقحُّما[٥]
عليهنّ فتيانٌ كساهم مُحرِّقٌ وكان اذا يكسو اجاد وأكرما[٦]
صفائحَ بُصرى أخلصتها قيونُها ومُطَّرداً من نسج داود مُبهما[٧]

---

(١) الجرد : جمع أجرد وجرداء . وفرس أجرد : قصير الشعر رقيقه، وذلك من علامات العتق والكرم . والسمهري : نسبة الى سمهر ، وهو رجل كان يثقف الرماح .

(٢) الغدوة : البكرة أو ما بين صلاة الفجر وطلوع الشمس .

(٣) الخارجي هنا : كل ما فاق جنسه ونظائره . والخيل المسومة : التي عليها سمة أي علامة تعرف بها ، والمرسلة عليها ركبانها .

(٤) السرحان : الذئب ، وكذا السيد . والمحبوك : الفرس الشديد الخلق القويّ . والأشق من الخيل : ما يشتق في عدوه ويذهب يميناً وشمالا كأنه يميل في أحد شقيه، والطويل . يقال : فرس أشق ، والأنثى شقاء . والصلدم : الصلب ، والشديد الحافر .

(٥) انقصد الرمح : انكسر نصفين حتى يبين ، وكل قطعة قصدة بالكسر والجمع قصد . والخبار من الارض : ما لان واسترخى وكانت فيه أحجار . وتقحم الامر : رمى بنفسه فيه .

(٦) محرق : لقب الحارث بن عمرو ملك الشام من آل جفنة . وإنما سمي بذلك لانه أول من حرق العرب في ديارهم . فهم يدعون آل محرق ؛ وهو أيضاً لقب عمرو بن هند لانه حرق مائة من بني تميم .

(٧) القيون : جمع قين بالفتح ، وهو الحداد . مطرداً : أي ودرعاً مطرداً (والدرع قد تذكر) وأطرد الشيء : تبع بعضه بعضاً ، واطرد الامر : استقام . والمعنى تتابعت حلقاتها واتصلت ، ومبهماً : لا مأتى له ولا ثلم فيه .

جزى الله عنا عبد عمرو ملامةً وعدوان سهمٍ ما أذلَّ وألأما
فلست بمبتاع الحياة بسبّةٍ ولا مرتقٍ من خشية الموت سلّما

رثاؤه نعيم بن الحارث :

وقال أبو عبيدة :

وقتل في تلك الحرب نُعَيم بن الحارث بن عُباد بن حبيب بن وائلة بن سهل، قتله بنو صِرمة يوم دارة موضوع، وكان وادّاً للحصين فقال يرثيه :

قتلنا خمسةً ورَمَوْا نُعياً وكان القتل للفتيان زَينا
لعمرُ الباكيات على نعيمٍ لقد جلّت رزيّته علينا
فلا تبعَد نُعيمُ فكلّ حيٍّ سيلقى من صروف الدهر حَينا [١]

لومه بني حميس حين فارقوا قومه :

قال أبو عبيدة :

ثم إن بني حميس كرهوا مجاورة بني سهم ففارقوهم ومضوا، فلحق بهم الحصين بن الحمام فردّهم ولامهم على كفرهم نعمته وقتاله عشيرته عنهم، وقال في ذلك :

إنّ امرأً بعدي تبدّل نصركم بنصر بني ذبيان حقّاً لخاسرُ [٢]
أولئك قومٌ لا يهان ثويُّهم اذا صرّحت كحلٌ وهبّ الصّنابرُ [٣]

---

(١) فلا تبعد : فلا تهلك . والحين : الموت .

(٢) في البيت خرم .

(٣) الثوي : الضيف . كحل : السنة المجدبة (تصرف ولا تصرف) ويقال : صرحت كحل ، اذا لم يكن في السماء غيم . والصنابر : الرياح الباردة .

وقال لهم أيضاً :

ألا أبلـغ لديك أبا حُميسٍ وعاقبة الملامـة للمليمِ[١]
فهل لكم إلى مولًى نصورٍ وخطبكم من الله العظـيمِ
فإن دياركم بجنوب بُسٍّ إلى ثقفٍ الى ذات العظـوم[٢]

— بُسّ : بناء بنته غطفان شبَّهوه بالكعبة، وكانوا يحجونه ويعظمونه ويسمونه حرماً ، فغزاهم زهير بن جناب الكلبي فهدمه —

غدتكم في غداة الناس حُجاً غذاء الجائـع الجدع اللئيمِ[٣]
فسيروا في البـلاد وودّعونا بقحط الغيث والكلإ الوخيمِ

قال أبو عبيدة : قال عمرو :

زعموا ان المثلَّم بن رباح قتل رجلاً يقال له حُباشة في جوار الحارث بن ظالم المرّي ، فلحق المثلَّم بالحصين بن الحمام ، فاجاره . فبلغ الحارث بن ظالم ، فطلب الحصين بدم حباشة، فسأل في قومه وسأل في بني حميس جيرانه فقالوا : إنا لا نعقل[٤] بالإبل ، ولكن إن شئت أعطيناك الغنم . فقال في ذلك وفي كفرهم نعمته :

---

(١) آلام : أتى ما يلام عليه .

(٢) في القاموس المحيط : « بس : بيت لغطفان بناه ظالم بن أسعـد لما رأى قريشاً يطوفون بالكعبة ، ويسعون بين الصفا والمروة ، فذرع البيت وأخذ حجراً من الصفا وحجراً من المروة ورجع الى قومه وبنى بيتاً على قدر البيت ووضع الحجرين فقال : هذان الصفا والمروة ، فاجتزؤوا به عن الحج . فأغار زهير بن جناب الكلبي فقتل ظالماً وهدم بناءه » . وثقف وذات العظوم : موضعان .

(٣) في الاصول : « غدتكم في غدا الناس حجناً : غداء » وهو تحريف، وحجا بالضم (ويكسر أيضاً) جمع حاج مثل بازل وبزل . والجدع : السيء الغذاء .

(٤) عقل القتيل : دفع ديته .

خليليّ لا تستعجلا أن تزوّدا   وأن تجمعا شملي وتنتظرا غدا
فما لبثٌ يوماً بسائقِ مَغنمٍ   ولا سرعةٌ يوماً بسابقةٍ غدا [١]
وإن تُنظراني اليوم أقضِ لبانةً   وتستوجبا مَنّاً عليّ وتحمدا [٢]
لعمرُكَ إني يوم أغدو بصرمتي   تناهى حُميسٌ بادئين وعُوّدا [٣]
وقد ظهرت منهم بوائقُ جَمّةٌ   وأفرع مولاهم بنا ثم أصعدا [٤]
وما كان ذنبي فيهم غير أنني   بسطت يُداً فيهم وأتبعتها يدا
وأني أحامي من وراء حريمهم   إذا ما المنادي بالمغيرة ندّدا [٥]
إذا الفوج لا يحميه إلا محافظٌ   كريم المحيا ماجدٌ غير أجردا
فإن صرّحت كحلٌ وهبّت عريّةٌ   من الريح لم تترك لذي العرض مرفدا [٦]
صبرتُ على وطء الموالي وخطبهم   اذا ضنّ ذو القربى عليهم وأجمدا [٧]

الحصين والبرج بن الجلاس :

أخبرني ابن دريد قال : حدثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال :

---

(١) اللبث بالتحريك : المكث والابطاء كاللبث بفتح اللام وضمها . ويلاحظ أن هنا إيطاء .

(٢) أنظره : أخره وأمهله . واللبانة : الحاجة .

(٣) الصرمة : القطعة من الابل ما بين العشرين الى الثلاثين ؛ وقيل غير ذلك . تناهي : كف ، أي كف بنو حميس عن معاونتنا في إبل الدية ، أو معناه : تناهى بنو حميس أي نهى بعضهم بعضاً عن معاونتنا في ذلك فكفوا .

(٤) بوائق : جمع بائقة ، وهي الداهية . وأفرع بهم : نزل .

(٥) بالمغيرة : أي بالخيل المغيرة أي بركابها . وندّد : رفع صوته .

(٦) العرية : الريح الباردة . والعرض : السعة . والمرفد بفتح الميم وضمها : المعونة .

(٧) وطئه : داسه . وخطبهم : حالهم وشأنهم . المجمد : البخيل .

كان البرج بن الجلاس الطائي خليلًا للحصين بن الحمام ونديماً له على الشراب ، وفيه يقول البرج بن الجلاس :

ونَدمانٍ يزيد الكأس طيباً سقيتُ وقد تغوَّرتِ النجوم [١]
رفعتُ برأسه فكشفتُ عنه بمعرقةٍ ملامةَ مَن يلوم [٢]
ونشرب ما شربنا ثم نصحو وليس بجانبي خدّي كلوم
ونجعل عبأها لبني جُعيلٍ وليس اذا انتشوا [٣] فيهم حليم

كانت للبرج أخت يقال لها العفاطة ، وكان البرج يشرب مع الحصين ذات يوم فسكر وانصرف إلى أخته فافتضَّها ، وندم على ما صنع لمَّا أفاق ، وقال لقومه : أيُّ رجل أنا فيكم ؟ قالوا : فارسنا وأفضلنا وسيّدنا . قال : فإنه إن علم بما صنعتُ أحد من العرب أو أخبرتم به أحداً ركبت رأسي فلم تَروني أبداً ، فلم يسمع بذلك أحد منهم . ثم إن أمةً لبعض طيء وقعت الى الحصين بن الحمام ، فرأت عنده البرج الطائي يوماً وهما يشربان . فلما خرج من عنده قالت للحصين : إن نديمك هذا سكر عندك ففعل بأخته كَيت وكيت ، وأوشك أن يفعل ذلك بك كلما أتاك فسكر عندك . فزجرها الحصين وسبّها ، فأمسكت . ثم إن البرج بعد ذلك أغار على جيران الحصين بن الحمام من الحرقة فأخذ أموالهم ، وأتى الصريخ [٤] الحصين ابن الحمام ، فتبع القوم ، فأدركهم ، فقال للبرج : ما صبَّك على جيراني يا برج ؟ فقال له : وما أنت وهم هؤلاء من أهل اليمن وهم منّا . وأنشأ يقول :

(١) تغور النجم وغار : غاب .

(٢) بمعرقة : أي بخمر معرقة ؛ يقال : أعرق الشراب : جعل فيه عرقاً من الماء : أي قليلًا .

(٣) انتشى : سكر .

(٤) الصريخ هنا : المستغيث .

أنّى لك الحرقات فيما بيننا ! عنٌّ بعيدٌ منك يابن حُمام [١]
أقبلتَ تزجي ناقة متباطئاً عُلطاً تزّجيها بغير خطام

— تزجي : تسوق . علطاً : لا خطام عليها ولا زمام ، أي أتيت هكذا من العجلة — فأجابه الحصين بن الحمام :

برجٌ يؤثمني ويكفر نعمتي صمي لما قال الكفيل صمامِ [٢]
مَهلاً أبا زيدٍ فإنك إن تشأ أوردِك عُرض مناهلٍ أسدام [٣]
أوردِك أقلبةً اذا حافلتها خَوض القعود خبيثة الأخصام [٤]
أقبلتُ من أرض الحجاز بذمّةٍ عُطلًا أسوّقها بغير خطام [٥]
في إثر إخوانٍ لنا من طيءٍ ليسوا بأكفاء ولا بكرام
لا تحسبنَّ أخا العاطفة أنني رجلٌ يخبرك ليس بالعلّام [٦]
فاستنزلوك وقد بللت نطاقها عن بنت أمّك والذيول دوامي

ثم ناصب الحصين بن الحمام البرج الحرب ، فقتل من أصحاب البرج عدة وهزم سائرهم ، واستنقذ ما في أيديهم ، وأسر البرج ، ثم عرف له حق ندامه وعشرته

---

(١) أنى لك الحرقات : أي من أين لك قرابتهم . عنّ الشيء عنناً : ظهر أمامك وعرض . أي إن ما عنّ لك في هذا الشأن بعيد وباطل .

(٢) أثمه تأثيماً : قال له أثمت . الكفيل هنا : الذي لا يثبت على ظهر الدابة . وصمام كقطام : الداهية الشديدة . وصمي صمام أي زيدي يا داهية .

(٣) العرض من النهر والبحر : وسطه . مياه أسدام : متغيرة .

(٤) الاقلبة : جمع قليب وهي البئر . والاخصام : جمع خصم بالضم . وخصم كل شيء : طرفه وجانبه .

(٥) بذمة : أي بناقة ذمة أي مفرطة الهزال شبه الهالكة ، فهي مذمومة لاجل ذلك . العطل في الاصل : المرأة ليس عليها حلى ، يريد أن الناقة ليس عليها زمام .

(٦) الخبر : العلم بالشيء .

إياه فمنَّ عليه وجزَّ ناصيته وخلَّى سبيله . فلما عاد البرج الى قومه وقد سبَّهُ الحصين بما فعل بأُخته لامهم وقال : أشعتم ما فعلت بأُختي وفضحتموني ، ثم ركب رأسه وخرج من بين أظهرهم فلحق ببلاد الروم ، فلم يعرف له خبر الى الآن .

وقال ابن الكلبي : بل شرب الخمر صِرفاً حتى قتلته .

غارته على بني عقيل وبني كعب :

أخبرني ابن دريد قال : حدثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال :

جمع الحصين بن الحمام جمعاً من بني عديٍ ثم أغار على بني عُقيل وبني كعب فأثخن فيهم واستاق نعماً كثيراً ونساء ، فأصاب أسماء بنت عمرو سيّد بني كعب فأطلقها ومنَّ عليها ، وقال في ذلك :

فِدًى لبني عديٍ ركضُ ساقي ... وما جمّعتُ من نعمٍ مُراحِ [1]
تركنا من نساء بني عُقيلٍ ... أيامَى تبتغي عَقد النكاح [2]
أرُعيان الشَّويِ وجدتمونا ... أمَ أصحاب الكريهة النِطاح [3]
لقد علمتْ هوازن أنَّ خيلي ... غداة النَّعف صادقة الصَّباح [4]
عليها كلُّ أروعَ هِبرزيٍ ... شديدٍ حدُّه شاكي السِّلاح [5]

(١) النعم : الابل والشاء ، أو خاص بالابل . وأراح الابل : ردهـا الى المراح (بالضم) أي المأوى .

(٢) أيامى : جمع أيم كسيد ، وهي من لا زوج لها بكراً أو ثيباً .

(٣) الشويّ : جمع شاة .

(٤) النعف : ما انحدر من حزونة الجبل وارتفع عن منحدر الوادي ، وهو هنا موضع بعينه ، وصادقة الصباح أي الغارة في الصباح . وكانوا أكثر ما يغيرون عند الصباح ، ويسمون يوم الغارة يوم الصباح .

(٥) الاروع : من يعجبك بحسنه أو بشجاعته . والهبرزي : المقدام . وحدّه : بأسه . وشاكي السلاح : ذو شوكة وحد في سلاحه .

فكرّ عليهم حتى التقينا بمصقولٍ عوارُضها صِباحِ [١]
فأُبنا بالنِّهاب وبالسبايا وبالبيض الخرائد واللقاح [٢]
وأعتقنا ابنة العمريِّ عمرو وقد خُضنا عليها بالقداح

إدراكه الاسلام وشعره الدال على ذلك :

أخبرنا ابن دريد قال : حدثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة أنّ الحصين بن الحمام أدرك الاسلام . قال : ويدل على ذلك قوله :

وقافيةٍ غيرِ إنسيَّةٍ قرضتُ من الشعر أمثالها [٣]
شرُودٍ تلمّعُ بالخافقَينِ اذا أنشدَتْ قيل مَن قالها [٤]
وحيران لا يهتدي بالنهار من الظلع يتبع ضُلّالها [٥]
وداعٍ دعا دعوة المستغيث وكنت كمن كان لبّى لها
اذا الموت كان شجاً بالحلوق وبادرت النفس أشغالها [٦]
صبرتُ ولم أكُ رعديدةً وللصبر في الرّوع أنجى لها [٧]

---

(١) بمصقول عوارضها أي بنساء مصقول عوارضها . والعوارض : جمع عارضة ، وهي صفحة الخد . وصباح : جمع صبيحة ، أي جميلة وضيئة الوجه .

(٢) النهاب : جمع نهب ، وهو الغنيمة . والخريد والخريدة والخرود : البكر لم تمس ، أو الحيية الطويلة السكوت الخافضة الصوت المتسترة ، والجمع خرائد . واللقاح : الابل ، واحدتها لقوح كصبور .

(٣) غير إنسية : يعني أنه ألهمه إياها جنيّ .

(٤) قافية شرود : سائرة في البلاد تشرد كما يشرد البعير . وتلمع : تبرق والخافقان : المشرق والمغرب .

(٥) ظلع الرجل كمنع : عرج وغمز في مشيه .

(٦) الشجا : ما اعترض في الحلق من عظم ونحوه .

(٧) رجل رعديد ورعديدة : جبان يرعد عند القتال جبناً . والروع : الفزع .

ويوم تسعّر فيه الحروب لبستُ الى الرّوع سِربالها[1]
مُضعّفة السّرد عاديّةً وعضبَ المضارب مِفصالها[2]
ومُطّرداً من ردَينيَّة أذود عن الوِرد أبطالها[3]
فلم يبق من ذاك إلّا التقى ونفسٌ تُعالج آجالها
أمورٌ من الله فوق السماء مقادير تنزل أنزالها[4]
أعوذ بربّي من المُخزيا تِ يوم ترى النفس أعمالها
وخفّ الموازينُ بالكافرين وزلزلتِ الارض زلزالها
ونادى مُنادٍ بأهل القبور فهبوا لتبرز أثقالها
وسُعِرت النار فيها العذاب وكان السلاسل أغلالها

موته ورثاء أخيه إياه :

حدثنا ابن دريد قال حدثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال :

مات حُصين بن الحمام في بعض أسفاره ، فسُمع صائح في الليل يصيح لا يُعرف في بلاد بني مُرّة :

أَلا هلك الُحلو الحلال الُحلاحلُ ومَن عقدُه حزمٌ وعزمٌ ونائلُ[5]

— الحلو : الجميل . والحلال : الذي ليس عليه في ماله عيب . والحلاحل : الشريف العاقل — :

(١) تسعر أصله تتسعر ، أي تتقد . السربال : القميص ، وتطلق على الدرع كما في البيت .

(٢) السرد : نسج الدرع . ومضعفة : مضاعفة . وعادية : قديمة ، نسبة الى عاد . وعضب المضارب : سيفاً قاطعاً . ومفصال : مبالغة في فاصل أي ماض .

(٣) من ردينية أي من رماح ردينية ، نسبة إلى ردينة زوجة سمهر ، وكانا متقفين للرماح . ورمح مطرد الاتابيب والكعوب أي مستقيمها متتابعها .

(٤) أنزال جمع نزل كعنق وقفل ، وهو المنزل ، أي تقع مواقعها .

(٥) النائل : النوال والعطاء .

ومَن خطبه فصلٌ اذا القوم أفحموا يُصيب مرادي قوله مَن يُحاول

— المرادي : جمع مِرداة ، وهي صخرة تُردى بها الصخور ، أي تكسر —
قال : فلما سمع أخوه معيَّة بن الحمام ذلك قال : هلك والله الحصين ، ثم قال يرثيه :

اذا لاقيت جمعاً أو فئاماً فإنّي لا أرى كأبي يَزيـدا [1]
أشدَّ مهابـةً وأعزَّ ركناً وأصلب ساعـة الضَّرَّاء عودا
صفيِّ [2] وابن أمّي والمواسي اذا ما النفس شارفت الوريدا
كأنَّ مُصـدَّراً يحبو ورائي الى أَشبـاله يبغي الأسودا

المصدَّر : العظيم الصدر ، شبَّه أخاه بالأسد .

صوت

لا أرّق الله عينَيْ مَن أرقتُ له ولا مَلا مثـل قلبي قلبه ترحا
يَسرُّني سوءُ حـالي في مسرّته فـكلما ازددت سُقماً زادني فرحا

الشعر لمحمد بن يسير ، والغناء لأحمد بن صدقة ، رملٌ بالوسطى .

---

(١) الفئام : الجماعة من الناس .

(٢) الصفي : الحبيب المصافي .

أخبار محمد بن يسير ونسبه

نسبه :

محمد بن يسير الرّياشي ، يقال إنه مولّى لبني رياش الذين منهم العباس بن الفرج الرّياشي الأخباري الأديب ، ويقال إنه منهم صُلبيةً . وبنو رياش يذكرون أنهم من خثعم . ولهم بالبصرة خطّة[1] وهم معروفون بها . وكان محمد بن يسير هذا شاعراً ظريفاً من شعراء المحدثين . متقلّل ، لم يفارق البصرة ولا وفد الى خليفة ولا شريف مُنتجعاً ، ولا تجاوز بلده ، وصُحبته طبقته ، وكان ماجناً هجّاءً خبيثاً .

أخبرني عمي الحسن بن محمد قال : حدثنا ابن مهرويه قال : حدثني علي بن القاسم بن علي بن سليمان طارمة[2] قال :

قصته مع والي البصرة :

بعث إليّ محمد بن أيّوب بن سليمان بن جعفر بن سليمان – وهو يتولّى البصرة حينئذٍ – في ليلةٍ صبيحتها يوم سبتٍ ، فدخلت اليه وقد بقي من الليل ثلثه أو أكثر . فقلت له : أنِمت وانتبهت أم لم تنم بعدُ ؟ فقال : قد قضيت حاجتي من

---

(١) خطة : أرض اختطوها واتخذوا فيها مساكن لهم .

(٢) جاء في تاج العروس (مستدرك مادة طرم) : «الطارمة : بيت من خشب كالقبة ، فارسي معرّب» .

النوم، وأريد أن أصطبح[١] وأبتدئ الساعة بالشرب، وأصل ليلتي بيومي محتجباً عن الناس، وعندي محمد بن رباح، وقد وجّهتُ الى ابراهيم بن رياش، وحضرتَ أنت، فمن ترى أن يكون خامسنا؟ قلت: محمد بن يسير. فقال: والله ما عدوت ما في نفسي. فقال لي ابن رباح: اكتب الى محمد بن يسير بيتين تدعوه فيهما وتصف له طيب هذا الوقت، وكان يوم غيم، والسماء تمطر مطراً غير شديد ولا متتابع؛ فكتب اليه ابن رباح:

صوت

يومُ سبتٍ وشنبذٍ ورذاذٍ فعلام الجلوس يابن يسيرٍ[٢]؟
قم بنا نأخذ المُدامة من كـفّ غزالٍ مُضمّخٍ بالعبيرِ[٣]

– في هذين البيتين لعباسٍ أخي بحرٍ ثقيل أول بالبنصر – وبعث اليه بالرقعة، فإذا الغلمان قد جاءوا بالجوب. فقال لهم: بعثتكم لتجيئوني برجل فجئتموني برقعة! فقالوا: لم نَلقه، وإنما كتب جوابها في منزله، ولم تأمرنا بالهجوم عليه فنهجم. فقرأها فإذا فيها:

أجيء على شرطٍ فإن كنت فاعلا وإلّا فإنّي راجعٌ لا أُناظرُ
ليسرَج ليَ البرذَون في حال دلجتي وأنت بدُلجاتي مع الصبح خابر[٤]

---

(١) اصطبح: شرب الصبوح (كصبور)، وهو شرب الغداة.

(٢) شنبذ: كلمة فارسية. جاء في معجم جونسون – وهو معجم فارسي عربي انجليزي – «شنبذ = يوم السبت. جنبد = يتحرك، يحرك. جنبد = يثب، يقفز، يجري». وجاء في معجم ستنجاس: «جنبد = القفز، اللعب، تقريب عقب الرجل من الرأس» ويفهم من ذلك أن هذا اليوم يوم مرح ولعب ونشاط ونحو ذلك. والرذاذ: المطر الضعيف.

(٣) المدامة والمدام: الخمر. مضمخ: مدّهن. العبير: أخلاط من الطيب.

(٤) البرذون من الخيل: ما كان من غير نتاج العراب. الدلجة: سير السحر.

لأقضيَ حاجاتي اليـه وأنثني اليك ، وحجَّامٌ اذا جئتُ حاضرُ
فيأخذ من شَعري ويُصلح لحيتي ومن بعـدُ حمَّامٌ وطيبٌ وجامرُ [١]
ودستيجةٌ من طيِّب الراح ضخمةٌ يُروِّدنيهـا طائعاً لا يعاسر [٢]

فقال محمد بن أيوب : ما تقول ؟ فقلت : إنك لا تقوى على مطاولته ، ولكن اضمن له ما طلب . فكتب اليه : قد أُعِدَّ لك – وحياتك – كل ما طلبت فلا تبطئ ؛ فإذا به قد طلع علينا . فأمر محمد بن أيوب بإحضار المائدة ، فلما أُحضرت أمر بمحمد بن يسير فشدّ بحبل الى اسطوانة من أساطين المجلس ، وجلسنا نأكل بحذائه . فقال لنا : أيُّ شيء يخلّصني ؟ قلنا : تُجيب نفسك عما كتبت به أقبح جواب . فقال : كفُّوا عن الأكل إذاً ولا تستبقوني به فتشغلوا خاطري ، ففعلنا ذلك وتوقّفنا ، فأنشأ يقول :

أيا عجباً مِن ذا التسرّي فإنّه له نخوةٌ في نفسه وتكابُرُ [٣]
يُشارط لمّا زار حتى كأنـه مُغنٍّ مُجيدٌ أو غلام مُؤاجر
فلولا ذِمامٌ كان بيني وبينه للطَّمَ بشَّارٌ قفـاه وياسر [٤]

فقال محمد : حسبك ، لم نُرِد هذا كله ، ثم حلّه وجلس يأكل معنـا ، وتممنا يومنا .

---

(١) جاء في لسان العرب : اجمر الثوب وجمره : بخره بالطيب ، والذي يتولى ذلك مجمر ومجمّر ، والجامر : الذي يلي ذلك من غير فعل ، إنما هو على النسب .

(٢) الدستيج : آنية تحوّل باليد وتنقل ، فارسي معرب . الراح : الخمر . يروّدنيها : رادت الابل ترود : اختلفت في المرعى مقبلة ومدبرة ، وردتها أنا واردتها : اي جعلتها ترعى ، فمعنى يروّدنيها هنا على التشبيه بذلك اي يجعلني استقي منها غادياً رائحاً أي مراراً . لا يعاسر : لا يشاكس .

(٣) السرو : المروءة في شرف ، سرو ، ككرم ودعا ورضي فهو سريّ ، وتسرى تسرياً : تكلف السرو .

(٤) الذمام : الحقّ والحرمة .

أخبرني عمي قال حدثنا ابن مهرويه قال: حدثني علي بن محمد بن سليمان النوفلي قال:

قصة شاة منيع معه وهجاؤه إياها:

كان محمد بن يسير من شعراء أهل البصرة وأدبائهم، وهو من خثعم وكان من بخلاء الناس، وكان له في داره بستانٌ قدره أربعة طوابيق[1] قلعها من داره، فغرسَ فيه أصل رمان وفسيلة[2] لطيفة، وزرع حواليه بقلًا، فأفلتت شاةٌ لجارٍ له يقال له: مَنيع، فأكلت البقل ومضغت الخُوص، ودخلتْ الى بيته فلم تجد فيه إلا القراطيس[3] فيها شعره وأشياء من سماعاته، فأكلتها وخرجتْ، فعدا الى الجيران في المسجد يشكو ما جرى عليه، وعاد فزرع البستان، وقال يهجو شاة منيع:

لِيَ بستانٌ أنيقٌ زاهرٌ ناضرُ الخضرة ريّان تَرِفٌ[4]
راسخُ الأعراق ريّان الثرى غدِقٌ تُرْبَتـه ليست تجف[5]
لمجاري الماء فيـه سُنَنٌ كيفما صرّفته فيـه انصرف[6]
مُشرق الانوار ميّاد النـدى مُنثنٍ في كل ريح مُنعطف[7]
تَملك الريح عليـه أمره فإذا لم يُؤنس الريـح وقف[8]

---

(١) الطابق كهاجر وصاحب والطاباق: الاجر الكبير.

(٢) الفسيلة: النخلة الصغيرة.

(٣) القراطيس: جمع قرطاس وهو ما يكتب فيه.

(٤) أنيق: حسن معجب. ناضر: شديد الخضرة. ترف: ترف النبات كفرح: تروّى، فهو ترف.

(٥) أرض غدقة: في غاية الريّ، وهي الندية المبتلة.

(٦) سنن: جمع سنة وهي الطريقة.

(٧) الانوار: جمع نور (بالفتح): وهو الزهر.

(٨) آنس الشيء: أحس به.

يكتسي في الشرق ثوبَيْ يُمنةٍ … ومع الليل عليها يلتحف[1]
ينطوي الليلُ عليه فإذا … واجه الشرق تجلى وانكشف
صابرٌ ليس يُبالي كثرةً … جُزَّ بالمنجل أو منه نُتِف
كلما ألحف منه جانبٌ … لم يتلبَّث منه تعجيل الخلف[2]
لا ترى للكفِّ فيه أثراً … فيه بل يَنمي على مسِّ الأكُف[3]
فترى الأطباق لا تُمهله … صادراتٍ وارداتٍ تختلف
فيه للخارف من جيرانه … كلما احتاج اليه مُخترف[4]
أُقحوانٌ وبهارٌ مُونقٌ … وسوى ذلك من كل الطُّرَف[5]
وهو زهرٌ للندامى أُصلًا … برضا قاطفهم مما قطف[6]
وهو في الأيدي يحيُّون به … وعلى الآناف طَوْراً يَستشفّ[7]
أعفِه يا ربِّ من واحدةٍ … ثم لا أحفل أنواع التلف
اكفِه شاة منيعٍ وحدها … يوم لا يصبح في البيت علف
اكفِه ذات سُعالٍ شَهلةً … مُتِّعت في شرِّ عيش بالخرف[8]

---

(١) اليمنة : برد يمني ، وهو موشّى .

(٢) ألحفه : استأصله . ولم يتلبث : أي لم يتوقف ولم يبطئ .

(٣) نما ينمو نمواً ، ونمى ينمي نمياً ونماء : زاد .

(٤) خرف الثار خرفاً كنصر : جناها ، كاخترفها . مخترف : مجتني .

(٥) الأقحوان : نبت طيب الريح حواليه ورق أبيض ووسطه أصفر . البهار : نبت أصفر طيب الريح . مونق : معجب .

(٦) أصلا : جمع أصيل ، وهو الوقت بعد العصر الى المغرب . الندامى : جمع ندمان ، وهو المجالس على الشراب .

(٧) استشفه : تأمل ما فيه ، واستشف ما في الاناء : شرب جميع ما فيه وتقصى شربه . والمعنى على هذا : يتقصّى شمه كما يستشف الماء .

(٨) الشهلة : العجوز . الخرف هنا الشيص (أردأ التمر) .

اكفِه يا ربِّ وقصاء الطُّلى أَلحِم الكتفين منها بالكتف[١]
وكلوحٌ أبداً مُفتَرّةٌ لك عن هُتمٍ كليلاتٍ رُجُفْ[٢]
ونثوسُ الأنف لا يرقا ولا أبداً تُبصره إلّا يَكِف[٣]
لم تزَل أظلافُها عافيةً لم يُظلِّف أهلها منها ظِلف[٤]
فترى في كل رِجلٍ ويدٍ من بقاياهنّ فوق الأرض خُفّ[٥]
تنسف الأرض إذا مرّت به فلها إعصار تُربٍ مُنتسف[٦]
تُرهجُ الطُّرق على مُجتازها بيدٍ في المشي والخطوِ القطف[٧]
في يديها طرَقٌ، مِشيتها حلقة القوس، وفي الرجل حنف[٨]
فإذا ما سعلتْ واحدَودبت جاوب البعرُ عليها لخِصف

---

(١) الطلى : الاعناق أو أصولها جمع طلية أو طلاة . والوكص (بفتحتين) : قصر العنق . وقص (كفرح) فهو أوقص وهي وقصاء . ولحمه (كنصر) وألحمه : لأمه ، يدعو عليها أن يلحم الله كتفيها حتى تصيرا كتفاً واحدة .

(٢) الكالح : الذي قد قلصت شفته عن أسنانه نحو ما ترى من رؤوس الغنم اذا برزت الاسنان وتشمرت الشفاه . وافترّ عن ثغره : أبدى أسنانه . وعن هتم ؛ أي عن أسنان مكسرة . ورجف : جمع رجوف ، من رجف الشيء اذا خفق واضطرب اضطراباً شديداً .

(٣) نثوس : وصف ، من ناس اللعاب : اذا سال فاضطرب . يرقأ : يجف ويسكن وينقطع ، سهلت همزته ، يعني أن رغامها (مخاطها) يسيل من منخريها لهزالهـا . ووكف الدمع والماء (كوعد) : سال .

(٤) أظلاف : جمع ظلف (بالكسر) ، وهو للشاة كالحافر للفرس والقدم للانسان . يقال : عفا الشعر والنبت وغيرهما اذا كثر وطال . ولم يظلف؛ اشتق من الظلف ؛ يظلف بمعنى يقلم . وقلم الظفر : قطع ما طال منه .

(٥) الخف : ما يلبس في الرجل .

(٦) الاعصار : الريح التي تهب من الارض كالعمود نحو السماء .

(٧) أرهج : أثار الغبار .

(٨) الطرق : ضعف في ركبتي البعير ويده ، أو اعوجاج في ساقـه . والحنف الاعوجاج في الرجل الى داخل .

وأحصَّ الشعر منها ، جِلدها شَنَّةٌ في جوف غارٍ مُنخسف [١]
ذاتَ قَرنٍ وهي جمّاء إلّا أنّ ذا الوصف كوصفٍ مُختلف
واذا تدنو الى مُستعسبٍ عافها نَتناً اذا ما هو كَف [٢]
لا ترى تَيساً عليها مُقدماً رُميَتْ من كل تيس بالصَّلف [٣]
شُوهة الخلقة ، ما أبصرها مِن جميع الناس إلّا وحلف [٤]
ما رأى شاةً ولا يعلمها خُلِقتْ خِلقتها فيا سلف
عجباً منها ومن تأليفها عجباً من خَلقها كيف ائتلف
لو يُنادون عليها عجباً كسبوا منها فُلوساً ورُغف
ليتها قد أفلتتْ في جَفنةٍ مِن عجينٍ أو دقيقٍ مُجترف
فتلقَّت شَفرةً من أهله قَدَر الإصبع شيئاً أو أشَفّ
أحكمت كفّاً حكيمٍ صُنعها فأتت مجدولةً فيها رهف
أدمجتْ من كلّ وجه غير ما ألّل الأقيان من حدّ الطَّرف [٥]
قابضُ الرَّونق فيها ماتعٌ يخطف الأبصار منها يَستشفّ [٦]
لحتها فاستخفّتْ نحوَها عجلاً ثم أحالت تنتسف [٧]

---

(١) ذنب أحص : لا شعر عليه. الشنة والشنّ : القربة الخلق الصغيرة .

(٢) استعسب التيس : هاج واغتلم . عافها : كرهها واعرض عنها . كرفها : شمها .

(٣) صلفت المرأة كفرح صلفا : لم تحظ عند زوجها وابغضها . الصلف ايضاً : الكبر . اي صلف التيس وادل عليها .

(٤) يقال : رجل اشوه وامرأة شوهاء ، إذا كانت قبيحة ، والاسم الشوهة بالضم .

(٥) آلل الشيء تأليلا : حدّد طرفه . الأقيان : جمع قين ، وهو الحداد .

(٦) رونق السيف : ماؤه وحسنه . وقابض الرونق ، اي ما يمسكه ويحفظه . خطف كسمع وضرب ، او هذه قليلة او رديئة . استشفه : رأى ما وراءه .

(٧) لحتها ، اي الشفرة اسند اللفح اليها ويريد اصحابها . فاستخفت : يريد فخفت إليها اي اسرعت لذبحها والقضاء عليها . احالت : تحوّلت ، اي هوت عليها تنتسفها .

فتناهتْ بين أضعاف المِعَى وتبوّتْ بين أثناء الشَّغف [١]
أو رَمتها قَرحةٌ زادت لها ذَوباناً كلَّ يومٍ ونحف
كل يوم فيه يدنو يومها أو تُرى واردةً حوض الدَّنف
بينا ذاك بها إذ أصبحتْ كحميتٍ [٢] مُفعمٍ أو مثل جُف
شاغراً عرقوبها قد أعقبت بِطنةً من بعد إدمان الهيَف [٣]
وغدا الصبية من جيرانها ليجرُّوها الى مأوى الجيَف
فتراها بينهم مسحوبةً تجرف التُّرب بجنبٍ منحرف [٤]
فإذا صاروا الى المأوى بها أعملوا الآجُرَّ فيها والخزَف [٥]
ثم قالوا: ذا جزاء للتي تأكل البستان منا والصُّحف
لا تلوموني، فلو أبصرتُ ذا كلَّه فيها إذن لم أنتصف

شعره الى امرأة وقد كتبت اليه تعاتبه :

أخبرني علي بن سليمان قال حدثنا محمد بن يزيد قال حدثنا عبد الله بن محمد بن يسير، وحدثني سوار بن أبي شراعة قال حدثني عبد الله بن محمد بن يسير قال :

هويَ أبي قينةً من قيان أبي هاشم بالبصرة، فكتبت اليه أمي تعاتبه، فكتب اليها :

---

(١) تناهت : انتهت اي بلغت ووصلت . اضعاف المعى : اثناؤها جمع ضعف بالكسر . تبوّت مسهل تبوات ، اي حلت واقامت . الشغف : غلاف القلب او حبته كالشغاف .

(٢) الحميت : الزق الذي يجعل فيه السمن؛ والجف : الشن البالي يقطع من نصفه ويجعل كالدلو .

(٣) البطنة : عظم البطن . الهيف : ضمر البطن ورقة الخاصرة .

(٤) جرفه كنصر : كسحه .

(٥) الآجرّ : الطوب . الخزف : الطين المعمول آنية قبل ان يطبخ ؛ وهو الصلصال ، فإذا شوي فهو الفخار .

لا تذكري لوعةً إثري ولا جزعا ولا تقاسنّ بعدي الهمّ والهلعا [١]
بل ائتسي تجدي إن ائتسيت أساً بمثل ما قد فجعت اليوم قد فجعا [٢]
ما تصنعين بعينٍ عنك قد طمحت الى سواك وقلبٍ عنك قد نَزَعا [٣]
إن قلتِ قد كنت في خَفضٍ وتكرمةٍ فقد صدقت، ولكن ذاكِ قد نُزِعا [٤]
وأيُّ شيءٍ من الدنيا سمعتِ به إلا اذا صار في غاياته انقطعا
ومَن يُطيق خَليعاً عند صبوته أم مَن يقوم لمستورٍ اذا خلعا

هجاؤه أبا النجم المغني :

أخبرني عمي قال : حدثنا ابن مهرويه قال : حدثنا عبد الله بن يسير أن أباه دعي الى وليمة وحضرها مغنٍّ يقال له أبو النجم ، فعبث بأبي وباغضه وأساء أدبه، فقال يهجوه :

نشتْ بأبي النَّجم المغني سحابةٌ عليه من الأيدي شآبيبها القفدُ [٥]
نشا نَوءها [٦] بالنَّحس حتى تصرَّمتْ وغابت فلم يطلع لها كوكبٌ سعد
سقَته فجادت فارتوى من سجالها ذُرا رأسه والوجه والجيد والخدّ [٧]

---

(١) الهلع : افحش الجزع .

(٢) أسا : جمع أسوة ، وهي القدوة وائتسى به : اقتدى به .

(٣) نزع عن الامر كفرب نزوعاً : كف وانتهى عنه وأباه .

(٤) الخفض : الدعة .

(٥) نشت ، نشىء بالشيء : عاوده مرة بعد أخرى ، شآبيب : جمع شؤبوب كعصفور ، وهو الدفعة من المطر . قفده قفداً كفربه : صفع قفاه بباطن كفه .

(٦) النوء : سقوط نجم في المغرب وطلوع آخر في المشرق .

(٧) سجال : جمع سجل بالفتح ، وهو الدلو العظيمة مملوءة .

فلا زال يسقيه بها كلَّ مجلس به فتيةٌ أمثالها الهزل والجِدُّ

أراد به يسقيانه[١] .

قصته مع صديق له يدعى داود :

أخبرني عمي قال حدثنا ابن مهرويه قال وحدثني عبد الله بن محمد بن يسير قال :

كان لأبي صديق يقال له داود من أسمج الناس وجهاً وأقلهم أدباً ، إلا أنه كان وافر المتاع ، فكان القيان يواصلنه ويكثرن عنده ، ويُهدين اليه الفواكه والنبيذ والطيب ، فيدعو بأبي فيعاشره . فهويته قينةٌ من قيان البصرة ، كانت من أحسن الناس وجهاً ، فبعثت الى داود برقعة طويلة جداً تعاتبه فيها وتستجفيه وتستزيره[٢] فسأل أبي أن يُجيبها عنه ، فقال أبي : اكتب يا بنيَّ قبل أن أجيب عنها :

وابلائي من طول هذا الكتاب أسعدوني عليه يا أصحابي
أسعدوني على قراة الكتاب طوله مثل طول يوم الحساب
إنَّ فيه منّي البلاء مُلقىً ولغيري فيه الهوى والتَّصابي
وله الودُّ والهوى ، وعلينا فيه للكاتبين ردُّ الجواب
ثم ممن يا سيّدي ؟ والى من ؟ مِن هضيم الحشا لعوبٍ كعاب[٣]
والى مَن من إن قلت فيه بعَيب لم أُحط في مقالتي بالصواب

(١) اي فلا زال الهزل والجد يسقيانه امثال هذه السحابة في كل مجلس به فتية .

(٢) تستجفيه : تنسبه إلى الجفاء وتعدّه جافياً . وتستزيره : تسأله أن يزورها .

(٣) امرأة هضيم : لطيفة الكشحين ضامرة البطن . لعوب : حسنة الدل . كعاب : كعب ثديها ، أي نهد .

لا يساوي على التأمّل والتفـــتيش يوماً في الناس كفّ ترابِ

فقال عبد الله: وكان أبي اذا انصرف من مجلس فيه داود هذا أخذه معه، فيمشي قُدّامه، فإن كان في الطريق طين أو بئر أو أذى لقي داود شرّه وحذره أبي. فمات داود. وانصرف أبي ذات ليلة وهو سكران، فعثر بدُكّان[1] وتلوّث بطين ودخل في رجله عظم ولقي عنتاً، فقال يرثي داود:

أقول والأرض قد غشّى وجلّلها ... ثوب الدجى فهو فوق الارض ممدودُ[2]
وسدّ كلّ فُروج الجـوّ مُنطبقاً ... وكلُّ فَرجٍ به في الجوّ مسدود
وفي الوداع وفي الإبداء لي عنتٌ ... دون المسير وباب الدار مسدود[3]
مَن لي بداود في ذي الحال يرشدني؟ ... مَن لي بداود؟ لهفي! أين داود؟
لهفي على رجله ألّا أقدّمها ... قُدّام رجلي فتلقاها الجلاميد
إذ لا أزال اذا أقبلتُ ينكبني ... حَرفٌ وجُرفٌ ودكّانٌ وأخدود[4]
فإن تكن شوكةٌ كانت تحل به ... أو نكتةٌ في سواد الليل أو عود[5]

أبيات له في شاة منيع:

أخبرني عمي قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثني القاسم بن الحسن مولى جعفر بن سليمان الهاشمي قال:

---

(١) الدكان: بناء يسطح اعلاه للقعود = المصطبة.

(٢) غشّاها: غطاها. جلل المطر الأرض: عمها وطبقها فلم يدع شيئاً إلا غطاه.

(٣) الإبداء: الابتداء، بدأ الشيء وابدأه: فعله ابتداء.

(٤) الجرف: ما تجرفته السيول واكلته من الأرض. الأخدود: الحفرة المستطيلة في الأرض.

(٥) نكتة، من نكته اي القاه على رأسه.

هجمتْ شاة منيع البقّال على دار ابن يسير وهو غائب ، وكانت له قراطيس فيها أشعار وآداب مجموعة ، فأكلتها كلها ، فقال في ذلك :

قل لبغات الآداب ما صنعتْ منها اليكم فلا تضيعوها
وضمنوها صُحفَ الدّفاتر بالحبر وحُسن الخطوط أوعوها[1]
فإن عجزتم ولم يكن علفٌ تُسيغه عندكم فبيعوها

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهرويه قال : حدثني أبو شِبل البرجمي قال :

كان محمد بن يسير يعاشر يوسف بن جعفر بن سليمان ، وكان يوسف أشدَّ خلق الله عربدةً ، وكان يخاف لسان ابن يسير فلا يعربد عليه . ثم جرى بينهما ذات يوم كلام على النبيذ ولحاه[2] ، فعربد يوسف عليه وشجّه ، فقال ابن يسير يهجوه :

لا تجلسَنْ مع يوسفٍ في مجلسٍ أبداً ولم تحمل دمَ الأخوَينِ
رَيحانه بدم الشباب مُلطَّخٌ وتحيَّةُ النَّدمان لطمُ العين

شعر له في غلام :

أخبرني جعفر بن قدامة قال حدثني الحسين بن يحيي المنجم قال حدثني أبو علي الخراساني قال :

كان لمحمد بن يسير البصري بابان يدخل من أحدهما وهو الأكبر ، ويدخل

---

(١) أوعى الشيء في الوعاء ووعاه : جمعه فيه .

(٢) لاحاه لحاء وملاحاة : نازعه وخاصمه .

اليه إخوانه من الباب الآخر وهو الاصغر ، ومَن يستشرط[١] من المرد . فجاء يوماً غلامٌ قد خرجت لحيته ، كانت عادته أن يدخل من الباب الاصغر ، فمرّ من ذلك الباب ، فجعل يُخاصم لدالّته[٢] ، وبلغ ابن يسير فكتب اليه :

قل لمن رام بجهلٍ مَدخل الظَّبي الغريرِ
بعد أن علّق في خـــدّيه مخلاة الشَّعيرِ
ليته يدخل إن جا ء من الباب الكبيرِ

شعر له في عمرو القصافي وقد عان مغنية :

وأخبرني عمي قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثني القاسم بن الحسن مولى جعفر ابن سليمان قال :

كنّا في مجلس ومعنا محمد بن يسير وعمرو القصافي[٣] ، وعندنا مغنية حسنة الوجه شَهلة[٤] تغني غناء حسناً ، فكنّا معها في أحسن يوم ، وكان القصافي يَعين[٥] في كل شيء يستحسنه ويحبه ، فما برحنا من المجلس حتى عانها ، فانصرفت محمومةً شاكية العين . فقال ابن يسير :

إن عمراً جنى بعينيــه ذنباً قلَّ مني فيه عليــه الدُّعاء

(١) من استشرط المال ، أي فسد بعد صلاح . المرد : جمع أمرد ، وهو الشاب لم تنبت لحيته .

(٢) أدل عليه وتدلل : وثق بمحبته فأفرط عليه .

(٣) القصافي : نسبة إلى بني قصاف ، وهم بطن من العرب .

(٤) الشهلة : النَّصَف العاقلة .

(٥) عانه كباع : أصابه بعينه .

عان عينا(١)، فعينه للتي عا ... ن فدًى، وقلَّ منه الفداء
شرُّ عينٍ تعين أحسن عينٍ ... تحمل الأرض أو تظلُّ السماء

استعار حماراً من جار له فأبى عليه فقال شعراً يشكوه:

أخبرني عمي قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثنا القاسم بن الحسن قال: استعار ابن يسير من بعض الهاشميين من جيرانه حماراً كان له ليمضي عليه في حاجةٍ أرادها فأبى عليه، فمضي اليها ماشياً، وكتب الى عمرو القصافي - وكان جاراً للهاشمي وصديقاً - يشكوه اليه يخبره:

إن كنت لا عَير لي يوماً يبلِّغني ... حاجي وأقضي عليه حقَّ إخواني(٢)
وضنَّ أهل العواري حين أسألهم ... من أهل ودّي وخُلصاني وجيراني(٣)
فإنَّ رجليَّ عندي - لا عدِمتها - ... رِجلا أخي ثقةٍ مُذ كان جَولاني
تُبلِّغانيَ حاجاتي وإن بعُدت ... وتُدنيانيَ مما ليس بالداني
كأنَّ خَلفي اذا ما جدَّ جدُّهما ... إعصارَ عاصفةٍ مما تثيران
رجلايَ لم تألما نكباً كأنهما ... قَطّاً وقَدّاً وإدماجاً مَداكان(٤)
كأن ما بها أخطو اذا ارتَهيا ... في سكَّةٍ من أي ذاك سماكان
إن تُبعثا في دهاسٍ تبعثا رهجاً ... أو في حُزونٍ ذكا فيها شِهابان(٥)

(١) عيناء: واسعة العين، قصر للشعر.

(٢) العير: الحمار، وغلب على الوحشي. حاج: جمع حاجة.

(٣) العواري: جمع عارية، وهي ما يستعار.

(٤) لم تألما نكباً، اي من نكب، يقال: القط: القطع عرضاً او عامة. القدّ: القطع المستطيل أو الشق طولاً. المداك، كالمدوك، وزن مبرد: مدقّ الطيب.

(٥) الدهاس: المكان السهل ليس برمل ولا تراب. والرهج: الغبار. الحزون: جمع حزن، وهو ما غلظ من الأرض. ذكت النار تذكو: اشتدّ لهبها. الشهاب: شعلة من نار ساطعة.

فالحمدُ لله يا عمرو الذي بعها عن العواري وعن ذا الناس أغناني

قصة جلة التمر وشعره :

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا محمد بن داود بن الجرّاح قال حدثني محمد بن سعد الكراني قال :

كنّا في حلقة التَوَّزي[١] ، فلمّا تقوّضت أنشدنا محمد بن يسير لنفسه قوله :

جُهدُ المُقلّ اذا أعطاه مصطبراً ومُكثرٌ من غِنَى سِيَّان في الجودِ
لا يَعدمُ السائلون الخير أفعله إمّا نَوالي وإمّا حُسن مردود

فقلنا له : ما هذا التكارم[٢] ! وقمنا الى بيته فأكلنا من جُلّة[٣] تمرٍ كانت عنده أكثرها وحملنا بقيّتها . فكتب الى والي البصرة عمر بن حفص :

يا أبا حفصٍ بحرمتنا عَنّ نفساً حين تنتهكُ[٤]
خذ لنا ثأراً بجلّتنا فبِكَ الأوتارُ تُدرَكُ[٥]
كهف كفّي حين تطرحها بين أيدي القوم تبترك[٦]
زارنا زورٌ فلا سلموا وأصيبوا آيةً سلكوا[٧]

(١) التوّزي : نسبة إلى توّز بلد بفارس ؛ وهو عبدالله بن محمد ابن هارون التوزي ، من أئمة اللغة والنحو بالبصرة .

(٢) التكارم : التظاهر بالكرم وادّعاؤه .

(٣) الجلة : وعاء من خوص .

(٤) عناه : جشمه العناء واتعبه ، وعناه أيضاً : حبسه حبساً طويلاً . حين تنتهك ، أي تنتهك حرمتنا .

(٥) الأوتار : جمع وتر وهو الثأر . تدرّك : تدرك .

(٦) الكهف : الملجأ والوزر . ابتركت السحابة : اشتد انهلالها والحت بالمطر .

(٧) الزور : الزائرون .

أكلوا حتى اذا شبعوا   أخذوا الفضل الذي تركوا

قال : فبعث الينا فأحضرنا فأغرمنا مائة درهم ، وأخذ من كل واحدٍ منا جُلَّة تمرٍ ، ودفع ذلك اليه .

قصته مع أحمد بن يوسف :

أخبرني الأخفش قال حدثنا أبو العيناء قال :

كان بين محمد بن يسير وأحمد بن يوسف الكاتب شرٌ ، فزجّه[1] أحمد يوماً بحماره تعرّضاً لشرّه وعبثاً به ، فأخذ ابن يسير بأذن الحمار وقال له : قُل لهذا الحمار الراكب فوقك لا يؤذي الناس ، فضحك أحمد ونزل ، فعانقه وصالحه .

قصته مع ابن أبي عمرو المديني :

أخبرني عمي قال حدثنا ابن مهرويه قال : حدثني محمد بن عليٍ الشامي قال :

طلب محمد بن يسير من ابن أبي عمرو المديني فراخاً من الحمام الهُدّاء[2] ، فوعده أن يأخذها له من المثنّى بن زهير ، ثم نوّر[3] عليه (أي أعطاه فراخاً غير منسوبة دلّسها عليه وأخذ المنسوبة لنفسه) . فقال محمد بن يسير :

يا ربّ ربّ الرائحين عشيّةً   بالقوم بين منًى وبين ثَبيرِ[4]

---

(١) زجه : طعنه بالزج ورماه به . والمعنى هنا صدمه .

(٢) الهدّاء : ضرب من الحمام وهو ما يعرف بالزاجل . الواحد الهادي .

(٣) نوّر عليه : لبّس عليه أمره ، وأصله ان امرأة كانت تسمى « نورة » وكانت ساحرة ، فقيل لمن فعلها قد نوّر .

(٤) ثبير : جبل بمكة .

والواقفين على الجبـال عشيَّةً ... والشمس جانحةٌ الى التغوير [١]
حتى اذا طَفلَ العشيُّ ووجّهت ... شمسُ النهـار وآذنتْ بغئور [٢]
رحلوا إلى خَيفٍ نواحل ضمها ... طُول السِّفار وبُعد كل مَسير [٣]
ابعثْ على طيرِ المدينيّ الذي ... قال المحال وجـاءني بغرور [٤]
ابعث على عجلٍ اليها بعد ما ... يأخـذن زينتهنّ في التحسير [٥]
في كل ماوصفوا المراحل وابتدَوْا ... في المُبتدين بهنّ والتكسير
ومضَين عن دور الخُرَيبة زُلفةً ... دون القصور وحَجرة الماخور [٦]
مع كلّ ريح تغتدي بهبوبها ... في الجوّ بين شواهنٍ [٧] وصقور
من كلّ أكلف بات يدجُن ليله ... فغـدا بغدوةٍ [٨] ساغبٍ ممطور

---

(١) جانحة : مائلة . وغوّرت الشمس تغويراً : غارت وغربت .

(٢) طفلت الشمس كنصر : دنت للغروب . وجهت : توجهت ، أي ولت وذهبت . وغارت غياراً وغئوراً : غابت .

(٣) خيف ، يريد خيف منى ، وهو ناحية منها . والخيف ما انحدر عن غلظ الجبل وارتفع عن مسيل الماء، ومنه سمي مسجد الخَيف من منى . رحلوا نواحل، أي إبلاً نواحل مهزولة . ورحل البعير : حط عليه الرحل .

(٤) أي ابعث عليها ما يؤذيها ويهلكها .

(٥) التحسير : سقوط ريش الطائر . وانحسرت الطير : خرجت من الريش العتيق الى الحديث .

(٦) الخريبة : موضع بالبصرة يسمى البصيرة الصغرى . والزلفة : الطائفة من أول الليل . وزلف الليل : ساعات من أوله . والحجرة : الناحية . الماخور : مجمع أهل الفسق والفساد ، وبيوت الخمارين .

(٧) الشاهين : من سباع الطير ، معرب ، والجمع شواهين .

(٨) الكلفة بالضم : لون بين السواد والحمرة . والدجن بالفتح : إلباس الغيم أقطـار السماء . والغدوة : البكرة أو ما بين صلاة الفجر وطلوع الشمس . والساغب : الجائع . والممطور الذي أصابه المطر .

ضَرِمٍ يقلّب طَرفه متأنساً[1] شيئاً فكنّ له من التقديرِ
يأتي لهنّ ميامناً ومياسراً صكّاً بكلّ مزلّقٍ ممكورِ[2]
مِن طائرٍ متحيّرٍ عن قصده أو ساقطٍ خلج الجناح كسيرِ[3]
لم ينجُ منه شريدهنّ فإن نجا شيءٌ فصار بجانبات الدُّورِ[4]
لمشمّرين عن السواعد حُسَّرٍ عنها بكل رشيقةِ التَّوتيرِ[5]
سُدُد الأكفّ الى المقاتل صيَّبٍ سمت الحتوف[6] بجؤجؤٍ ونحور
ليس الذي تخطي يداه رميّةً منهم بمعدودٍ ولا معذور[7]
يتبوّعون وتمتطي أيديهمُ في كل معطية الجذاب نتور[8]

(١) ضرم كفرح : اشتد جوعه ، وضرم في الطعام : جدّ في أكله لا يدفع شيئاً منه . وتأنس البازي نظر رافعاً رأسه وطرفه .

(٢) صكه : ضربه شديداً . وبكل مزلق ، أي بكل منقار أو مخلب مزلق ، من زلق الحديدة : أدمن تحديدها . والممكور : المصبوغ بالمكر أي المغرة وهي حمراء أي كأنه مصبوغ بها . وذلق السكين : حدّده ، والمطرور : المحدّد أيضاً .

(٣) خلج كفرح : اشتكى لحمه وعظامه من عمل يعمله ، أو من طول مشي وتعب .

(٤) جانبات : جمع جانبة ، والجانب : الغريب .

(٥) لمشمرين ، أي هذه الشواهين والصقور لصيادين مشمرين؛ وحسر : جمع حاسر . وتر القوس توتيراً : شد وترها ؛ والرشيق من الغلمان والجواري : الخفيف الحسن القد اللطيفه ، وناقة رشيقة : خفيفة سريعة . ويقال للقوس ما أرشقها أي ما أخفها وأسرع سهمها . والرشق محركة : القوس السريعة السهم الرشيقة .

(٦) سدد : جمع سديد ، وصاب يصيب (كيصوب) صيباً : أصاب ، صائب ، فهو صائب ، وسهم صيوب كغيور والجمع صيب كعنق . والسمت : الطريق والمذهب والقصد : والجؤجؤ : الصدر .

(٧) الرمية : الصيد الذي ترميه .

(٨) تبوّع : مد باعه وملأ ما بين خطوه . وقوس معطية : لينة ليست بكزة ولا ممتنعة على من يمد وترها . والجذاب : الجاذبة . والنتور : الشديدة الجذب .

عُطُفُ السِّيات دوائراً في عِطفها تُعزَى صناعتها الى عصفورِ [١]

يَنفذْنَ عن جذب الأكُفّ ثواقباً مُتشابهاتِ القدّ والتدويرِ [٢]

تجري بها مُهج النفوس وإنها لنواصلٍ [٣] سُلتٌ من التَّحبيرِ

ما إن تقصِّر عن مدى مُتباعدٍ في الجوّ يحسر طرْفَ كل بصيرِ [٤]

حتى تراه مزمّلا بدمائه فكأنه مُتضمِّخٌ بعبيرِ [٥]

فيظلُّ يومهم بعيشٍ ناصبٍ نُصبَ المراجل مُعجلي التنويرِ [٦]

ويثوب ناجيهنّ بين مضرَّجٍ بدمٍ ومخاوبِ الى منسورِ [٧]

عاري الجناح من القوادم، والقرا كاسٍ، عليه مائرُ التَّامورِ [٨]

---

(١) سية القوس : ما عطف من طرفيها . وعطف : جمع عطوف . وقوس عطوف كصبور ومعطلفة وعطفى ومعطوفة ، أي عطفت سيتها عليها عطفاً شديداً . وعطف القوس بالكسر : سيتها .

(٢) ثواقباً : أي سهاماً ثواقب تثقب الرمية وتنفذ فيها ، أو نواقب تنقب الهدف وتخرقه .

(٣) مهج : جمع مهجة ، وهي الدم . ونواصل جمع ناصل ، وسهم ناصل : ذو ناصل ، وسهم ناصل أيضاً : سقط منه نصله ، ضد . وحبرت الشيء تحبيراً : حسنته ، وسهم محبر : حسن البري . وسلت : جمع أسلت ، وهو في الاصل : الرجل الذي أوعب جدع أنفه . يريد به هنا السهم الذي أجيد بريه وأزيل ما فيه من نتوء .

(٤) مدى متباعد : أي مدى طائر متباعد . حسر البصر (لازماً) كحلس : كلّ وانقطع من طول مدى ، وحسر العين بُعدُ ما حدقت اليه : أكلّها .

(٥) زمّله : لفّه . وتضمخ بالطيب : تلطخ . والعبير : الزعفران أو اخلاط من الطيب .

(٦) فيظل يومهم : أي فيظلون في يومهم . عيش ناصب : فيه نصب وكد وجهد ؛ المراجل : جمع مرجل كمنبر ، وهو القدر يطبخ فيها . نصب المراجل : أي قد نصبوا المراجل وأقاموها لطبخ ما صادوه من الطيور . والتنوير : الانارة ، ويريد إيقاد النار .

(٧) مضرّج : ملطخ. خلبه بظفره كضرب ونصر : جرحه او خدشه أو قطعه . منسور : النسر : نتف البازي اللحم بمنسره أي بمنقاره ، نسر اللحم كضرب ونصر : نتفه .

(٨) القوادم : عشر ريشات في مقدم كل جناح . القرا : الظهر . والتامور والتأمور : الدم ؛ ومار الدم يمور : اذا جرى ، أي ان القرا ، قد كسي بالدم المائر .

فينوده مُتبهنسٌ في مشيه خطِف المؤخّر مُشبع التصديرِ [1]
ذو حُلكة مثل الدُّجى أو غُبثةٍ شَغِبٌ شديد الجِدّ والتشمير [2]
فيمرُّ منها في البراري والقرى من كل أعصل كالسنان هَصور [3]
في حين تؤذيها المبايتُ مَوهناً أو بعد ذلك آخر التسحير [4]
يختص كلّ سليل سابقِ غايةٍ محضِ النِّجار مُجرَّبٍ مخبور [5]
عجّل عليه بما دعوت له به أرِه بذاك عقوبة التنوير
حتى يقول جميع مَن هو شامتٌ هذي إجابة دعوة ابن يسير
فلأُلفينَّك عند حالَيْ حسرةٍ وتأسفٍ وتلهُّفٍ وزفير
ولتلقينَّ إذا رمتك بسهمها أيدي المصائب منك غير صبور

أخبرني عمي قال حدثنا ابن مهرويه قال: حدثني القاسم بن الحسن مولى جعفر ابن سليمان قال:

قوله في قصر خرب:

خرجنا مع بعض ولد النُّوشجاني[6] الى قصرٍ له في بستانهم بالجعفريّة[7]، ومعنا

---

(١) أخذ يدعو على ما بقي من الحمام أن يقع بين مخالب السنانير. والمتبهنس: المتبختر. وآده يئوده: عطفه، يعني فيمسكه. والخطف: الضمر وخفة لحم الجنب. وإخطاف الحشا: انطواؤه، والوصف منه: مخطف الحشا وأخطف الحشا ومخطوفه، أي ضامره. أما الوصف كما في البيت فلم يرد في كتب اللغة.

(٢) الحلكة: شدة السواد. والدجى: جمع دجية، وهي الظلمة. والغبثة: لون الى الغبرة. وشغبهم وبهم وعليهم كمنع وفرح: هيج الشر عليهم، وهو شغب.

(٣) ناب أعصل: معوج شديد. وهصور: كاسر.

(٤) الموهن: نحو من نصف الليل أو بعد ساعة منه.

(٥) سليل: ولد. والنجار بالكسر والضم: الاصل. والمحض من كل شيء: الخالص. مخبور: مختبر.

(٦) نسبة الى نوشجان، وهي مدينة بفارس.

(٧) الجعفرية: محلة كبيرة في الجانب الشرقي من بغداد.

محمد بن يسير ، وكان ذلك القصر من القصور الموصوفة بالحسن ، فإذا هو قد خرب واختلّ ، فقال فيه محمد بن يسير :

ألا يا قصرُ قصر النوشجاني ... أرى بك بعد أهلك ما شجاني[1]
فلو أعني البلاء ديارَ قومٍ ... لفضلٍ منهمُ ولعظم شان
لما كانت تُرى بك بيّناتٍ ... تلوح عليك آثار الزمان

قوله في رثاء نفسه :

أخبرني عمي قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثنا محمد بن أبي حرب قال أنشدنا يوماً محمد بن يسير في مجلس أبي محمد الزاهد صاحب الفضيل بن عِياض لنفسه قال :

ويلٌ لمن لم يرحم الله ... ومَن تكون النار مَثواهُ
واغفلتا في كلّ يومٍ مضى ... يُذكرني الموت وأنساه
مَن طال في الدنيا به عمره ... وعاش فالموتُ قُصاراه[2]
كأنّه قد قيل في مجلسٍ ... قد كنت آتيه وأغشاه
محمدٌ صار الى ربّه ... يرحمنا الله وإيّاه

قال : فأبكى والله جميع مَن حضر :

قصته مع دواد بن أحمد بن أبي داود :

أخبرني الحسن بن عليّ وعمي قالا حدثنا ابن مَهرويه قال حدثني أبو الشِبل قال :

---

(١) شجاني : أحزنني .

(٢) قصاراه : غايته .

كان محمد بن يسير صديقاً لداود[١] بن أحمد بن أبي دُوَاد كثير الغشيان له ففقده أهله أياماً وطلبوه فلم يجدوه، وكان مع أصحابٍ له قد خرجوا يتنزّهون فجاءوا الى داود بن أحمد يسألونه عنه، فقال لهم: اطلبوه في منزل «حُسن» المغنية فإن وجدتموه وإلا فهو في حبس أبي شجاع صاحب شرطة «خُمار» التركي. فلما كان بعد أيامٍ جاءه ابن يسير فقال له: إيهٍ[٢] أيها القاضي، كيف دللت عليّ أهلي؟ قال: كما بلغك، وقد قلت في ذلك أبياتاً. قال: أوَ فعلت ذلك أيضاً؟ زِدني من برّك، هاتِ، أيش قلت؟ فأنشده:

ومُرسلةٍ توجّه كلّ يومٍ ... إليّ وما دعا للصبح داعي
تُسائلني وقد فقدوه حتى ... أرادوا بعده قَسمَ المتاع
اذا لم تَلقَه في بيت «حُسنٍ» ... مقيماً للشراب وللسماع
ولم يُرَ في طريق بني سدوسٍ ... يخطّ الأرض منه بالكراع[٣]
يدقّ حُزونها بالوجه طوراً ... وطوراً باليدين وبالذراع
فقد أعياك مطلبه وأمسى ... (فلا تَغلط) حبيس أبي شجاع

قال: فجعل ابن يسير يضحك ويقول: أيها القاضي لو غيرُك يقول لي هذا لعرف خبرَه. ثم لم يبرح ابن يسير حتى أعطاه داود مائتي درهم وخلع عليه خلعةً من ثيابه.

أخبرني عمي قال: حدثنا ابن مهرويه قال: حدثني عليّ بن القاسم طارمة قال: كنت مع المعتصم لمّا غزا الروم، فجاء بعض سراياه[٤] بخبر عمه[٥]، فركب من فوره وسار أجدّ سيرٍ وأنا أسايره، فسمع منشداً يتمثّل في عسكره:

(١) لعله «دواد» اسم جده.
(٢) إيه: كلمة استزادة واستنطاق.
(٣) الكراع من الانسان: ما دون الركبة الى الكعب.
(٤) سرايا: جمع سرية كقضية، وهي قطعة من الجيش، من خمسة أنفس الى ثلثمائة أو أربعمائة.
(٥) هو ابراهيم بن المهدي، وخبره هو خروجه على المأمون.

إن الأمور اذا انسدَّت مَسالكها فالصبر يفتح منها كل ما ارتتجا [١]
لا تيأسنّ وإن طالت مُطالبةٌ اذا استعنت بصبر أن ترى فرجا

فسرّ بذلك وطابت نفسه، ثم التفت إليّ وقال لي: يا عليّ أتروي هذا الشعر؟ قلت نعم. قال: من يقوله؟ قلت: محمد بن يسير. فتفاءل باسمه ونسبه، وقال: أمر محمود وسير سريع يعقب هذا الامر. ثم قال: أنشدني الأبيات، فأنشدته قوله:

ماذا يكلِّفك الرّوحات والدُّلجا البرَّ طوراً وطوراً تركب اللججا [٢]
كم مِن فتًى قصرت في الرّزق خطوته ألفيته بسهام الرزق قد فلجا [٣]
لا تيأسنّ وإن طالت مطالبةٌ اذا استعنت بصبر أن ترى فرجا
إنّ الامور اذا انسدَّت مسالكها فالصبر يفتح منها كل ما ارتتجا
أخلِق بذي الصبر أن يحظى بحاجته ومُدمن القرع للابواب أن يلجا
فاطلب لرجلك قبل الخطو مَوضعها فمن علا زلقاً عن غرَّة زلجا [٤]
ولا يغرَّنك صفوٌ أنت شاربه فربَّما كان بالتكدير ممتزجا
لا ينتج النَّاس إلا من لقاحهم يبدو لقاح الفتى يوماً اذا نُتجا [٥]

أخبرني عيسى بن الحسين والحسن بن عليٍّ وعمي قالوا: حدثنا محمد بن القاسم ابن مهرويه قال: حدثني أبو الشِّبل قال:

---

(١) رتج الباب وأرتجه: أغلقه إغلاقاً وثيقاً. وارتتج: استغلق.

(٢) الروحات: جمع روحة وهي المرة من الرواح؛ والدلج: جمع دلجة: السير من أول الليل. والدلجة بالفتح: سير الليل كله. واللجج: جمع لجة، وهي معظم الماء.

(٣) فلج كنصر: ظفر وفاز.

(٤) علا زلقا: أي مكاناً زلقاً. الغرة الغفلة. زلج: زل وزلق.

(٥) يقال: نتجت الناقة اذا ولدت، فاذا وليهـا الانسان حتى تضع قيل نتجها نتجاً كضرب. واللقاح: اسم ماء الفحل من الابل والخيل.

كنّا عند قُثَم بن جعفر بن سليان ذات يوم ومعنا محمد بن يسير ونحن على شراب ، فأمر أن نبخَّر ونطيَّب ، فأقبلت وصيفةٌ له حسنة الوجه ، فجعلت تبخرنا وتغلّفنا بغاليةٍ[1] كانت معه . فلما غلّفت ابن يسير وبخرته التفت إليّ – وكان الى جنبي – فأنشدني :

يا باسطاً كفَّه نحوي يطيّبني ... كفَّاك أطيب يا حبّي من الطِّيبِ
كفَّاك يجري مكان الطيب طيبها ... فلا تزدني عليها عند تطييبي
يا لائمي في هواها أنت لم ترها ... فأنت مُغرًى بتأنيبي وتعذيبي
انظر الى وجهها، هل مثل صورتها ... في الناس وجهٌ مجلّى غير محجوب

فقلت له : اسكت ويلك ! لا ، تصفع والله وتخرج . فقال : والله لو وثقتُ بأن نصفع جميعاً لأنشدته الابيات ، ولكني أخشى أن أفرد بالصَّفع دونك .

أبيات له في أهل الجدل :

أخبرني عيسى بن الحسين قال : حدثنا الكراني قال : حدثنا الرياشي قال :

كان محمد بن يسير جالساً في حلقتنا في مسجد البصرة ، والى جانبنا حلقة قوم من أهل الجدل يتصايحون في المقالات والحجج فيها ، فقال ابن يسير : اسمعوا ما قلت في هؤلاء ، فأنشدنا قوله :

يا سائلي عن مقالة الشِّيَعِ ... وعن صنوف الأهواء والبدعِ
دَعْ عنك ذكر الاهواء ناحيةً ... فليس ممن شهدت ذو ورع
كلُّ أناسٍ بدؤُهم حسنٌ ... ثم يصيرون بعد للشُّنع
أكثر ما فيه أن يقال لهم : ... لم يك في قوله بمنقطع

---

(١) الغالية : أخلاط من الطيب ، وغلف لحيته بالطيب والغالية والحناء : لطخها .

أخبرني عيسى بن الحسين قال: حدثنا ابن مَهرويه قال: حدثني محمد بن عليّ الشاميُّ قال:

كان محمد بن يسير يصف نفسه بالذكاء والحفظ والاستغناء عن تدوين شيء يسمعه؛ من ذاك قوله:

إذا ما غدا الطلّاب للعلم ما لهم من الحظّ إلا ما يدوَّن في الكتبِ
غدوتُ بتشمير وجدٍّ عليهم فمحبرتي أذني ودفترها قلبي

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا ابن مهرويه قال: حدثني ابراهيم بن المدبّر قال:

كان ابراهيم بن رياح اذا حزبه[1] الامر يقطعه بمثل قول محمد بن يسير:

تخطي النفوس مع العيا ن وقد تصيب مع المَظِنَّهْ
كم من مضيقٍ في الفضا ء ومخرجٍ بين الأسنَّه

أخبرني عمي قال: حدثنا ابن مهرويه قال: حدثني الحسن بن أبي السريّ قال:

مرّ ابن يسير بأبي عثمان المازني فجلس اليه ساعة، فرأى مَن في مجلسه يتعجبون من نعل كانت في رجله خلقٍ وسخةٍ مقطّعة، فأخذ ورقةً وكتب فيها:

كم أرى ذا تعجُّبٍ من نعالي ورضائي منها بلبس البوالي
كل جرداء قد تكتفيها من أقطارها بسود النِقال
لا تداني، وليس تشبه في الخلـــقة إن أبرزت، نعال الموالي
مَن يُغال من الرجال بنعلٍ فسوايَ اذاً بهنّ يغالي

(١) حزبه الأمر: نابه واشتد عليه وضغطه.

لو حذاهنّ للجمال فإني في سواهنّ زينتي وجمالي [١]
في إخائي وفي وفائي ورأيي ولساني ومنطقي وفَعالي
ما وقاني الحفا وبلّغني الحا جة منها فإنني لا أبالي

أخبرني عمي قال : حدثنا ابن مهرويه قال : حدثني عبد الله بن محمد بن يسير قال :

دعا قُثَم بن جعفر بن سليمان أبي فشرب عنده ، فلما سكر سرق منه ألواح آبنوس كانت تكون في كمه ، فقال في ذلك :

عينُ بَكّي بعبرةٍ تَسفاح وأقيمي مآتم الألواحِ
أوحشتْ حُجزتي ورُدناي منها في بكوري وعند كل رواح [٢]
واذكريها اذا ذكرتِ بما قد كان فيها من مرفقٍ وصلاح [٣]
آبنوسٌ دهماء حالكة اللو ن لبابٌ من الطاف الملاح [٤]
ذات نفع خفيفة القدر والمحـ ـمل حُلكوكة الذُّرا والنواحي [٥]
وسريعٌ جفوفها إن محاها عند مَلٍّ مُستعجلُ القوم ماحي
هي كانت على علوميَ والآ دابِ والفقه عُدَّتي وسلاحي
كنت أغدو بها على طلب العلـ ـم اذا ما غدوتُ كلَّ صباح
هي كانت غذاء زَوري اذا زا رَ ورِيَّ النديم يوم اصطباحي [٦]

---

(١) حذا النعل : قدّرها وقطعها . يريد : لو فصلهن واقتناهن للتجمل والزينة .

(٢) الحجزة : معقد الازار . والردن : أصل الكم .

(٣) المرفق من الامر (كمجلس ومنبر) : ما ارتفقت وانتفعت به .

(٤) الدهماء : السوداء ولباب كل شيء ولبه : خالصه وخياره .

(٥) الحلكة بالضم : شدة السواد ، وهو حالك وحلكوك كعصفور .

(٦) الزور : الزائرون .

– يعني أنه يعمل فيها الشعر ويطلب لزوّاره المأكول والمشروب –

آب عُسري وغاب يسري وجودي حين غابت وغاب عنّي سماحي

هجاؤه أحمد بن يوسف :

أخبرني محمد بن خلفٍ وكيعٌ قال : حدثنا ابن مهرويه قال : حدثنا عبد الله ابن أحمد قال :

كان محمد بن يسير يعادي أحمد بن يوسف ، فبلغه أنه يتعشّق جاريةً سوداء مغنية ، فقال ابن يسير يهجوه :

أقول لمّا رأيتـه كلِفاً بكلّ سوداء نزرةٍ قذِرَه[١]
أهلٌ لعمري لِما كَلِفتَ بـه عنـد الخنازير تنفق العذره[٢]

أخبرني وكيع قال : حدثنا ابن مهرويه قال : حدثنا أبو العواذل قال :

عُوتب محمد بن يسير على حضور المجالس بغير ورق ولا محبرةٍ ، وأنه لا يكتب ما يسمعه ، فقال :

ما دخـل الحلْم من عِلمي فذاك مـا فاز به سَهمي
والعلمُ لا ينفعني جَمعـه اذا جرى الوهم عـلى فهمي

قوله في ألواح الآبنوس :

أخبرني علي بن سليمان الاخفش قال : حدثنا محمد بن يزيد قال :

---

(١) كلفا : مولعاً ، وامرأة نزور ونزرة : قليلة الولد أو قليلة اللبن .

(٢) تنفق : تروج . والعذرة : الغائط .

كان محمد بن يسير يُعاشر ولد جعفر بن سليمان ، فأخذ منه قُثَم بن جعفرٍ ألواح آبنوس كان يكتب فيها بالليل ؛ فقال ابن يسير في ذلك :

أبقتِ الألواحُ إذ أخذتْ حُرقةً في القلب تضطرمُ
زانها فصَّان من صدفٍ واحمرارُ السَّيْر[1] والقلم
وتولّى أخذها قُثَمٌ لا تولّى نفعها قُثَم

شعره الى بعض الهاشميين :

أخبرني الاخفش قال : حدثنا محمد بن يزيد قال :

كان محمد بن يسير يُعاشر بعض الهاشميين ، ثم جفاه الهاشمي لملالٍ كان فيه فكتب اليه ابن يسير قوله :

قد كنت منقبضاً وأنت بسطتني حتى انبسطتُ اليك ثم قبضتني
أذكرتني خُلق النِّفاق وكان لي خُلقاً فقد أحسنت إذ أذكرتني
لو دام ودّك وانبسطتُ الى امرئٍ في الودّ بعدك كنت أنت غررتني
فهلمّ نجتذب التّذاكر بيننا ونعود بعدُ كأننا لم نَفطن[2]

شعر له وقد أفاق من سكر :

أخبرني أحمد بن العباس العسكريُّ قال : حدثنا الحسن بن عُليل العنزي قال : حدثنا مسعود بن بشير قال :

شرب محمد بن يسير نبيذاً مع قومٍ فأسكروه ، حتى خرج من عندهم وهو لا يعقل فأخذ رداءه وعثر في طريقه وأصاب وجهه آثار ، فلما أفاق أنشأ يقول :

(١) السير : ما قدّ من الجلد طولاً .
(٢) فطن اليه وله ، كفرح ونصر وكرم : فهم .

شاربتُ قوماً لم أطق شُربهم ... يغرَقُ في بحرهمُ بحري
لمّا تجارَينا الى غايةٍ ... قصّر عن صبرهمُ صبري
خرجتُ من عندهمُ مُثخناً[1] ... تدفعني الجدرُ الى الُجدر
مُقبّح المشي كسير الُخطا ... تَقصر عند الجدّ عن سيري
فلستُ أنسى ما تجشّمت من ... كدْحٍ ومن جُرحٍ ومن أثرْ[2]
وشقّ ثوبٍ وتوًى[3] آخرٍ ... وسَقطةٍ بانَ بها ظُفري

حدثني عمي وجحظة عن أحمد بن الطيب قال: حدثنا بعض أصحابنا عن مسعود ابن بشير، ثم ساق الخبر مثله سواء.

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال: حدثني أبو العيناء قال:

اجتمع جُعيفران المُوَسوس ومحمد بن يسير في بستان، فنظر الى محمد بن يسير وقد انفرد ناحيةً للغائط، ثم قام عن شيء عظيم خرج منه، فقال جعيفران:

قد قلتُ لابن يسيرٍ ... لمّا رمى من عجانه[4]
في الأرض تلّ سمادٍ ... علا على كثبانِه[5]
طوبى لصاحب أرضٍ ... خرئتَ في بُستانه

قال: فجعل ابن يسير يشتم جعيفران ويقول: أيّ شيء أردت مني يا مجنون يابن الزانية حتى صيّرتني شُهرة[6] بشعرك!!

---

(١) أثخنه: أوهنه بالجراحة وأضعفه.
(٢) الكدح: كل أثر من خدش أو عض. والاثر: أثر الجرح يبقى بعد البرء.
(٣) توى كفرح توى: هلك.
(٤) العجان: الاست.
(٥) كثبان: جمع كثيب، وهو التل من الرمل.
(٦) الشهرة: ظهور الشيء في شنعة.

أخبرني جحظة قال: حدثني سوار بن أبي شُراعة قال: حدثني عبد الله بن محمد بن يسير قال:

كان أبي مشغوفاً بالنبيذ مشتهراً بالشرب، وما بات قطُّ إلَّا وهو سكران، وما نبذ قطُّ نبيذاً، وإنما كان يشربه عند إخوانه ويستسقيه منهم، فأصبحنا بالبصرة يوماً على مطرٍ هادٍّ[1]، ولم تُمكنه معه الحركة الى قريبٍ من إخوانه ولا بعيد وكاد يجنُّ لما فقد النبيذ. فكتب إلى والي البصرة وكان هاشمياً، وهو محمد ابن أيوب بن جعفر بن سليمان قال:

كم في علاج نبيذِ التمر لي تعبٌ الطبخ والدَّلك والمعصار والعكر[2]
وإن عدلتُ الى المطبوخ مُعتمداً رأيتني منه عند الناس أشتهر[3]
نَقلُ الدّنان الى الجيران يفضحني والقِدر تتركني في القوم أعتذر
فصرتُ في البيت أستسقي وأطلبه من الصديق ورُسلي فيه تبتدر[4]
فنهم باذلٌ سمحٌ بحاجتنا ومنهمُ كاذبٌ بالزور يعتذر
فسقِّني ريَّ أيَّامٍ لتمنعني عمن سواك وتغنيني فقد خسروا
إن كان زِقٌ فزقٌ أو فوافرةٌ من الدّساتيج لا يزري بها الصَّفر[5]
وإن تكن حاجتي ليستْ بحاضرةٍ وليس في البيت من آثارها أثر
فاستسق غيرك أو فاذكر له خبري إنِ اعتراك حياءٌ منه[6] أو حصر

(١) هادّ، من الهدّ وهو الصوت.

(٢) المعصار: الذي يجعل فيه الشيء فيعصر. العكر: دردى كل شيء.

(٣) اشتهر: أظهر في شنعة. شهره كمنعه وشهره واشتهره فاشتهر.

(٤) تبتدر: تستبق.

(٥) الصفر: الفراغ والخلو، على أنها ممتلئة.

(٦) الحصر: العي وضيق الصدر.

ما كان من ذلكم فليأتني عجلًا فإنني واقفٌ بالباب أنتظرُ
لا لي نبيذٌ ولا حُرٌ فيدعونّي وقد حمانيَ من تطفيليَ المطر[1]

قال : فضحك لما قرأها ، وبعث اليه بزق نبيذٍ ومائتي درهم ، وكتب اليه : اشرب النبيذ وأنفق الدراهم الى أن يمسك المطر ويتسع لك التطفيل، ومتى أعوزك مكانٌ فاجعلني فيئة[2] لك ، والسلام .

صوت

أنت حديثي في النوم واليقظه أتعبتُ مما أهذي بك الحفظه
كم واعظٍ فيك لي وواعظةٍ لو كنتُ ممن تنهاه عنك عِظَه

الشعر لديك الجنّ الحمصي . والغناء لعريب ، هزج ، ذكر ذلك ذكاء وَجه الرُّزّة وقُمريّ جميعاً ، والله أعلم .

(١) طفّل : تطفل .

(٢) الفيئة بالفتح والكسر : الرجوع ، أي فاجعلني مرجعاً لك .

أخبار ديك الجن ونسبه

نسبه ونبذة في ترجمته :

ديك الجنّ لقبٌ غلب عليه ، واسمه عبد السلام بن رغبان بن عبد السلام بن حبيب بن عبد الله بن رَغبان بن يزيد بن تميم . وكان جدّه تميم ممن أنعم الله — عزّ وجلّ — عليه بالإسلام من أهل مُؤتة[١] على يدَي حبيب[٢] بن مسلمة الفهري، وكان شديد التشعُّب[٣] والعصبية على العرب ، يقول : ما للعرب علينا فضل ، جمعتنا وإيّاهم ولادة إبراهيم صلى الله عليه وسلم ، وأسلمنا كما أسلموا ، ومَن قتل منهم رجلًا منّا قُتل به ، ولم نجد الله عزّ وجلّ فضّلهم علينا ، اذ جمعنا الدين .

وهو شاعرٌ مجيدٌ مذهب أبي تمّام والشاميين في شعره . من شعراء الدولة العباسية . وكان من ساكني حِمص ، ولم يبرح نواحي الشأم ، ولا وفد الى العراق ولا الى غيره مُنتجعاً بشعره ولا متصدّياً لأحد . وكان يتشيّع تشيُّعاً حسناً ، وله مراثٍ كثيرةٌ في الحسين بن عليٍ — عليهما السلام — ، منها قوله :

يا عين لا للقضا ولا الكتبِ ... بُكا الرّزايا سوى بُكا الطّرب

وهي مشهورة عند الخاص والعام ، وينتاح بها . وله عدّة أشعار في هذا المعنى .

---

(١) مؤتة : قرية من قرى البلقاء بمشارف الشام .

(٢) كان من خواص معاوية وله معه في وقعة صفين آثار شكرها له .

(٣) شعوب : جمع شعب (بالفتح) ، وهو ما تشعب من قبائل العرب أو العجم .

وكانت له جارية يهواها، فاتّهمها بغلامٍ له فقتلها، واستنفد شعره بعد ذلك في مراثيها.

قصيدته في هجاء ابن عمه:

قال أبو الفرج: ونسختُ خبره في ذلك من كتاب محمد بن طاهر، أخبره بها فيه ابن أخ لديك الجنّ يقال له أبو وهب الحمصي، قال:

كان عمي خليعاً ماجناً معتكفاً على القصف[1] واللهو، مِتلافاً لما ورث عن آبائه، واكتسب بشعره من أحمد وجعفر ابنَيْ عليٍّ الهاشميَّين، وكان له ابن عم يكنى أبا الطَّيب يعظه وينهاه عما يفعله، ويحول بينه وبين ما يؤثره ويركبه من لذّاته وربما هجم عليه وعنده قومٌ من السفهاء والمجّان وأهل الخلاعة، فيستخف بهم وبه. فلما كثر ذلك على عبد السلام قال فيه:

مولاتُنا يا غلام مُبتكرَهْ ... فباكرِ الكأس لي بلا نظرَهْ[2]
غدتْ على اللهو والمجون، على ... أن الفتاة الحييَّة الخفرَه[3]
لحبِّها - لا عدمتها - حُرَقٌ ... مطويَّةٌ في الحشا ومُنتشره
ما ذُقت منها سوى مقبَّلها ... وضمِّ تلك الفروع منحدره[4]
وانتهرَتني فمتُّ من فرَقٍ ... يا حُسنها في الرِّضا ومنتهِرهْ![5]

---

(١) القصف: اللهو واللعب.

(٢) باكره: بكر إليه، يريد: أسرع إليّ بالكأس. النظرة: التأخير في الأمر.

(٣) الخفرة: وصف من الخفر بالتحريك وهو شدّة الحياء.

(٤) الفروع: جمع فرع، وهو الشعر التام.

(٥) انتهره ونهره: زجره. الفرق: الخوف والفزع.

ثم انثنت سَورة الُخمار بنا خلال تلك الغدائر الخَمِرَه[١]
وليلةٍ أشرفتْ بكلكلها عليَّ كالطَّيلسان مُعتجِره[٢]
فتَقتْ دَيجورها الى قمرٍ أثوابُه بالعفاف مُستتِره[٣]
عُجْ عبرات المدام نحويَ من عَشرٍ وعشرين واثنَيْ عشره[٤]
قد ذَكرَ الناسُ عن قيامهمُ ذِكرى بعقلي ما أصبحت نكِره[٥]
مَعرفتي بالصواب مَعرفةٌ غرّاءُ إمّا عرفتمُ النَّكِره[٦]
يا عجبا من أبي الخبيثِ ومن سُروحه في البقائر الدَّثِره[٧]
يحمل رأساً تنبو المعاول عن صَفحته والجلامد الوعِره[٨]
لو البغال الكُمت ارتقت سنداً فيه لمدّتْ قوائماً خدِره[٩]

(١) سورة الخمر : حدتها . وخمار الخمر : ما أصاب الشارب من ألمها وصداعها وأذاها . الغدائر : جمع غديرة ، وهي الخصلة من الشعر . الخمر بالتحريك : كل ما واراك من شجر وغيره . ومكان خمر (بفتح فكسر) : كثير الخمر . والغدائر الخمرة على التشبيه بذلك .

(٢) الكلكل : الصدر . الطيلسان : كساء من أكسية العجم أسود، فارسي معرب . والاعتجار : لبسة كالالتحاف .

(٣) الديجور : الظلام .

(٤) عاجه يعوجه : أماله وعطفه ، وأراد بعبرات المدام ما يصب منها في الكأس .

(٥) قيامهم : اي بعثهم يوم القيامة . نكرة : اسم من الإنكار كنفقة من الإنفاق .

(٦) غراء : معروفة مشهورة . إما : أصله إن ما ، وما زائدة بعد إن .

(٧) « من أبي الخبيث » يريد « من أبي الطيب » قلب كنيته الى الضد تهكماً به وزراية عليه . والبقير والبقيرة : برد يشق ثم تقلبه المرأة في عنقها من غير كمين ولا جيب، والجمع بقائر . الدثرة : الوسخة؛ وصف من الدثر (بالتحريك) وهو الوسخ.

(٨) تنبو : تكل . المعاول : جمع معول ، وهو الفأس العظيمة التي ينقر بها الصخر . والجلامد : جمع جلمد كجعفر وهو الصخر كالجلمود . والوعرة (بكسر العين) : ضد السهلة كالوعرة (بسكونها) .

(٩) الكمت : جمع كميت ، كسروه على مكبره المتوهم ، وصف من الكمتة : وهي لون بين السواد والحمرة . والسند : ما قابلك من الجبل وعلا عن السفح. وخدرت رجله كفرح : غشيها ثقل وفتور فلم تقو على المشي .

ولا المجانيق فيه مُغنيةٌ ألفٌ تسامى وألف مُنكدرَه[١]
أنظر الى موضع المِقص من الـهامة تلك الصفيحة العجرَه[٢]
فلو أخذتم لها المطارق حـرّانيّةً صنعة اليدِ الخبرَه[٣]
إذاً لراحتْ أكُفُّ جلّتهم كليلةً والأداةُ مُنكسره[٤]
كم طرباتٍ أفسدتُهنّ وكم صفوةِ عيشٍ غادرتها كدره
وكم إذا ما رأوك يا ملك الـموت لهم من أناملٍ خصره[٥]
وكم لهم دعوة عليك وكم قذفةِ أمٍّ شنعاء مُشتهره
كريةٍ اوُمّك استخفّ بها ونالها بالمثالب الأشره[٦]
قِفوا على رَحله تروا عجباً في الجهل يحكي طرائف البصره[٧]
يا كلَّ مَنيٍ وكلَّ طالعةٍ نَحسٍ ويا كلَّ ساعةٍ عسره[٨]
سبحان مَن يُمسك السماء على الـأرض وفيها أخلاقك القذره

---

(١) المجانيق : جمع منجنيق (بفتح الميم وتكسر) : آلة ترمى بها الحجارة ، معرّبة . ومنكدرة ، من انكدرت النجوم أي تناثرت ، وانكدر أيضاً : أسرع وانقض . وانكدر عليه القوم : انصبوا .

(٢) الصفيحة : الحجر العريض . والعجرة : الضخمة الصلبة .

(٣) حرانية : نسبة إلى حران ، وهي مدينة على طريق الموصل والشام والروم ، وقرية من قرى حلب ، وقرية بغوطة دمشق . وخبر بالشيء : عالم به . مثل خبير وخابر .

(٤) جلّتهم : كبارهم .

(٥) خصرة : باردة . وتبرد أطراف المرء عند نزول الموت به .

(٦) المثالب : العيوب .

(٧) الرحل : المنزل والمسكن . والبصرة : بلد معروف بالعراق وهو بفتح الباء ، وكسرها ، ويحرك ، وتكسر الصاد .

(٨) منى : يقال : مناه يمنوه منواً : اذا ابتلاه ، ومني ببلية : ابتلى بها .

قصته مع زوجة ورد :

قال : وكان عبد السلام قد اشتهر بجارية نصرانية من أهل حمص هويها وتمادى به الامر حتى غلبت عليه وذهبت به . فلما اشتهر بها دعاها الى الاسلام ليتزوّج بها ، فأجابته لعلمها برغبته فيها ، وأسلمت على يده ، فتزوّجها ، وكان اسمها وَرداً ؛ في ذلك يقول :

أنظر الى شمس القصور وبدرها   والى خُزامِاها وبهجة زهرها[1]
لم تبلُ عينك أبيضاً في أسودٍ   جمع الجمال كوَجهها في شَعرها[2]
وَرديّةُ الوجنات يختبر اسمها   من ريقها من لا يحيط بخُبرها
وتمايلتْ فضحكت من أردافها   عجباً ولكنّي بكيت لخصرها
تسقيك كأس مُدامةٍ من كفِّها   وَرديّةً ومُدامــة من ثغرها

قال : وكان قد أعسر واختلّت حاله، فرحل الى سلمية[3] قاصداً لأحمد بن عليّ الهاشمي ، فأقام عنده مدّةً طويلة ، وحمل ابن عمه بُغضه إيّاه بعد مودّته له وإشفاقه عليه بسبب هجائه له على أن أذاع على تلك المرأة التي تزوّجها عبد السلام أنها تهوى غلاماً له ، وقرّر ذلك عند جماعة من أهل بيته وجيرانه وإخوانه ، وشاع ذلك الخبر حتى أتى عبد السلام ، فكتب الى أحمد بن عليّ شعراً يستأذنه في الرجوع الى حمص ويُعلمه ما بلغه من خبر المرأة من قصيدة أوّلها :

إنّ رَيب الزمان طال انتكاثُه   كم رمتني بحادثٍ أحداثُه[4]

(١) الخزامى : نبت زهره أطيب الأزهار نفحة .

(٢) لم تبل : لم تختبر ولم تر .

(٣) سلمية : بليدة بالشام من أعمال حمص .

(٤) انتكاثه : انتقاضه .

يقول فيها :

ظَبيُ أنسٍ قلبي مَقيل ضُحاهُ وفؤادي بريرُه وكباثُه[١]

وفيها يقول :

خِيفةً أن يخون عهدي وأن يُضحي لغيري حُجوله ورِعاثُه[٢]

ومدح أحمد بعد هذا ؛ وهي طويلة . فأذن له فعاد الى حمص ؛ وقدّر ابن عمه وقت قدومه ، فأرصد له قوماً يُعلمونه بموافاته باب حِمص . فلمّا وافاه خرج اليه مستقبلاً ومعنِّفاً على تمسّكه بهذه المرأة بعد ما شاع من ذكرها بالفساد ، وأشار عليه بطلاقها ، وأعلمه أنها قد أحدثتْ في مغيبه حادثةً لا يجمل به معها المقام عليها ، ودسّ الرجل الذي رماها به ، وقال له : إذا قدم عبد السلام ودخل منزله فقِفْ على بابه كأنك لم تعلم بقدومه ، ونادِ باسم وَرد ؛ فإذا قال : مَن أنت ؟ فقل : أنا فلان . فلمّا نزل عبد السلام منزله وألقى ثيابه ، سألها عن الخبر وأغلظ عليها ، فأجابته جواب مَن لم يعرف من القصة شيئاً. فبينا هو في ذلك إذ قرع الرجل الباب فقال : مَن هذا ؟ فقال : أنا فلان . فقال لها عبد السلام : يا زانية ، زعمتِ أنك لا تعرفين من هذا الأمر شيئاً ! ثم اخترط سيفه فضربها به حتى قتلها ، وقال في ذلك :

ليتني لم أكن لعطفك نِلتُ والى ذلك الوصال وصلتُ
فالذي مِنّيَ اشتملت عليه ألِعارٍ ما قد عليه اشتملت
قال ذو الجهل قد حَلُمتَ ولا أعلم أني حَلُمت حتى جهلت
لائمٌ لي بجهله ولماذا أنا وحدي أحببت ثم قتلت !

---

(١) البرير : الأول من ثمر الاراك . والكباث : النضيج منه .

(٢) حجول : جمع حجل وهو الخلخال . ورعاث : جمع رعثة كوردة ورقبة ، وهي القرط .

سوف آسى طول الحياة وأبكيـــك عـلى ما فعلتِ لا ما فعلتُ

وقال فيها أيضاً :

لـك نفسٌ مُواتيه[1] والمنـايا مُعـاديه

أيّها القلب لا تعـدْ لهوى البيض ثانيـه

ليس برقٌ يكون أخـلب من برقِ غـانيه[2]

خنتِ سِرّي ولم أَخنـكِ فموتي عـلانيه

قال : وبلغ السلطان الخبر فطلبه ، فخرج الى دمشق فأقام بها أياماً . وكتب أحمد بن عليٍّ الى أمير دمشق أن يُؤمّنه ، وتحمّل عليه بإخوانه حتى يستوهبوا جنايته . فقدم حمص وبلغه الخبرُ على حقيقته وصحّته ، واستيقنه فندم ، ومكث شهراً لا يستفيق من البكاء ، ولا يطعم من الطعام إلّا ما يقيم رمقه . وقال في ندمه على قتلها :

يا طلعةً طلع الحمام عليهـا وجنى لها ثمر الرَّدى بيديها

روّيتُ من دمها الثرى ولطالما روّى الهوى شفتيّ من شفتيها

قد بات سيفي في مجال وِشاحها ومدامعي تجري على خديّها[3]

فوَحقّ نعلَيها وما وطئ الحصى شيءٌ أعزّ عـليّ من نعلَيها

ما كان قتليها لأنيَ لم أكن أبكي اذا سقط الذُّباب عليها

لكن ضننتُ على العيون بحسنها وأنِفتُ من نظر الحسود اليها

(١) مواتية : موافقة مطاوعة .

(٢) أخلب : أخدع ، من خلبه كنصره : خدعه ؛ والغانية : المرأة التي تطلب ولا تطلب ، أو الغنية بحسنها عن الزينة .

(٣) الوشاح : أديم عريض يرصع بالجوهر تشده المرأة بين عاتقها وكشحها .

وهذه الأبيات تروى لغير ديك الجن .

أخبرني بها محمد بن زكريا الصحاف قال : حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال : حدثني محمد بن منصور قال :

كان من غطفان رجلٌ يقال له السُّليك بن مجمّع ، وكان من الفرسان ، وكان مطلوباً في سائر القبائل بدماء قومٍ قتلهم ، وكان يهوى ابنة عمٍّ له ، وكان خطبها مدّةً فمنعها أبوها ، ثم زوّجه إياها خوفاً منه ، فدخل بها في دار أبيها ثم نقلها بعد أسبوع الى عشيرته ، فلقيه من بني فزارة ثلاثون فارساً كلّهم يطلبه بذَحلٍ[1] ، فحلّقوا عليه ، وقاتلهم وقتل منهم عدداً ، وأثخن بالجراح آخرين ، وأُثخن هو حتى أيقن بالموت . فعاد اليها فقال : ما أسمح بك نفساً لهؤلاء ، وإني أُحِبّ أن أقدّمك قبلي . قالت : افعل ، ولو لم تفعله أنت لفعلته أنا بعدك . فضربها بسيفه حتى قتلها ، وأنشأ يقول :

يا طلعة طلع الحمام عليها

وذكر الابيات المنسوبة الى ديك الجن ، ثم نزل اليها فتمرّغ في دمها وتخضّب به ، ثم تقدّم فقاتل حتى قُتل . وبلغ قومه خبره ، فحماوه وابنة عمه فدفنوهما . قال : وحفظت فزارة عنه هذه الأبيات فنقلوها . قال : وبلغني أنّ قومه أدركوه وبه رمق ، فسمعوه يردّد هذه الابيات ، فنقلوها وحفظوها عنه ، وبقي عندهم يوماً ثم مات .

وقال ديك الجن في هذه المقتولة[2] :

(١) الذحل : الثأر .

(٢) في ابن عساكر : « وكان له غلام كالشمس وجارية كالقمر ، وكان يهواهما جميعاً ، فدخل يوماً منزله، فوجد الجارية معانقة للغلام تقبله ، فشدّ عليهما فقتلهما ، ثم جلس عند رأس الجارية فبكاها طويلاً ، ثم قال : يا طلعة طلع الحمام ... ... الأبيات، ثم جلس عند رأس الغلام فبكاه وأنشأ يقول : « أشفقت ان يرد الزمان ... الأبيات » .

أشفقتُ أن يَرِدِ الزمان بغدره ... أو أبتلى بعد الوصال بهجره
قمرٌ أنا استخرجتُه من دَجنه ... لِبَليَّتي وجلَوتُـه من خدره
فقتلته وله عليَّ كرامةٌ ... مِلءَ الحشى وله الفؤاد بأسره
عهدي به ميتاً كأحسن نائم ... والحزن يسفح عبرتي في نحره
ولو كان يدري الميت ماذا بعده ... بالحيِّ حلَّ بكى له في قبره
غُصَصٌ تكاد تفيظ منها نفسه ... وتكاد تخرج قلبه من صدره [1]

وقال فيها أيضاً :

أساكن حُفرةٍ وقرار لَحدٍ ... مُفارق خُلَّةٍ من بعد عهدٍ [2]
أجبني إن قدرتَ على جوابي ... بحقِّ الوُدِّ كيف ظللتَ بَعدي
وأين حللتَ بعد حلول قلبي ... وأحشائي وأضلاعي وكَبدي ؟
أما والله لو عاينتَ وَجدي ... اذا استعبرتُ [3] في الظلمات وحدي
وجدَّ تنفُّسي وعلا زفيري ... وفاضتْ عَبرتي في صحن خدّي
إذاً لعلمتَ أنِّي عن قريبٍ ... ستُحفَرُ حُفرتي ويشقُّ لَحدي
ويعذُلني السفيه على بُكائي ... كأني مبتلًى بالحزن وحدي
يقول قتلتَها سفهاً وجهلاً ... وتبكيها بكاءً ليس يُجدي
كصيَّاد الطُّيور له انتحابٌ ... عليها وَهوَ يذبحها بحدِّ

وقال فيها أيضاً :

ما لامرئٍ بيدِ الدهر الخئون يدُ ... ولا على جَلَدِ الدنيا له جلدُ
طوبى لأحباب أقوامٍ أصابهمُ ... من قَبل أن عشِقوا موت فقد سعدوا

(١) فاظت نفسه تفيظ : خرجت روحه ، مثل فاضت تفيض .

(٢) الخلة : الصديق للذكر والأنثى والواحد والجمع .

(٣) استعبر : جرت عبرته .

وحقِّهم إنّه حقٌّ أضِنُّ بـه لأنفـدَنَّ لهم دمعي كما نفدوا
يا دهرُ إنّـك مَسقيٌّ بكأسهمُ ووارِدٌ ذلك الحوضَ الذي وردوا
الَخلق ماضون والأيامُ تتبعهم نفنى جميعاً ويبقى الواحـد الصمد

وقال فيها :

أما آن للطَّيفِ أن يأتيـا وأن يطرُق الوطن الدّانيـا
وإنّي لأحسب ريبَ الزّما ن يتركني جسداً باليـا
سأشكر ذلـك لا ناسياً جميـل الصَّفاء ولا قاليا[1]
قـد كنت أنشره ضاحكاً فقـد صِرت أنشره باكيا

وقال أيضاً :

قُل لمن كان وجهـه كضياء الشَّـمس في حُسنه وبَـدرٍ مُنيرِ
كنت زَين الأحياء إذ كنت فيهم ثم قد صِرت زَين أهـل القبور
بأبي أنت في الحيـاة وفي المو ت وتحت الـثّرى ويوم النشور
خُنتني في المغيب والخون نُكرٌ وذميمٌ في سالفـات الدّهور
فشفـاني سيفي وأسرع في حَـزّ الـتراقي قطعاً وحزّ النحور

شعره في غلامه بكر :

قال أبو الفرج : ونسخت من هذا الكتاب قال :

كان ديك الجن يهوى غلاماً من أهل حِمص يقال له بكر ، وفيه يقول وقد جلسا يوماً يتحدّثان إلى أن غاب القمر :

دَعِ البدر فليغرُب فأنت لنا بدرُ اذا ما تجلّى من محاسنك الفجرُ

---

(١) قاليا : مبغضاً كارهاً .

اذا ما انقضى سِحر الذين ببابلٍ فطرفُك لي سِحرٌ وريقك لي خمرُ [١]
ولو قيل لي قمْ فادعُ أحسن من ترى لصحتُ بأعلى الصوت يا بكر يا بكر

قال : وكان هذا الغلام يُعرف ببكر بن دهمرد . قال : وكان شديد التمنُّع والتصوُّن ، فاحتال قومٌ من أهل حِمص فأخرجوه الى مُتنزَهٍ [٢] لهم يعرف بمياس ، فأسكروه وفسقوا به جميعاً ، وبلغ ديك الجنّ الخبرُ فقال فيه :

قُل لهضيم الكشح ميَّاسِ انتقض العهد من الناسِ [٣]
يا طلعة الآس التي لم تَمِدْ إلّا أذلّتْ قُضُب الآس [٤]
وِثقتَ بالكأس وشُرّابها وحتفُ أمثالك في الكاس [٥]
وحال مياسُ وبا بعدما بين مغيثيك ومياس
تقطيعُ أنفاسك في أثرهم ومَلكهم قطّع أنفاسي [٦]
لا بأس مولايَ ، على أنها نهاية المكروه والباس
هي الليالي ولها دولةٌ ووحشة من بعد إيناس
بَينا أنافتْ وعلتْ بالفتى إذ قيل حطّته على الرّاس
فالهُ ودعْ عنك أحاديثهم سيصبح الذّاكر كالنّاسي

وقال فيه أيضاً :

يا بكرُ ما فعلتْ بك الأرطالُ يا دارُ ما فعلتْ بك الأيام [٧]

---

(١) بابل : مدينة بالعراق ينسب إليها السحر والخمر .

(٢) في الأصول «منتزه» .

(٣) هضيم الكشح : ضامر الخصر . ومياس : متبختر .

(٤) الآس : شجر عطر الرائحة . وماد يميد : تحرك وتبختر .

(٥) في الأصول «وحيف» .

(٦) الأثر : إكثار الفحل من ضراب الناقة ؛ وقد أثرها كنصر . وملكهم : من ملك العجين كضرب ملكاً : أنعم عجنه . كملكه وأملكه .

(٧) الأرطال : يعني بها ارطال الخمر .

في الدار بعدُ بقيّةٌ نستامُها إذ ليس فيك بقيّةٌ تُستامُ [١]
عرم الزمان على الديار برغمهم وعليك أيضاً للزمان عُرام [٢]
شغل الزمان كراك في ديوانه فتفرّغتْ لدواتك الأقلام

وقال فيه أيضاً :

قولا لبكر بن دهمرد اذا اعتكرتْ عساكر الليل بين الطاس والجام [٣]
ألم أقل لك إنّ البغيَ مَهلكةٌ والبغيُ والعُجب إفسادٌ لأقوام
قد كنت تفرق مِن سَهمٍ بغانيةٍ فصرت غير رميمٍ رقعةَ الرامي [٤]
وكنت تفزع من لمسٍ ومن قُبَلٍ فقد ذللت لإسراجٍ وإلجام
إن تَدمَ فخذاك من ركضٍ فربّتما أمسي وقلبي عليك الموجع الدامي

أخبرني أبو المعتصم عاصم بن محمد الشاعر بأنطاكية ، وبها أنشدني قصيدة البحتري :

ملامك إنه عهدٌ قريبُ ورُزء ما انقضت منه الندوبُ [٥]

وأنشدني لديك الجنّ يعزّي جعفر بن عليّ الهاشمي :

نغفلُ والأيام لا تغفُلُ ولا لنا من زمنٍ مَوئلُ

---

(١) السوم : عرض السلعة على البيع ، واستامه إياها : غالى .

(٢) عرم : اشتدّ .

(٣) اعتكر الليل : اشتد سواده والتبس ، واعتكروا : اختلطوا في الحرب ، واعتكر العسكر : رجع بعضهم على بعض فلم يقدر على عدّهم . والجام : إناء من فضة .

(٤) تفرق : تفزع . واراد بسهم الغانية : عينها . غير رميم : غير بال .

(٥) البيت مطلع قصيدة للبحتري يرثي غلامه قيصر . ملامك : أي دع ملامك واكفف .

والدهرُ لا يسلمُ من صرفه أعصمُ في القُنَّة مُستوعِلُ [١]
يتَّخِــذُ الشِّعرى شعاراً له كأنما الأفْقُ له مـــنزل [٢]
كأنه بين شناظيرهـــا بارقةٌ تكمن أو تمثـــل [٣]
ولا حبابٌ صلتـــان السرى أرقم لا يعرف ما يجهـــل [٤]
نضناض فَيفـــاء يرى أنه بالرمل غـــانٍ وهو المُرمل [٥]
يطلب من فاجئةٍ مَعقـــلاً وهوَ لما يطلبُ لا يعقـــل
والدهر لا يسلم من صرفـــه مُسربـــلٌ بالسَّرد مستبسل [٦]
ولا عَقنباةُ السُّلامى لهـــا [٧] في كل أُفقٍ علقٌ مُهمـــل
فَتخاء في الجوّ خـــداريَّةٌ كالغيم والغيم لهـــا مُثقل [٨]
آمَن مَن كان لصرْف الردى أنزلها من جوّهـــا مُنزلُ

(١) صرف الدهر : حدثانه ونوائبه . والاعصم من الوعول : ما في ذراعيه أو في إحداهما بياض وسائره أسود أو أحمر . والقنة : أعلى الجبل كالقلة . واستوعل الوعل : اذا ذهب في قلة الجبل .

(٢) الشعرى : كوكب نير يطلع بعد الجوزاء ، وهما شعريان : الشعرى العبور ، والشعرى الغميصاء . وأصل الشعار : ما ولي شعر الجسد من الثياب .

(٣) شناظير الجبل : أطرافه وحروفه ، الواحد شنظير كخنزير .

(٤) الحباب : الحية ، وهو معطوف على أعصم . والصلتان : النشيط الحديد الفؤاد من الخيل . والسرى : سير عامة الليل . والارقم : أخبث الحيات وأطلبها للناس .

(٥) حية نضناض ونضناضة : لا تستقر في مكان ، أو اذا نهشت قتلت من ساعتها . والفيفاء والفيفاة : المفازة . غان : غنيّ . مرمل : من أرمل اذا نفد زاده .

(٦) السرد هنا : الدرع المسرودة أي المنسوجـــة . وسربله : ألبسه السربال ، وهو الدرع أو كل ما لبس .

(٧) العلق : الدم عامة أو الشديد الحمرة أو الغليظ او الجامد ، يريد بـــه دم الفرائس التي تصرعها العقاب .

(٨) الفتخاء من العقبان : اللينة الجناح . وخدارية : سوداء .

والدهر لا يحجبه مانع يحجبه العامل والمنصل[١]
يُصغي جديداه الى حُكمه ويفعل الدهر بما يفعل[٢]
كأنه من فَرطِ عزّ به أشوسُ إذ أقبل أو أقبل[٣]

الأقبل: الذي في عينه قبلٌ، وهو دون الحول.

في حسبٍ أوفى، له جحفلٌ يقدُمه مِن رأيه جحفلُ
بينا على ذلك إذ عرّشت في عرشه داهيةٌ ضِئبل[٤]
إن يكُ في العزّ له مِشقصٌ ماضٍ فقد تاح له مقتل[٥]
جاد على قبرك مِن مَيّتٍ بالرَّوح ربٌّ لك لا يبخل[٦]
وحنّت المزنُ على قبره بعارضٍ نجوتَه محفل[٧]
غيثٌ ترى الأرض على وَبله تضحك إلّا أنّه يَهمل[٨]

(١) مانع: أي سيد مسلط مانع لحوزته حام لثماره. وعامل الرمح وعاملته: صدره. والمنصل: السيف.

(٢) الجديدان: الليل والنهار.

(٣) الأشوس: الذي ينظر بمؤخر العين تكبراً أو تغيظاً.

(٤) عرشت: بنت عريشاً. والضئبل: الداهية.

(٥) المشقص: النصل العريض أو الطويل. وتاح له الشيء يتيح ويتوح: تهيأ.

(٦) الروح: الرحمة.

(٧) المزن: السحاب. والعارض: السحاب الذي يعترض في افق السماء. والنجوة: ما ارتفع من الارض فلم يعله السيل. والمحفل: مجتمع الماء حيث يحفل أي يجتمع.

(٨) الوبل: المطر الشديد الضخم القطر. وتضحك: يتفتح فيها الزهر، وهملت السماء: دام مطرها في سكون.

يصلُ والأرض تصلّي له ... مِن صلواتٍ معه تسألُ[١]
أنت أبا العبّاس عبّاسُها ... اذا استطار الحدث المعضل[٢]
وأنت ينبوع أفانينها ... اذا هُمُ في سنةٍ أمحلوا
وأنت علّام غيوب الثنا ... يوماً اذا نسأل أو نُسأل
نحن نعزّيك ومنك الهدى ... مُستخرجٌ والنور مُستقبل
نقول بالعقل وأنت الذي ... نأوي اليه وبه نعقل
نحن فداءٌ لك من أمّةٍ ... والأرض والآخر والأوّل
إذا غفا عنك وأودى بها ... ذا الدهر فهو المحسن المجمل[٣]

قال أبو المعتصم : ثم مات جعفر بن عليٍّ الهاشمي ، فرثاه ديك الجن فقال :

على هذه كانتْ تدور النوائبُ ... وفي كل جمع للذهاب مَذاهبُ
نزلنا على حُكم الزمان وأمره ... وهل يقبل النّصف الألدّ المشاغب[٤]؟
وتضحك سنّ المرء والقلب موجعٌ ... ويرضى الفتى عن دهره وهو عاتب
ألا أيها الركبان والردُّ واجبٌ ... قفوا حدّثونا ما تقول النوادب
إلى أيّ فتيان الندى قصد الردى ... وأيّهم نابت حماه النوائب
فيا لأبي العباس كم ردّ راغبٌ ... لفقدك ملهوفاً وكم جبّ غارب[٥]
ويا لأبي العبّاس إنّ مناكباً ... تنوء بما حمّلتها لنواكبُ
فيا قبره جُدّ كلّ قبرٍ بجوده ... ففيك سماءٌ ثرّةٌ وسحائبُ[٦]

---

(١) في الاصول « يصلي » وهو تحريف . ويصل : يصوّت .

(٢) استطار : انتشر وتفرّق .

(٣) غفا : نام نومة خفيفة .

(٤) النصف : الانصاف . والألدّ : الخصم الشحيح الذي لا يرجع الى الحق .

(٥) الغارب : الكاهل .

(٦) ثرّة : غزيرة . والجود : المطر الغزير .

فإنك لو تدري بما فيك من عُلا ... عَلوت وباتت في ذراك الكواكبُ[١]
أخاً كنت أبكيه دماً وهو نائمٌ ... حِذاراً وتعمى مُقلتي وهو غائب
فمات ولا صبري على الأجر واقفٌ ... ولا أنا في عُمرٍ الى الله راغب
أألسعى لأحظى فيك بالأجر إنه ... لسعي إذن مني لدى الله خائب
وما الإثم إلا الصبر عنك وإنما ... عواقب حمدٍ أن تذمّ العواقب
يقولون : مِقدارٌ على المرء واجبٌ ... فقلت : وإعوالٌ على المرء واجب
هو القلب لمّا حُمّ يومُ ابن أمّه ... وهى جانبٌ منه وأسقم جانب
ترشّفتُ أيامي وهنّ كوالحٌ ... عليك، وغالبتُ الرّدى وهو غالب
ودافعتُ في صدر الزّمان ونحره ... وأيُّ يدٍ لي والزمان محارب
وقلت له : خلّ الجواد لقومه ... وهأنذا فازدد فإنّا عصائب
فوالله إخلاصاً من القول صادقاً ... وإلّا فحبي آل أحمد كاذب
لو أنّ يدي كانت شفاء أو دمي ... دمَ القلب حتى يقضبَ القلب قاضب[٢]
لسلّمتُ تسليم الرضا وتخذتها ... يداً للرّدى ما حجّ لله راكب
فتًى كان مثل السيف من حيث جئته ... لنائبةٍ نابتك فهو مضارب
فتًى همه حمدٌ على الدهر رابحٌ ... وإن غاب عنه ماله فهو عازب
شمائل إن يشهد فهنّ مشاهدٌ ... عِظامٌ وإن يرحل فهنّ كتائب
بكاك أخٌ لم تحوه بقرابةٍ ... بلى إنّ إخوان الصفاء أقارب
وأظلمت الدنيا التي كنت جارها ... كأنك للدنيا أخٌ ومناسب
يبرّدُ نيران المصائبِ أنني ... أرى زمناً لم تبق فيه مصائب

أبيات له في أهل حمص وقد عزلوا إمام مسجدهم :

قال أبو الفرج : ونسخت من كتاب محمد بن طاهر عن أبي طاهر .

---

(١) ذراك : كنفك وظلك .

(٢) قضبه : قطعه .

إن خطيب أهل حمص كان يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر ثلاث مرات في خطبته ، وكان أهل حمص كلهم من اليمن ، لم يكن فيهم من مُضر إلا ثلاثة أبيات ، فتعصَّبوا على الإمام وعزلوه ؛ فقال ديك الجن :

سمعوا الصلاة على النبي تَوالى فتفرَّقوا شيعاً وقالوا : لا لا
ثم استمرَّ على الصلاةِ إمامهم فتحزَّبوا ورمى الرِّجال رجالا
يا آل حِمص توقَّعوا من عارها خزياً يحِلُّ عليكم ووبالا
شاهتْ وجوهكم وجوهاً طالما رغمتْ معاطسها وساءت حالا [1]

صوت

أيا بنة عبد الله وابنــة مالكٍ ويابنة ذي البردَين والفرس الوردِ
اذا ما صنعتِ الزاد فالتمسي له أكيلًا فإني لست آكله وَحدي

عَروضه من الطويل . الشعر لقيس بن عاصم المنقري ، والغناء لعلُّويه ، ثقيل أول بالوسطى .

(١) شاهت : قبحت . ورغم أنفه : ذل عن كره . والمعطس ، وزن مجلس ومقعد : الأنف .

أخبار قيس بن عاصم ونسبه

نسبه :

هو قيس بن عاصم بن سنان بن خالد بن مِنقر بن عُبيد بن مُقاعس . واسم مقاعس الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم . ويُكنى أبا عليّ . وأمّه أمّ أصعر بنت خليفة بن جَرول بن مِنقر .

بعض صفاته :

وهو شاعرٌ فارسٌ شجاع حليمٌ كثير الغارات ، مُظفَّرٌ في غزواته . أدرك الجاهليَّة والاسلام فساد فيهما . وهو أحد من وأد بناته[1] في الجاهلية ، وأسلم وحسن إسلامه ، وأتى النبي صلى الله عليه وسلم ، وصحبه في حياته ، وعمر بعده زماناً ، وروى عنه عدّة أحاديث .

أخبرني عمي الحسن بن محمد قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني علي ابن الصبَّاح عن ابن الكلبي عن أبيه قال :

وفد قيس بن عاصم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسأله بعض الانصار عمّا يتحدّث به عنه من الموءودات التي وأدهنّ من بناته ؛ فأخبر أنه ما وُلدت له بنتٌ قطُّ إلّا وأدها . ثم أقبل على رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدّثه فقال له : كنت أخاف سوء الأُحدوثة والفضيحة في البنات ، فما ولدت لي بنتٌ قطُّ

(١) وأد بنته : دفنها حية .

إلا وأدتها، وما رحمت منهن موءودة قط إلا بنيَّةً لي ولدتها أمها وأنا في سفر، فدفعتها أمها الى أخوالها فكانت فيهم؛ وقدِمتُ فسألت عن الحمل، فأخبرتني المرأة أنها ولدت ولداً ميّتاً. ومضت على ذلك سنون حتى كبرت الصبية ويفعت، فزارت أمها ذات يوم، فدخلتُ فرأيتها وقد ضفرت شعرها وجعلت في قرونها شيئاً من خَلوق[1] ونظمت عليها ودعاً، وألبستها قلادة جزعٍ[2]، وجعلتْ في عنقها مخنقة[3] بلح: فقلت، مَن هذه الصبية فقد أعجبني جمالُها وكيسها[4]؟ فبكت ثم قالت: هذه ابنتك، كنت خبّرتك أنّي ولدت ولداً ميّتاً، وجعلتها عند أخوالها حتى بلغتْ هذا المبلغ. فأمسكت عنها حتى اشتغلت عنها، ثم أخرجتها يوماً لحفرت لها حفيرةً فجعلتها فيها وهي تقول: يا أبتِ ما تصنع بي؟! وجعلتُ أقذف عليها التراب وهي تقول: يا أبتِ أمُغطّيَّ أنت بالتراب؟! أتاركي أنت وحدي ومنصرفٌ عنّي؟! وجعلت أقذف عليها التراب ذلك حتى واريتها وانقطع صوتها، فما رحِمتُ أحداً ممن واريته غيرها. فدمعتْ عينا النبيّ صلى الله عليه وسلم ثم قال: «إن هذه لقسوةٌ، وإنّ مَن لا يرحم لا يُرحم» أو كما قال صلى الله عليه وسلم.

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثنا أحمد بن الهيثم بن فراس قال: حدثني عمي أبو فراس محمد بن فراس عن عمر بن أبي بكّار عن شيخ من بني تميم عن أبي هريرة:

أن قيس بن عاصمٍ دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي حِجره بعض

---

(١) الخلوق. ضرب من الطيب.

(٢) الجزع بالفتح (ويكسر): الخرز اليماني الصيني، فيه سواد وبياض، تشبه به الاعين.

(٣) المخنقة: القلادة.

(٤) الكيس: العقل.

بناته يشمّها، فقال له: ما هذه السَّخلة[1] تشمُّها؟ فقال: هذه ابنتي. فقال: والله لقد وُلِدَ لي بنون ووأدتُ بُنيّات ما شممتُ منهن أنثى ولا ذكراً قط. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فهل إلا أن ينزع الله الرحمة من قلبك»!

سبب وأده لبناته:

قال أحمد بن الهيثم قال عمي فحدثني عبد الله بن الأهتم:

أن سبب وأد قيسٍ بناته أن المُشمرج اليشكري أغار على بني سعدٍ فسبى منهم نساء واستاق أموالاً، وكان في النساء امرأةٌ، خالها قيس بن عاصم، وهي رميم بنت أحمر بن جندلٍ السعدي، وأمّها أخت قيس. فرحل قيسٌ اليهم يسألهم أن يهبوها له أو يفدوها، فوجد عمرو بن المشمرج قد اصطفاها لنفسه. فسأله فيها، فقال: قد جعلت أمرها اليها فإن اختارتك فخذها. فخيّرتْ، فاختارت عمرو بن المشمرج. فانصرف قيس فوأد كل بنت، وجعل ذلك سنَّةً في كل بنتٍ تولد له، واقتدت به العرب في ذلك؛ فكان كل سيّد يولد له بنتٌ يئدُها خوفاً من الفضيحة.

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثني عمي عن العباس بن هشام عن أبيه عن جدّه قال:

تزوّج قيس بن عاصم المِنقري مَنفوسة بنت زيد الفوارس الضّبّي، وأتته في الليلة الثانية من بِنائه بها بطعام، فقال: فأين أَكيلي؟ فلم تعلم ما يريد؛ فأنشأ يقول:

أيابنةَ عبد الله وابنـة مالكٍ ويابنة ذي البردَين والفرس الوَردِ[2]

---

(١) السخلة: ولد الشاة.

(٢) ذو البردين: هو عامر بن أحيمر بن بهدلة بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم.

إذا ما صنعتِ الزاد فالتمسي له أكيلًا فإني لست آكله وحدي
أخاً طارقاً أو جار بيتٍ فإنّني أخاف ملامات الاحاديث من بعدي
وإني لعبد الضَّيفِ من غير ذلّةٍ وما بيَ إلّا تلك من شِيَم العبد

قال : فأرسلت جاريةً لها مليحة فطلبت له أكيلًا ، وأنشأت تقول له :

أبى المرء قيسٌ أن يذوق طعامه بغير أكيلٍ إنّه لكريمُ
فبوركتَ حياً يا أخا الجود والندى وبوركتَ ميتاً قد حوَتك رُجوم [١]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا دماذ عن أبي عبيدة قال :

جاور رجلٌ من بني القين من قضاعة قيس بن عاصم ، فأحسن جواره ولم يرَ منه إلّا خيراً حتى فارقه ، ثم نزل عند جُوَين الطائي أبي عامر بن جوَين ، فوثب عليه رجال من طيّء فقتلوه وأخذوا ماله ، فقال العبّاس بن مِرداس يهجوهم ويمدح قيساً :

لعمري لقد أوفى الجواد ابن عاصم وأحصن جاراً يوم يحدج بَكْرَه [٢]
أقام عزيزاً مُنتدى القوم عنده فلم يرَ سوءات ولم يخشَ غدره [٣]
أقام بسعدٍ يشرب الماء آمناً ويأكل وُسطاها ويربض حجره [٤]

---

(١) رجوم : تعني حجارة القبر .

(٢) أحصنه : منعه وحفظه . وحدج البعير كفرب : شدّ عليه الحدج والاداة ووسقه . والحدج : الحمل ، وزنا ومعنى . والبكر : الفتى من الابل .

(٣) المنتدى : مجلس القوم ومتحدثهم . وغدره : يجوز أن يكون بالتاء وبالهاء .

(٤) بسعد : أي ببني سعد وهم قوم قيس بن عاصم . ويأكل وسطاها ، من أمثال العرب : « يرتعي وسطاً ويربض حجرة » والوسط من المرعى : خياره ، اي يرتعي أوسط المرعى وخياره ما دام القوم في خير ، فإذا أصابهم شر اعتزلهم . وربض حجرة أي ناحية .

فإنك إذ بادلت قيس بن عاصم ٭ جُوَيناً لمختار المنازل شرَّه[١]
فأصبح يحدو رحله بمفازة ٭ وماذا عدا جاراً كريماً وأسره[٢]
يظل بأرض الغدر يأكل عهده ٭ جُوَيْنٌ وشمخٌ خاربين بوَجره[٣]
يذمَّن بالأزواد والزاد محرَمٌ ٭ سَروقان من عِرق شروراً وفَجرَه[٤]

أخبرني أحمد بن العبّاس العسكري قال حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال حدثني دماذ عن أبي عبيدة قال، قال الأحنف :

ما تعلمت الحلم إلّا من قيس بن عاصم المنقري، فقيل له : وكيف ذلك يا أبا بحر ؟ فقال : قتل ابن أخ له ابناً له فأتى بابن أخيه مكتوفاً يقاد اليه، فقال : ذعرتم الفتى . ثم أقبل عليه فقال : يا بُنيّ، نقصتَ عددك، وأوهيتَ[٥] ركنك، وفتتّ في عضدك، وأشمتّ عدوّك، وأسأت بقومك . خلّوا سبيله، واحملوا الى أم المقتول ديته، قال : فانصرف القاتل وما حلّ قيس حَبوته[٦]، ولا تغير وجهه .

---

(١) شرة : مفعول مختار، وشرة وشرى أيضاً كفضلى مؤنث شر .

(٢) حدا البعير : ساقه، والمفازة : الفلاة لا ماء بها . وأسرة الرجل : عشيرته ورهطه الأدنون لأنه يتقوى بهم .

(٣) يأكل عهده : يريد «ينكث» من قولهم أكل فلان عمره . أفناه . وشمخ : اسم رجل . والخارب : اللص، وجرة : اسم موضع .

(٤) أذم به : تهاون، والازواد جمع زاد . المحرم : الحرمة التي لا يحل انتهاكها، والعرق : الاصل . والفجرة : الفجور .

(٥) وهى الحائط : ضعف وهم بالسقوط، وأوهاه هو . فت في عضده : أضعفه .

(٦) احتبى : جمع بين ظهره وساقيه بعمامة ونحوها، والاسم الحبوة (بفتح وبضم) .

وفوده على الرسول عليه السلام :

أخبرني عبيد الله الرازي قال حدثنا أحمد بن الحارث الخراز عن المدائني عن ابن جُعدبة وأبي اليقظان قالا :

وفد قيس بن عاصم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال النبي عليه الصلاة والسلام : « هذا سيّد أهل الوَبر » .

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثنا أبو حاتم عن أبي حاتم قال :

جاور داريٌّ[١] كان يتَّجر في أرض العرب قيس بن عاصم ، فشرب قيسٌ ليلةً فسكر ، فربط الداريّ وأخذ ماله ، وشرب من شرابه فازداد سُكراً ، وجعل من السكر يتطاول ويُثاور[٢] النجوم ليغلبها وليتناول القمر ، وقال :

وتاجرٍ فاجرٍ جاء الإله بـه   كأن عُثنونه أذناب أجمالِ[٣]

ثم قسم صدقة النبي صلى الله عليه وسلم في قومه وقال :

ألا أبلغا عني قُرَيشاً رسالةً   اذا ما أتتهم مُهديات الودائعِ
حبَوت بما صدقت في العام منقراً   وأيأستُ منها كل أطلس طامعِ[٤]

قال : فلما فعل بالداريّ ما فعل وسكر ، جعل ماله نُهبى[٥] ، فلم تزل امرأته

(١) داريّ : من الداريين ، وهم بنو عبد الدار بن هانيء بن حبيب بن نمارة بن لخم بن عدي ، ينتهي نسبهم إلى كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان .

(٢) ثاوره مثاورة وثوارا : واثبه .

(٣) العثنون من اللحية : ما نبت على الذقن وتحته سفلاً . وأجمال : جمع جمل .

(٤) حباه : أعطاه بلا جزاء ولا منّ ، اوهو عام . والمصدق : آخذ الصدقات ، والمتصدق : معطيها . والاطلس هنا : اللص الخبيث .

(٥) النهبى : اسم للمنهوب ، كالنهبة بالضم .

تسكّنه حتى نام. فلما أصبح أُخبر بما كان منه، فآلى ألّا يُدخل الخمر بين أضلاعه أبداً.

أخبرني وكيع قال حدثنا المدائني قال:

ولي قيس بن عاصم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقات بني مقاعص والبطون كلّها، وكان الزبرقان بن بدر قد ولي صدقات عوف والأبناء[1]. فلما توفّي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد جمع كل واحد من قيس والزّبرقان صدقات مَن وليَ صدقته دسّ اليه الزّبرقان مَن زيّن له المنع لما في يده وخدعه بذلك، وقال له: إن النبي صلى الله عليه وسلم قد توفّي، فهلمّ نجمع هذه الصدقة ونجعلها في قومنا؛ فإن استقام الامر لأبي بكر وأدّت العرب اليه الزكاة جمعنا له الثانية. ففرّق قيس الإبل في قومه؛ فانطلق الزبرقان الى أبي بكر بسبعمائة بعير فأدّاها اليه، وقال في ذلك:

وَفيتُ بأذواد النبيّ محمدٍ وكنت امرأً لا أُفسد الدّين بالغدرِ[2]

فلما عرف قيس ما كاده به الزبرقان قال: لو عاهد الزّبرقان أمّه لغدر بها.

أخبرني عبد الله بن محمد الرازي قال حدثنا الحارث بن أبي أسامة قال حدثنا المدائني، وأخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا ثعلب عن ابن الأعرابي قال:

قيل لقيس بن عاصم: بماذا سُدت؟ قال: ببذل الندى، وكفّ الأذى، ونصر الموالي.

---

(١) الأبناء، هم خمس من ولد سعد بن زيد مناة بن تميم، وهم عبد شمس ومالك وعوف وعوانة وجشم.

(٢) الذود: ثلاثة أبعرة إلى العشرة، وقيل غير ذلك، والجمع أذواد.

أخبرني وكيع قال حدثنا العمري عن الهيثم قال:

كان قيس بن عاصم يقول لبنيه: إياكم والبغيَ؛ فما بغى قومٌ قطُّ إلا قلُّوا وذلُّوا. فكان بعض بنيه يلطمه قومه أو غيرهم فينهي إخوته عن أن ينصروه.

أخبرني عبيد الله بن محمد الرازي قال حدثنا الحارث عن المدائني عن ابن جعدبة: أن قيس بن عاصم قال:

أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فرحّب بي وأدناني؛ فقلت: يا رسول الله، المال الذي لا يكون عليّ فيه تبعةٌ ما ترى في إمساكه لضيفٍ إن طرقني، وعيالٍ إن كثروا عليّ؟ فقال: «نِعم المال[1] الأربعون، والاكثر الستون، وويلٌ لأصحاب المئين – ثلاثاً – إلا من أعطى من رسلها[2] وأطرق[3] فحلها، وأفقر ظهرها[4]، ومنح غزيرتها[5]، وأطعم القانع والمعتر[6]». فقلت له: يا رسول الله، ما أكرم هذه الاخلاق! إنه لا يحلّ بالوادي الذي أنا فيه من كثرتها. قال: «فكيف تصنع في الاطراق؟» قلت: يغدو الناس، فمن شاء أن يأخذ برأس بعير ذهب به، قال: «فكيف تصنع في الإفقار؟» فقلت إني لأفقر الناب[7] المدبرة والضَّرع[8]

(١) أكثر ما يطلق المال عند العرب على الابل؛ لانها كانت أكثر اموالهم.

(٢) الرسل: اللبن.

(٣) اطرقه فحله: اعاره اياه ليضرب في إبله.

(٤) الظهر: الابل التي يحمل عليها ويركب. وأفقره بعيره: أعاره اياه يركب ظهره في سفر او يحمل عليه ثم يرده.

(٥) منح غزيرتها: اعطاها من يحلبها ويردها.

(٦) القانع هنا: الذي يسأل، والمعتر: المتعرض للمعروف من غير ان يسأل.

(٧) الناب: الناقة المسنة. والمدبرة: الهرمة، التي هرمت فادبر خيرها.

(٨) الضرع: الصغير من كل شيء، أو الصغير السن الضعيف الضاوي النحيف. وككتف: الضعيف.

الصغيرة . قال : « فكيف تصنع في المنيحة ؟ » قلت : إني لأمنح في السنة المائة . قال : « إنما لك من مالك ما أكلت فأفنيت ، أو لبست فأبليت ، أو تصدّقت فأبقيتَ » .

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي حدثنا أبو غسّان دماذ عن أبي عبيدة قال :

قيس بن عاصم هو الذي حفز الَحوفزان بن شريكٍ الشَّيباني ، طعنه في استه في يوم جدود[1] .

وكان من حديث ذلك اليوم أن الحارث بن شريك بن عمرو الصُّلب بن قيس بن شراحيل بن مرّة بن همَّام كانت بينه وبين بني يربوع مُوادعةٌ ، ثم همّ بالغدر بهم ، فجمع بني شيبان[2] وبني ذُهلٍ واللَّهازم : قيس بن ثعلبة وتَيم الله بن ثعلبة وغيرهم ، ثم غزا بني يربوع ، فنذر[3] به عتيبة بن الحارث بن شهاب بن شريكٍ ، فنادى في قومه بني جعفر بن ثعلبة من بني يربوع فوادعه . وأغار الحارث بن شريكٍ على بني مقاعس وإخوتهم بني رُبيع فلم يجيبوهم ، فاستصرخوا بني مِنقرٍ فركبوا حتى لحقوا بالحارث بن شريك وبكر بن وائل وهم قائلون[4] في يومٍ شديد الحرّ . فما شعر الحوفزان إلّا بالأهتم بن سميّ بن سنان بن خالد بن مِنقرٍ — واسم الأهتم سنان — وهو واقف على رأسه ، فوثب الحوفزان الى فرسه فركبه وقال للأهتم : مَن أنت ؟ فانتسب له ، وقال : هذه منقر قد أتتك . فقال الحوفزان : فأنا الحارث بن شريك ! فنادى الأهتم : يا آل سعد ! ونادى الحوفزان : يا آل وائل !

(١) جدود : اسم موضع في أرض بني تميم قريب من حزن بني يربوع على سمت اليمامة .

(٢) شيبان : حي من بكر بن وائل .

(٣) نذر به كفرح : علمه فحذره .

(٤) القائلة : نصف النهار ، وقال : نام في القائلة ، فهو قائل .

وحمل كلّ واحد منهما على صاحبه، ولحقت بنو منقر، فاقتتلوا أشدّ قتال وأبرحه[١]، ونادت نساء بني رُبيع : يا آل سعد ! فاشتدّ قتال بني منقر لصياحهن، فهزمت بكر بن وائل، وخلّوا مَن كان في أيديهم من بني مقاعس، وما كان في أيديهم من أموالهم، وتبعتهم بنو منقر بين قتل وأسر ؛ فأسر الأهتم حُمران بن عبد عمرو، وقصد قيس بن عاصم الحوفزان، ولم يكن له همّة غيره، والحارث على فرس له قارح[٢] يدعى الزّبد، وقيس على مهر، فخاف قيس أن يسبقه الحارث، فحفزه بالرمح في استه، فتحفّز به الفرس فنجا، فسمّي الحوفزان. وأطلق قيس أموال بني مُقاعس وبني رُبيع وسباياهم، وأخذ أموال بكر بن وائل وأساراهم. وانتقضت طعنة قيس على الحوفزان بعد سنة فمات. وفي هذا اليوم يقول قيس ابن عاصم :

جزى الله يربوعاً بأسوأ فعلها ... إذا ذكرت في النائبات أمورُها
ويوم جدود قد فضحتم ذماركم ... وسالمتم والخيل تَدمى نحورها[٣]
ستخطم سعدٌ والرّباب أنوفكم ... كما حزّ في أنف القضيب جريرها[٤]

وقال سوّار بن حيّان المنقري :

ونحن حفزنا الحوفزان بطعنة ... سقته نجيعاً من دم الجوف أشكلا[٥]

(١) أبرحه : أشدّه وأشقه.

(٢) قرح الفرس قروحاً : إذا ألقى أقصى اسنانه، وذلك إذا استتم الخامسة ودخل في السادسة. والزبد ككتف.

(٣) الذمار : ما يلزمك حفظه وحمايته.

(٤) خطمه : ضرب أنفه، والرباب : خمس قبائل تجمعوا فصاروا يداً واحدة، وهم ضبة وثور وعكل وتيم وعدي ؛ والقضيب : الناقة التي لم ترض. والجرير : الزمام.

(٥) حفزه بالرمح طعنه. والنجيع من الدم : ما كان الى السواد، أو دم الجوف. والأشكل ما يخلط سواده حمرة.

وحُمران قسراً أنزلته رماحنا فعالج غُلّاً في ذراعيه مُقفلا

قال: وأغار قيس بن عاصم أيضاً على اللهازم، فتبعه بنو كعب بن سعد بالنِّباج وثَيتَل[1]، فتخوّف أن يكره أصحابه لقاء بكر بن وائل، وقد كانوا يتناجون[2] في ذلك، فقام ليلاً فشقّ مَزادهم[3]، لئلا يجدوا بُدّاً من لقاء العدوّ، فلما فعل ذلك أذعنوا بلقائهم وصبروا له، فأغار عليهم، فكان أشهرُ يوم يوم ثَيتل لبني سعد، وظفر قيسٌ بما شاء، وملأ يديه من أموالهم وغنائمهم. وفي ذلك يقول ابنه عليّ[4] بن قيس بن عاصم:

أنا ابنُ الذي شقّ المزاد وقد رأى بثَيتل أحياء اللهازم حُضَّرا
فصبّحهم بالجيش قيسُ بن عاصمٍ وكان اذا ما أورد الأمر أصدرا

قال: وأغار قيسٌ أيضاً ببني سعد على عبد القيس، وكان رئيس بني سعدٍ يومئذٍ سنان بن خالد، وذلك بأرض البحرين، فأصابوا ما أرادوا، واحتالت عبد القيس في أن يفعل ببني تميم كما فُعل بهم بالمُشقَّر[5] حين أغلق عليهم بابه فامتنعوا، فقال في ذلك سوّار بن حيّان:

فيا لك من أيام صِدقٍ أَعدُّها كيوم جُؤاثَى والنِّباج وثَيتلا[6]

---

(١) النباج: موضع من البصرة على عشر مراحل. وثيتل: ماء قرب النباج.

(٢) يتناجون: يتسارّون.

(٣) المزادة: الراوية التي يحمل فيها الماء. قال أبو عبيد: لاتكون إلا من جلدين تفأم بجلد ثالث بينهما لتتسع، سميت بذلك لمكان الزيادة.

(٤) وبه يكنى «أبا علي».

(٥) المشقر: حصن عظيم بالبحرين لعبد قيس.

(٦) جؤاثى ويقال له (جؤاثى وجواثاء): حصن لعبد القيس بالبحرين.

قال : وكان قيس بن عاصم رئيس بني سعد يوم الكلاب[١] الثاني ، فوقع بينه وبين الأهتم اختلاف في أمر عبد يغوث بن وقّاص بن صلاءة الحارثي حين أسره عِصمة بن أُبَير التَّيمي ودفعه الى الاهتم ، فرفع قيسٌ قوسه فضرب فم الأهتم بها فهتم أسنانه ؛ فيومئذٍ سُمي الاهتم .

أخبرنا هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا دماذ عن أبي عبيدة ، وأخبرني عيسى ابن الحسين الورّاق قال : حدثنا أحمد بن الهيثم بن عديٍّ قال :

جمع قيس بن عاصمٍ ولده حين حضرته الوفاة وقال : يا بنيَّ ، اذا متُّ فسوّدوا كبارَكم ، ولا تسوّدوا صغارَكم فيسفِّه الناس كبارَكم . وعليكم بإصلاح المال فإنه مَنبهةٌ للكريم ، ويُستغنى به عن اللئيم . واذا متُّ فادفنوني في ثيابي التي كنت أصلي فيها وأصوم . وإياكم والمسألة فإنها آخر مكاسب العبد ؛ وإنّ امرأ لم يسأل إلّا ترك مكسبه . واذا دفنتموني فأخفوا قبري عن هذا الحيّ من بكر بن وائل ؛ فقد كان بيننا خُماشاتٌ[٢] في الجاهلية . ثم جمع ثمانين سهماً فربطها بوترٍ ، ثم قال : اكسروها فلم يستطيعوا ، ثم قال : فرّقوا . ففرّقوا ، فقال : اكسروها سهماً سهماً ، فكسروها . فقال : هكذا أنتم في الاجتماع وفي الفرقة . ثم قال :

إنما المجد ما بنى والدُ الصِدْ ... قِ وأحيا فعالَه المولودُ
وتمام الفضل الشجاعة والحِلْـ ... ـم اذا زانه عفافٌ وجود
وثلاثون يا بنيَّ اذا ما ... جمعتهم في النائبات العهود
كثلاثين من قداحٍ اذا ما ... شدَّها للزمان قِدحٌ شديد
لم تكسَّر وإن تفرّقتِ الأَسْـ ... ـهم أودى بجمعها التبديد

---

(١) الكلاب : اسم ماء بين جبلة وشمام على سبع ليال من اليمامة . وللعرب فيه يومان مشهوران : هما الكلاب الأوّل ، والكلاب الثاني .

(٢) خماشات : جراحات وجنايات .

وذوو الحلم والاكابر أولى　　أن يُرى منكم لهم تسويدُ
وعليكم حفظ الاصاغر حتى　　يبلغ الحِنث الاصغر المجهود (١)

ثم مات ؛ فقال عبدة بن الطَّبيب يرثيه :

عليك سلام الله قيس بن عاصمٍ　　ورحمته ما شاء ان يترّحما
تحيّةَ من أوليته منك نعمةً　　اذا زار عن شحطٍ بلادك سلّما
فما كان قيسٌ هلكه هلك واحدٍ　　ولكنّه بنيان قومٍ تهدّما

أخبرني عبيد الله بن محمد الرازيّ قال : حدثنا أحمد بن الحارث عن المدائني قال :

لمّا مات عبد الملك بن مروان اجتمع ولده حوله ، فبكى هشامٌ حتى اختلفت (٢) أضلاعه ، ثم قال : رحمك الله يا أمير المؤمنين ! فأنت والله كما قال عبدة ابن الطبيب :

وما كان قيسٌ هلكه هلكَ واحدٍ　　ولكنه بنيانُ قوم تهدّما

فقال له الوليد : كذبتَ يا أحول يا مشئوم ، لسنا كذلك ، ولكنا كما قال الآخر :

إذا مُقرمٌ منّا ذرا حدُّ نابه　　تخمّط فينا نابُ آخر مُقرمِ (٣)

أخبرني حبيب بن نصرٍ المهلبي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثنا علي بن الصبّاح عن ابن الكلبي عن أبيه قال :

---

(١) بلغ الغلام الحنث : أي الإدراك والبلوغ ، اي بلغ مبلغ الرجال وجرى عليه القلم فكتب عليه الحنث (أي المعصية والإثم) والطاعة .

(٢) اختلفت : اضطربت .

(٣) البيت لأوس بن حجر (اللسان مادة خمط ، وقرم) . ومقرم : سيد ، والتخمط : الأخذ والقهر بغلبة . أراد : إذا هلك منا سيد خلفه آخر .

كان بين قيس بن عاصم وعبدة بن الطبيب لحاء، فهجره قيس بن عاصم، ثم حمل عبدة دماً في قومه، فخرج يسأل فيا تحمّله، فجمع إبلاً، ومرّ به قيس بن عاصم وهو يسأل في تمام الديّة، فقال: فيمَ يسأل عبدة؟ فأُخبر؛ فساق اليه الدية كاملةً من ماله، وقال: قولوا له ليستمتع بما صار اليه، وليسقْ هذه الى القوم. فقال عبدة: أمَا والله لولا أن يكون صُلحي إيّاه بعقب هذا الفعل عاراً عليَّ لصالحته، ولكني أنصرف الى قومي ثم أعود فأصالحه. ومضى بالإبل ثم عاد، فوجد قيساً قد مات، فوقف على قبره وأنشأ يقول:

عليك سلام الله قيس بن عاصمٍ ورحمته ما شاء أن يترّحما

الأبيات:

أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الازهر قال حدثنا حمّاد بن اسحاق عن أبيه قال ذكر عاصم بن الحدثان وهشام بن الكلبي عن أشياخهما:

أن قيس بن عاصم المنقري سكر من الخمر ليلةً قبل أن يسلم، فغمز عُكنةَ[1] ابنته – أو قال أخته – فهربت منه. فلمّا صحا منها، قيل له: أوَ ما علمتَ ما صنعت البارحة؟ قال: لا. فأخبروه بصنعه، فحرّم الخمر على نفسه، وقال في ذلك:

وجدتُ الخمر جامحةً وفيها خِصالٌ تفضح الرّجل الكريما
فلا والله أشربها حياتي ولا أدعو لها أبداً نديما
ولا أُعطي بها ثمناً حياتي ولا أشفي بها أبداً سقيا
فإنّ الخمر تفضح شاربيها وتجشمهم بها أبداً عظيا[2]

(١) العكنة: ما انطوى وتثنى من لحم البطن سمناً.

(٢) جشم (كسمع) الأمر وتجشمه: تكلفه على مشقة، واجشمه إياه.

اذا دارتْ حميّاهــا تعلّتْ طوالعُ تسفه الرّجــل الحليا[١]

أخبرني محمد بن مزيد عن حمّاد بن اسحاق عن أبيه عن عــاصم بن الحدثان قال :

قال الزبرقان : إن تاجراً دِيافياً[٢] مرّ بجمل خمرٍ على قيس بن عاصم فنزل به ، فقال قيس : اصبحني قدحاً ؛ ففعــل . ثم قال له : زدني ، فقال له : أنا رجلٌ تاجرٌ طالب ربح وخيرٍ ، ولا أستطيع أن أسقيك بغيرِ ثمن . فقام اليه قيس فربطه الى دوحةٍ في داره حتى أصبح ، فكلّمته أخته في أمره ، فلطمها وخمش وجههــا – وزعموا أنه أرادها على نفسها – وجعل يقول :

وتاجرٍ فاجرٍ جــاء الإله به كأنّ لحيتــه أذناب أجمالِ

فلما أصبح قال : مَن فعل هذا بضيفي ؟ قالت له أخته : الذي صنع هــذا بوجهي ، أنت والله صنعته ، وأخبرته بما فعل . فأعطى الله عهداً ألّا يشرب الخمر أبداً . فهو أوّل عربيٍّ حرّمها على نفسه في الجاهلية ، وهو الذي يقول :

فوالله لا أحسو يدَ الدهر خمرةً[٣] ولا شربةً تزري بذي اللبِّ والفخرِ
فكيف أذوق الخمر والخمر لم تزل بصاحبها حتى تكسّع في الغــدر[٤]
وصارت به الامثال تضرب بعدما يكون عميد القوم في السرّ والجهر
ويبــدرهم في كل أمرٍ ينوبهم ويعصمهم ما نابهم حادث الدهر
فيا شارب الصهباء دعها لاهلها الــغواة وسلّم للجسيم من الامر

(١) حمياها : سورتها وشدتها وإسكارها . تعلى : علا في مهلة .

(٢) ديافي : نسبة الى دياف ، وهي قرية بالشام وأهلها نبط الشام ، تنسب إليها الإبل والسيوف .

(٣) يد الدهر : مدّ زمانه .

(٤) تكسع في ضلاله : تمادى ، كتسكع .

فإنك لا تدري اذا ما شربتها وأكثرت منها ما تريش وما تبري[١]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثني أحمد بن منصور قال أخبرني أبو جعفر المباركي قال أخبرني المدائني عن مسلمة بن محارب قال :

قال الاحنف بن قيس : ذكرتُ بلاغة النساء عند زيادٍ ، فحدّثته أن قيس ابن عاصم أسلم وعنده امرأةٌ من بني حنيفة ، فأبى أهلها وأبوها أن يُسلموا وخافوا إسلامها ، فاجتمعوا اليها وأقسموا أنّها إن أسلمتْ لم يكونوا معها في شيء ما بقيت . فطالبت قيساً بالفرقة ، ففارقها ، فلما احتملت لتلحق بأهلها قال لها قيسٌ : أما والله لقد صحبتني سارّةً ، ولقد فارقتني غير عارّةٍ[٢] ، لا صُحبتك مملولة ، ولا أخلاقك مذمومة ، ولولا ما اخترتِ ما فرّق بيننا إلّا الموتُ ، ولكنّ أمر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم أحقُّ أن يُطاع . فقالت له : أنبئتُ بحسبك وفضلك ، وأنت والله إن كنت للدائم المحبة ، الكثير المودّة ، القليل اللائمة ، المُعجب الخلوة ، البعيد النّبوة . ولتعلمنّ أنّي لا أسكن بعدك الى زوج . فقال قيس : ما فارقتْ نفسي شيئاً قطُّ فتبعته كما تبعتها .

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثنا أحمد بن الهيثم بن فِراس قال حدثني أبو فراس قال :

كان قيس بن عاصم يُكنى أبا عليٍّ ، وكان خاقان بن الأهتم اذا ذكره قال : بخْ ! مَن مثل أبي عليٍّ !

تُطيفُ به كعب بن سعد كأنّما يُطيفون عُمّاراً ببيتٍ مُحرَّمِ[٣]

---

(١) راش السهم يريشه : ألزق عليه الريش . وقولهم : فلان لا يريش ولا يبري ، أي لا يضر ولا ينفع .

(٢) عرّه بمكروه : أصابه به ، وعرّه : ساءه .

(٣) عمارا : أي معتمرين ، من العمرة ، وهي الحج الأصغر .

وقال علّان بن الحسن الشُّعوبي : بنو مِنقر قومٌ غُدرٌ ، يقال لهم[1] الكوادن ، ويلقَّبون أيضاً أعراف البغال ، وهم أسوأ خَلق الله جواراً ، يسمُّون الغدر كَيسان ، وفيهم بخلٌ شديد .

وأوصى قيس بن عاصم بنيه ، فكان أكثر وصيَّته إيّاهم أن يحفظوا المال ، والعرب لا تفعل ذلك وتراه قبيحاً . وفيهم يقول الأخطل بن ربيعة بن النَّمِر ابن تَولب :

يا منقرُ بن عبيدٍ إنَّ لؤمَكم ... مُذ عَهد آدم في الدّيوان مكتوبُ
للضَّيفِ حقٌّ على مَن كان ذا كرمٍ ... والضيفُ في مِنقرٍ عُريان مسلوب

وقال النمر بن تولب يذكر تسميتهم الغدر كَيسان في قصيدة هجاهم بها :

إذا ما دعَوا كَيسان كانت كهولُهم ... الى الغدر أدنى من شبابهمُ المُردِ

قال : وهذا شائع في جميع بني سعد[2] ، إلا أنهم يتدافعونه الى بني مِنقر ، وبنو منقر يتدافعونه الى بني سنان بن خالد بن مِنقر ، وهو جدُّ قيس بن عاصم .

وحكى ابن الكلبي أن النبي صلى الله عليه وسلم لمّا افتتح مكة قدمت عليه وفودُ العرب ، فكان فيمن قدم عليه قيس بن عاصم وعمرو بن الأهتم بن سُمَيّ ، فلما صارا عند النبي صلى الله عليه وسلم تسابّا وتهاترا[3] ؛ فقال قيس لعمرو

---

(١) الكوادن : جمع كودن ، وهو البغل والبرذون والفيل ، ويشبه به البليد .

(٢) بنو سعد أخوال النمر بن تولب . والبيت في اللسان (كيس) ، وقبله :

إذا كنت في سعد وامك منهم ※ غريباً فلا يغررك خالك من سعد

(٣) تهاترا : تسابا بالباطل .

ابن الأهتم : والله يا رسول الله ما هم منّا ، وإنهم لمن أهل الحيرة . فقال عمرو بن الأهتم : بل هو والله يا رسول الله من الروم وليس منّا . ثم قال له :

ظَلِلتَ مُفترِشَ الهلبــاء تشتمني عند الرسول فلم تصدُق ولم تُصِبِ

الَهلباء يعني استه ، يعيّره بذلك ، وبأن عانته وافية .

إن تبغضونا فإنّ الرّوم أصلكمُ والرّوم لا تملك البغضاء للعربِ
سُدنا فسودَدُنا عَــودٌ وسوددكم مُؤخّرٌ عند أصل العجبِ والذّنَبِ [1]

قال : وإنّما نسبه الى الرّوم لأنه كان أحمر . فيقال : إن النبي صلى الله عليه وسلم نهاه عن هذا القول في قيسٍ ، وقال : إن اسماعيل بن ابراهيم — صلى الله عليهما وسلم — كان أحمر . فأجابه قيس بن عاصم فقال :

ما في بني الأهتم من طائلٍ يُرجى ولا خيرٍ له يَصلحونْ
قُل لبني الحيريّ مخصوصة تظهر منهم بعض ما يكتمون
لولا دفاعي كنتمُ أعبــداً مَسكنها الحيرة فالسَّيلحون [2]
جاءت بكم عَفرة من أرضها حِـيريّةٌ ليست كما ترعمون
في ظاهر الكفّ وفي بطنها وَسمٌ [3] من الداء الذي يكتمون

وذكر علّان أن قيساً ارتدّ بعد النبيّ صلى الله عليه وسلم عن الاسلام ، وآمن بسجاح ، وكان مؤذّنها ، وقال في ذلك :

أضحتْ نبيَّتنا أنثى نُطيف بها وأصبحتْ أنبياءُ الله ذُكرانا

(١) العجب : اصل الذنب ومؤخر كل شيء .

(٢) السيلحون : بلد قرب الحيرة بين الكوفة والقادسية .

(٣) في معجم البلدان : « وشم » .

قال: ثم لمّا تزوّجت سجاحِ بمسيلمة الكذّاب الحنفيّ وآمنت بـه آمن به قيس معها. فلما غزا خالد بن الوليد اليمامة وقتل الله مسيلمة أخذ قيس بن عاصمٍ أسيراً، فادّعى عنده أن مُسيلمة أخذ ابناً له، فجاء يطلبه. فأحلفه خالد على ذلك، فحلف فخلّى سبيله، ونجا منه بذلك.

قصته مع عبادة بن مرثد:

قال: ومما يُعيِّرون به أن عُبادة بن مرثد بن عمرو بن مرثد أَسرَ قيس بن عاصمٍ وسبى أمّه وأختيه يوم أبرقِ الكبريت[1]، ثم مَنّ عليهم فأطلقهم بغير فداء، فلم يُثِبه قيسٌ ولم يشكره على فعله بقولٍ يبلغه. فقال عبادة في ذلك:

على أبرق الكبريت قيس بن عاصمٍ أَسرتُ وأطراف القنا قِصَدٌ حُمرُ[2]
متى يعلق السعديُّ منك بذمّةٍ تجدهُ اذا يلقى وشيمته الغـدر

قال: وكان قيس بن عاصم يسمّى في الجاهلية الكَودن.

وكان زيد الخيل الطائي خرج عن قومه وجاور بني مِنقرٍ، فأغارت عليهم بنو عجلٍ وزيدٌ فيهم، فأعانهم وقاتل بني عجل قتالا شديداً، وأبلى بلاء حسناً، حتى انهزمتْ عجل؛ فكفر قيس فعله وقال: ما هزمهم غيري. فقال زيد الخيل يعيّره ويكذّبه في قصيدة طويلة:

ولستُ بوقّافٍ اذا الخيلُ أجحمتْ ولست بكذّابٍ كقيس بن عاصم[3]

(١) ابرق الكبريت: موضع كان به يوم من ايام العرب.

(٢) قصد: قطع، جمع قصدة كقطعة.

(٣) أجحم عنه: كف، كأحجم.

إسلامه :

ومما روى قيس بن عاصم عن النبي صلى الله عليه وسلم : حدثنا حامد بن محمد ابن شعيب البلخيّ قال : حدثنا أبو خيثمة زهير بن حَرب قال : حدثنا وكيع قال : حدثنا سُفيان الثَّوري عن الأغرّ المنقريّ عن خليفة بن حُصين بن قيس بن عاصم عن أبيه عن جدّه أنّه أسلم على عهد النبي صلى الله عليه وسلم، فأمره النبي عليه السلام أن يغتسل بماء وسِدرٍ .

حديثه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم :

وحدثنا حامد قال حدثنا أبو خيثمة قال حدثنا جريرٌ عن المغيرة عن أبيه شُعبة عن التَّوءم قال :

سأل قيس بن عاصم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحلف، فقال : « لا حِلفَ[1] في الاسلام، ولكن تمسَّكوا بحلف الجاهلية » .

أخبرني عمي قال : حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال : حدثنا ابن عائشة قال : حدثني رجلٌ من الرباب قال :

ذكر رجلٌ قيس بن عاصمٍ عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال : لقد هممتُ أن آتيه فأفعل به وأصنع به، كأنّه توّعده . فقال له النبي صلى الله عليه وسلم « إذاً تحول سعدٌ دونه بكراكِرها[2] » .

---

(١) يريد : من المعاقدة على الخير ونصرة الحق . وبذلك يجتمع الحديثان . وهذا هو الحلف الذي يقتضيه الإسلام، والممنوع منه ما خالف حكم الإسلام . وقيل : المحالفة كانت قبل الفتح، وقوله «لا حلف في الإسلام» قاله زمن الفتح فكان ناسخاً .

(٢) كراكر : جمع كركرة، بكسر الكافين، وهي الجماعة من الناس .

قال : ولما مات قيسٌ رثاه مِرداسُ[١] بن عَبدة بن منبّه فقال :

وما كان قيسٌ هُلكه هُلكَ واحدٍ ولكنّه بُنيانُ قومٍ تهدّما

صوت

خُذ من العيش ما كفى ومن الدّهر ما صَفا

حَسُنَ الغدر في الأنا م كما استقبح الوفا

صِلْ أخا الوصل إنه ليس بالهجر مِن خفا

عَن مَن لا يريد وَصلك تُبدي لك الجفا

الشعر لمحمد بن حازم الباهلي، والغناء لابن القصّار الطُّنبوري، رملٌ بالبنصر . أخبرني بذلك جحظة .

(١) تقدم ان هذا الشعر لعبدة بن الطبيب .

أخبار محمد بن حازم ونسبه

هو محمد بن حازم بن عمرو الباهلي . ويكنى أبا جعفر . وهو من ساكني بغداد مولده ومنشؤه البصرة . أخبرني بذلك ابن عمّار أبو العبّاس عن محمد بن داود بن الجرّاح عن حسين بن فَهم .

وهو من شعراء الدولة العبّاسية ، شاعر مطبوع ، إلا أنه كان كثير الهجاء للناس ، فأُطرح ، ولم يمدح من الخلفاء إلا المأمون ، ولا اتصل بواحد منهم ، فيكون له نباهة طبقته . وكان ساقط الهمة ، متقلِلًا جدًّا ، يُرضيه اليسير ، ولا يتصدّى لمدح ولا طلب .

حدثنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا الخليل بن أسدٍ قال :

سمعت محمد بن حازم الباهلي في منزلنا يقول : بعث إليّ فلانٌ الطاهري – وكنت قد هجوته فأفرطت – بألف دينارٍ وثياب ، وقال : أمّا ما قد مضى فلا سبيل الى ردّه ، ولكن أحبُ ألا تزيد عليه شيئاً : فبعثت اليه بالألف الدينار والثياب ، وكتبتُ :

لا ألبس النعماء من رجلٍ ألبسته عاراً على الدهر

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدثنا أبو علي – وسقط اسمه من كتابي – قال قرأت في كتاب عمي :

قال لي محمد بن حازم الباهلي : مرّ بي أحمد بن سعيد بن سالم وأنا على بابي فلم يسلِّم عليّ سلاماً أرضاه ، فكتبتُ رُقعةً وأتبعته بها ، وهي :

وباهليٍّ من بني وائلٍ أفاد مالاً بعد إفلاسِ
قطَّب في وجهي خوف القِرى تقطيب ضِرغامٍ لدى الباس
وأظهر التِّيه فتايهته تيهَ أمرئٍ لم يشقَ بالناس
أعرته إعراض مُستكبرٍ في مَوكبٍ مرَّ بكنّاس

أخبرني ابن عمار قال حدثني أبو علي قال :

لقيت محمد بن حازم في الطريق فقلت له : يا أبا جعفر ، كيف ما بينك وبين صديقك سعد بن مسعود اليوم — وهو أبو اسحاق بن سعد ، وكان يكتب للنُّوشجاني — فأنشدني :

راجع بالعتبى فأعتبته وربّما أعتبك المذنبُ[1]
وإن في الدهر ، على صرفه بين الصديقين ، لمستعتب[2]

قصيدته في مديح الشباب وذم الشيب :

أخبرني محمد بن القاسم الأنباري وابن الوشاء جميعاً قالا حدثنا أحمد بن يحيى ثعلبُ قال :

قال ابن الأعرابي : أحسن ما قال المحدَّثون من شعراء هذا الزمان في مديح الشباب وذمّ الشَّيب :

لا حين صبرٍ فخلِّ الدمع ينهملُ فَقدُ الشباب بيوم المرء متَّصلُ
سَقياً ورَعياً لأيام الشباب وإن لم يبقَ منه له رسمٌ ولا طلل
جرَّ الزمان ذيولاً في مفارقه وللزّمان على إحسانه علل

---

(١) العتبى : الرضا ، اعتبه : اعطاه العتبى ورجع إلى مسرته .

(٢) مستعتب : استرضاء .

وربّما جرّ أذيال الصبا مرَحاً ... وبين بُردَيه غُصنٌ ناعمٌ خَضِلُ [١]
يُصبي الغواني ويزهاه بشرّته ... شرخُ الشباب وثوبٌ حالكٌ رجل [٢]
لا تكذبنّ فما الدنيا بأجمعها ... من الشباب بيومٍ واحدٍ بدل
كفاك بالشَّيب عيباً عند غانيةٍ ... وبالشباب شفيعاً أيها الرجل
بان الشباب وولّى عنك باطله ... فليس يَحسن منك اللهو والغزل
أمّا الغواني فقد أعرَضن عنك قلًى ... وكان إعراضهنّ الدلُّ والخجل
أعرنك الهجر ما لاحتْ مُطوَّقةٌ ... فلا وِصالٌ ولا عهدٌ ولا رسل
ليت المنايا أصابتني بأسهمها ... فكنَّ يبكين عهدي قبل أكتهل
عهدَ الشباب لقد أبقيتَ لي حزناً ... ما جدّ ذكرك إلّا جدّ لي ثكل
إنّ الشباب اذا ما حلّ رائده ... في منهلٍ راد يقفو إثره أجل [٣]

قال ابن الوشّاء خاصّةً: وما أساء ولا قصّر عن الأولى، حيث يقول في هذا المعنى:

بكاؤه الشيب أيضاً:

أبكي الشباب لندمانٍ وغانيةٍ ... وللمغاني وللأطلال والكتبِ [٤]
وللصَّريخ وللآجام في غلسٍ ... وللقنا السُّمر والهنديّة القضبِ [٥]

---

(١) خضل: ند، يترشف نداه.

(٢) شرة الشباب: نشاطه. وشرخ الشباب: أوله. يزهاه: يستخفه ويحمله على الزهو وهو الكبر والتيه والعظمة. وثوب حالك: يريد به شعر الشباب، وشعر رجل: بين السبوطة والجعودة.

(٣) الرائد: المرسل في طلب الكلأ. ورادت الدابة ترود: رعت.

(٤) المغاني: جمع مغنى، وهو المنزل.

(٥) الصريخ: المستغيث. والآجام: جمع أجمة، وهي الشجر الكثير الملتف، أي وللصيد والقنص. والغلس: ظلمة آخر الليل، والقنا: الرماح. والهندية: أي السيوف الهندية. والقضب: القاطعة.

وللخيال الذي قد كان يطرقني ... وللندامى وللذّات والطربِ [١]
يا صاحباً لم يدَعْ فَقْدي له جلداً ... أضعتُ بعدكَ إنّ الدّهر ذو عُقبِ [٢]
وقد أكون، وشعبانا معاً، رجلاً ... يومَ الكريهة فرّاجاً عن الكربِ [٣]

هجاؤه بعض بني حميد :

أخبرني ابن عمّار عن العنزي قال :

كان محمد بن حازم الباهلي مدح بعض بني حميد فلم يُثبه، وجعل يفتش شعرَه فيعيب فيه الشيء بعد الشيء، وبلغه ذلك فهجاه هجاء كثيراً شنيعاً، منه قوله :

عدوّك المكارمُ والكرامُ ... وخِلُّك دون خُلّتك اللئامُ [٤]
ونفسك نفس كلبٍ عند زَورٍ ... وعُقبى زائر الكلب ألتِدامُ [٥]
تهرُّ على الجليس بلا احترامٍ ... لتحشمه اذا حضر الطعامُ [٦]
اذا ما كانت الهمم المعالي ... فهمُّك ما يكون به الملام
قُبحت ولا سقاك الله غيثاً ... وجانبك التحيّة والسلام

---

(١) عدّد في الابيات الثلاثة الاسباب التي من أجلها يبكي الشباب، وهي مظاهر الحياة والنشاط والقوة والمتعة .

(٢) عقب : جمع عقبة بالضم، وهي النوبة .

(٣) الكريهة : الحرب أو الشدة في الحرب، والنازلة .

(٤) الخلة : الصديق للذكر والأنثى والواحد والجمع .

(٥) الزور : الزائر . الالتدام في الاصل : ضرب النساء صدورهنّ ووجوههنّ في الناحية .

(٦) هرير الكلب : صوته، وهو دون النباح . والحشمة : أن يجلس اليك الرجل فتؤذيه وتسمعه ما يكره .

هجاؤه الحميدي أيضاً :

قال : فبعث اليه ابن ُحميد بمالٍ واعتذر اليه وسأله الكفَّ، فلم يفعل، وردَّ المال عليه، وقال فيه :

موضعُ أسرارك المريبُ   وَحشوُ أثوابك العيوبُ
وتمنع الضيف فضل زادٍ   ورَحلك الواسع الخصيب [١]
يا جامعاً مانعاً بخيـلاً   ليس له في العلا نصيب
أبِالرُّشا يُستمال مثلي ؟   كلّا ! ومَن عنده الغيوب [٢]
لا أرتدي حُلَّـةً لمثنٍ   بوجهه من يدي نُدوبُ [٣]
وبين جنبيـه لي كلومٌ   داميةٌ ما لهـا طبيب
ما كنت في موضع الهدايا   منك، ولا شَعبنا قريب
أنّي وقد نشَّتِ المكاوي   عن سمةٍ شأنُها عجيب [٤]
وسار بالذمّ فيك شعري   وقيل لي مُحسنٌ مُصيب
مالُك مال اليتيم عندي   ولا أرى أكله يطيب
حَسبك من مُوجزٍ بليغ   يبلغ ما يبلغ الخطيب

خانه محمد بن حميد فهجاه :

حدثني عمي قال حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال : حدثني علي بن الحسن الشيباني قال :

---

(١) الفضل : البقية . والرحل هنا : منزل الرجل ومسكنه وبيته .

(٢) الرشوة، مثلثة الراء : الجعل، والجمع رشا، بالكسر والضم .

(٣) الندبة كشجرة : أثر الجرح الباقي على الجلد، والجمع ندب كشجر، وجمع الجمع أنداب وندوب، وقيل : الندب واحد والجمع أنداب وندوب .

(٤) نشت : سمع لها صوت عند الكي .

بعث الحسن بن سهل محمد بن حُميد في وجهةٍ، وأمره بجباية مالٍ، وبحرب قوم من الشراة[1]، فخان في المال وهرب من الحرب، فقال فيه محمد بن حازم الباهلي:

تشبَّه بالأسد الثعلبُ فغادره مُعنقاً يُجنبُ[2]
وحاول ما ليس في طبعه فأسلمه النابُ والمخلب
فلم تُغنِ عنه أباطيله وحاص فأحرزه المهرب[3]
وكان مضيّاً على غدره فغُيِّب، والغادر الأخيب[4]
أيابن حُميدٍ كفرت النعيم جهلاً ووسوسك المذهب[5]
ومنَّتك نفسك ما لا يكون وبعض المنى خلَّبٌ يكذب
ومازلتَ تسعى على مُنعمٍ ببغيٍ وتُنهى فلا تُعتب
فأصبحت بالبغي مُستبدلاً رشاداً وقد فات مُستعتب

قال: وقال فيه لمّا شخص الى حيث وُجِّه الحسن بن سهل:

إذا استقلّت بك الركاب فحيث لا درّت السحابُ
زالتْ سراعاً وزُلت يجري ببينك الظَّبيُ والغراب
بحيث لا يُرتجى إيابٌ وحيث لا يبلغ الكتاب
فقبل معروفك امتنانٌ ودون معروفك العذاب

(١) الشراة: الخوارج.

(٢) أعنق الكلب: جعل في عنقه قلادة. وجنبه كنصر: قاده الى جنبه.

(٣) حاس: حاد وعدل.

(٤) مضيا: مبالغة في ماض.

(٥) وسوس المذهب الرجل: كلمه كلاماً خفياً.

وخير أخلاقك اللواتي تعاف أمثالها الكلاب

ردّه على من عابه بقصر شعره :

حدثني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال : حدثني أبي قال : قال يحيى بن أكثم لمحمد بن حازم الباهلي : ما نعيبُ شعرك إلّا أنك لا تطيل ؛ فأنشأ يقول :

أبى لي أن أطيل الشعر قصدي الى المعنى وعلمي بالصوابِ
وإيجازي بمختصرٍ قريبٍ حذفتُ به الفضول من الجواب
فأبعثهنّ أربعةً وخمساً [١] مُثقَّفةً بألفاظٍ عِذاب
خوالدَ ما حدا ليلٌ نهاراً وما حسُن الصِبا بأخي الشباب
وهُنّ اذا وسمتُ بهنّ قوماً كأطواق الحمائم في الرّقاب
وهنّ اذا أقمتُ مسافراتٌ تهادتها الرُّواة مع الرّكاب

حدثني حبيب بن نصر المهلّبي قال : حدثنا علي بن محمد بن سليمان النوفلي قال :

كان بالأهواز [٢] رجلٌ يعرف بأبي ذؤيب من التّنّار ، وكان مقصد الشعراء وأهل الأدب ، فقصده محمد بن حازم ، فدخل عليه يوماً وعليه ثيابٌ بَذّة [٣] ، وهيئة رثّة ، ولم يعرّفه نفسه ، وصادفهم يتكلمون في شيء من معاني الشعر ، وأبو ذؤيب يتكلّم متحققاً بالعلم بذلك . فسأله محمد بن حازم — وقد دخل عليه يوماً — عن بيتٍ من شعر الطِرماح جهله ، فردّ عليه جواباً مُحالاً [٤] كالمستصغر له وازدراه ،

---

(١) أي فأبعثهنّ أربعة أبيات وخمسة أبيات .

(٢) الاهواز : إقليم في الجنوب الغربي من فارس .

(٣) أي رث اللبسة .

(٤) المحال من الكلام : ما عدل به عن وجهه .

فوثب عن مجلسه مُغضباً. فلما خرج قيل له: ماذا صنعت بنفسك وفتحت عليها من الشرّ؟ أتدري لمن تعرّضت؟ قال: ومَن ذاك؟ قيل: محمد بن حازم الباهلي، أخبث الناس لساناً وأهجاهم. فوثب اليه حافياً حتى لحقه، فحلف له أنه لم يعرفه، واستقاله فأقاله، وحلف أنه لا يقبل له رفداً ولا يذكره بسوء مع ذلك أبداً، وكتب اليه بعد أن افترقا:

أخطا وردّ عليَّ غير جوابي ... وزرى عليّ وقال غير صوابِ
وسكنتُ من عجبٍ لذاك فزادني ... فيما كرهتُ بظنّه المُرتاب
وقضى عليّ بظاهرٍ من كسوةٍ ... لم يدرِ ما اشتملتْ عليه ثيابي
مِن عفّةٍ وتكرّمٍ وتحمّلٍ ... وتجلّدٍ لمصيبةٍ وعِقاب
واذا الزمان جنى عليّ وجدتني ... عُوداً لبعض صفائح الأقتاب[1]
ولئن سألت ليخبرنّك عالمٌ ... أنّي بحيث أحبّ من آداب
واذا نبا بيَ منزلٌ خلّيته ... قَفراً مجال ثعالبٍ وذئاب[2]
وأكون مشترك الغنى متبذّلا ... فإذا افتقرتُ قعدتُ عن أصحابي
لكنه رجعتْ عليه ندامةٌ ... لمّا نسبتُ وخاف مضّ عتابي[3]
فأقلته لمّا أقرّ بذنبه ... ليس الكريم على الكريم بناب

ترضاه صديق له فقال شعراً:

أخبرني حبيب بن نصر قال: حدثنا النوفلي قال:

كان سعد بن مسعود القطربُلي[4]: أبو اسحاق بن سعد صديقاً لمحمد بن حازم

---

(١) الاقتاب: جمع قتب كجبل، وهو الإكاف الصغير على قدر سنام البعير. وصفائح الاقتاب: ألواحها.

(٢) نبا به منزله: لم يوافقه.

(٣) مض عتابي: أي حرقته وإيلامه.

(٤) قطربل: قرية شمالي بغداد تنسب اليها الخمر.

الباهلي ، فسأله حاجةً فردّه عنها ، فغضب محمد وانقطع عنه، فبعث اليه بألف درهم وترضّاه، فردّها وكتب اليه :

متَّسع الصدر مطيقٌ لما يجارُ فيه الحُوّلُ القلَّبُ
راجع بالعتبى فأعتبته وربّما أعتبك المذنب
أجل وفي الدهر – على أنّه موكّل بالبين – مُستعتب
سَقياً ورَعياً لزمانٍ مضى عنّي، وسهمُ الشّامت الأخيبُ
قد جاءني منك مُوَيلٌ فلم أعرِض له والحرُّ لا يكذب [1]
أخذيَ مالًا منك بعد الذي أودعتنيه مَركبٌ يصعب
أبيتُ أن أشرب عند الرضا والسُّخط إلّا مَشرباً يعذُب
أعزّني اليأس وأغنى فما أرجو سوى الله ولا أرهُب
قارون عندي في الغنى مُعدمٌ وهمّتي ما فوقها مذهب
فأيّ هاتين تراني بها أصبو إلى مالك أو أرغب ؟

حدثنا محمد بن العبّاس اليزيدي وعيسى بن الحسين الورّاق، واللفظ له ، قالا : حدثنا الخليل بن أسدٍ النوشجاني قال ، حدثنا حمّاد بن يحيى قال : حدثنا أحمد ابن يحيى قال : آخِر ما فارقتُ عليه محمد بن حازم أنه قال : لم يبقَ شيءٌ من اللذات إلّا بَيع السنانير . فقلت له : سخنت[2] عينك ! أيش ِلك في بيع السنانير من اللذات ؟ قال : يُعجبني أن تجيئني العجوز الرّعناء تخاصمني وتقول : هذا سنّوري سُرِق منّي ، وأخاصمها وأشتمها وتشتمني ، وأغيظها وأباغضها ؛ ثم أنشدني :

صِلْ خمرةً بخمارٍ وصِلْ خُماراً بخمرِ [3]

---

(١) مويل : تصغير مال .

(٢) يقولون في شتم المرء والدعاء عليه : « سخنت عينه » ، و « أسخن الله عينه » أي أبكاه .

(٣) خمار الخمر : ما خالط من سكرها .

وخُذ بحظِّك منهـا زاداً الى حيث تدري

قال: قلت: الى أين ويحك؟ قال: الى النار يا أحمق.

أخبرني الحسن بن عليّ الخفّاف قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مَهرويه قال: حدثني الحسن بن أبي السَّريّ قال:

كان اسحاق بن أحمد بن أبي نهيك آنساً بمحمد بن حازم البـاهلي يدعوه ويعاشره مدّة. فكتب اليه يستزيره ويُعاتبه عتاباً أغضبه؛ وبلغه أنه غضب، فكتب اليه:

ما مستزيرُك في وُدٍّ رأى خللا في موضع الأنس أهلاً منك للغضبِ
قد كنتَ توجبُ لي حقّاً وتعرف لي قَدري وتحفظ مني حُرمة الأدب
ثم انحرفتَ الى الأخرى فأحشمني ما كان منك بلا جُرمٍ ولا سبب [١]
وإنّ أدنى الذي عندي مُسامحةٌ في حاجتي بعد أن أعذرتُ في الطلب [٢]
فاخترْ فعنديَ من ثنتين واحدةٌ عُذرٌ جميلٌ وشكرٌ ليس باللعب
فإن تجدّد كما قد كنتَ تفعـله [٣] ... ...

حدثني محمد بن يونس الأنبـاري المعروف بحصنة قال: حدثني ميمون بن هارون قال:

قال محمد بن حازم الباهلي: عرضتْ لي حاجـةٌ في عسكر أبي محمد الحسن ابن سهلٍ، فأتيته، وقد كنت قلت في السفينة شعراً، فلما دخلت على محمد بن

(١) أحشمني: أغضبني.

(٢) أعذر: أبدى عذراً وبالغ فيه.

(٣) الشطر الثاني من هذا البيت ساقط في الاصول. وهذه الابيات كتبت في النسخة المخطوطة شطراً تحت شطر.

سعيد بن سالم انتسبتُ له، فعرفني، فقال: ما قلتَ فيه شيئاً؟ فقال له رجل كان معي: بلى، قد قال أبياتاً وهو في السفينة؛ فسألني أن أنشده، فأنشدته قولي:

وقالوا لو مدحتَ فتىً كريماً ... فقلتُ وكيف لي بفتىً كريمِ؟
بلَوت الناس مُذ خمسين عاماً ... وحسبك بالمجرّب من عليمِ
فما أحدٌ يُعدُّ ليوم خيرٍ ... ولا أحدٌ يعود ولا حميمِ[1]
ويعجبني الفتى وأظنّ خيراً ... فأكشف منه عن رجل لئيمِ
تقيّلَ[2] بعضهم بعضاً فأضحَوا ... بني أبوَين قَدّاً من أديمِ
فطاف الناس بالحسن بن سهلٍ ... طوافهم بزمزمَ والحطيمِ[3]
وقالوا سيّدٌ يُعطي جزيلاً ... ويكشف كربة الرجل الكظيمِ[4]
فقلت مضى بذمّ القوم شعري ... وقد يُؤتى البريء من السقيمِ
وما خبرٌ تُرجّمه ظنوني ... بأشفى من مُعاينة الحليمِ[5]
لجئتُ وللأمور مُبشّراتٌ ... ولن يخفى الأغرُّ من البهيمِ[6]
فإن يكُ ما تنشّر عنه حقّاً ... رجعت بأهبة الرجل المقيمِ
وإن يكُ غير ذاك حمدتُ ربّي ... وزال الشكُّ عن رجلٍ حكيمِ
وما الآمال تعطفني عليه ... ولكنّ الكريم أخو الكريمِ

(١) يلاحظ ان في البيت إقواء.

(٢) وتقيل: أشبه.

(٣) زمزم: بئر عند الكعبة. والحطيم: حجر الكعبة أو جداره، أو ما بين الركن وزمزم.

(٤) الكظيم: المكروب.

(٥) كلام مرجم: اي عن غير يقين.

(٦) الأغر: ذو الغرّة، وهي بياض في الجبهة. والبهيم: الأسود.

قال: فلما أنشدته هذا الشعر، قال لي: بمثل هذا الشعر تلقى الأمير! والله لو كان نظيرك لما جاز أن تخاطبه بمثل هذا! فقلت: صدقت، فكذلك قلت، إنني لم أمدحه بعد، ولكنني سأمدحه مدحاً يُشبه مثله. قال: فافعل، وأنزلني عنده ودخل الى الحسن فأخبره بخبري وعجبه من جودة البيت الاخير فأعجبه، فأمر بإدخالي اليه بغير مدح، فأدخلت اليه. فأمرني أن أنشد هذا الشعر، فاستعفيته فلم يُعفني، وقال: قد قنعنا منك بهذا القدر إذ لم تُدخلنا في جملة من ذممت، وأرضيناك بالمكافأة الجميلة. فأنشدته إياه؛ فضحك وقال: ويحك! ما لك وللناس تعمّهم بالهجاء؟ حسبك الآن من هذا النمط وأبقِ عليهم. فقلت: وقد وهبتهم للأمير. قال: قد قبلتُ، وأنا أطالبك بالوفاء مطالبة من أهديتْ اليه هديةٌ فقبلها وأثاب عليها. ثم وصلني فأجزل وكساني. فقلت في ذلك وأنشدته:

وهبتُ القوم للحسن بن سهلٍ ... فعوّضني الجزيل من الثوابِ
وقال دعِ الهجاء وقُل جميلًا ... فإنّ القصد أقرب للثواب[1]
فقلت له: برئتُ اليك منهم ... فليتهم بمنقطع التراب[2]
ولولا نعمة الحسن بن سهلٍ ... عليّ لسمتهم سوء العذاب
بشعرٍ يعجب الشعراء منه ... يُشبَّه بالهجاء وبالعتاب
أكيدُهم مُكايدة الأعادي ... وأختلهم مُخاتلة الذّئاب[3]
بلَوتُ خيارهم فبلَوت قوماً ... كهولهم أخسّ من الشباب
وما مُسخوا كلاباً غير أنّي ... رأيت القوم أشباه الكلاب

(١) القصد: استقامة الطريق.

(٢) بمنقطع التراب: اي بالمكان النائي الموحش الذي انقطع وطء ترابه واجتيازه، او القبر.

(٣) ختله كضرب ونصر: خدعه.

قال : فضحك وقال : ويحك ! الساعة ابتدأتَ بهجائهم وما أفلتوا منك بعدُ . فقلت : هذه بُغيةٌ طفحت على قلبي ، وأنا كافٌ عنهم ما أبقى الله الأمير .

أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال حدثنا محمد بن القاسم بن مَهرويه قال حدثني علي بن الحسن الشيباني قال :

كان لمحمد بن حازم الباهلي صديقٌ على طول الأيام، فنال مرتبةً من السلطان وعلا قدره ، فجفا محمداً وتغيَّر له ؛ فقال في ذلك محمد بن حازم :

وَصلُ الملوكِ الى التعالي ووفا الملوك من المحالِ
ما لي رأيتك لا تدو مُ على المودّة للرجال
إن كان ذا أدبٍ وظر فٍ قلتَ ذاك أخو ضلال[1]
أو كان ذا نُسُكٍ ودِيـنٍ قلت ذاك من الثِقال[2]
أو كان في وسطٍ من الـ أمرَين قلت يريغ مالي[3]
فبمثل ذا - ثَكلتك أمّك - تبتغي رتبَ المعالي ؟

خبره مع ابراهيم بن المهدي :

حدثني الحسن قال حدثني ابن مهرويه قال : حدثني الحسن بن عليٍّ الشيباني قال :

كان محمد بن حازم الباهلي قد نسك وترك شُرب النبيذ ، فدخل يوماً على

---

(١) أي إن كان الرجل ذا أدب .

(٢) النسك مثلثة وبضمتين : العبادة .

(٣) يريغ : يريد ويطلب

إبراهيم بن المهدي ، فحادثه وناشده وأكل معه لمّا حضر الطعام، ثم جلسوا للشراب؛ فسأله ابراهيم أن يشرب ، فأبى وأنشأ يقول :

أبعد خمسين أصبو؟ والشّيب للجهل حربُ
سِنٌّ وشيبٌ وجهلٌ! أمرٌ لعمرك صعب
يابن الإمام فهلّا أيامَ عودي رطب!
وشيبُ رأسي قليلٌ ومنهل الحبّ عذبُ
وإذ سِهامي صِيابٌ ونَصلُ سيفيَ عضب[1]
وإذ شِفاء الغواني مِنّي حديثٌ وقُرب
فالآن لمّا رأى بي العذّال لي ما أحبّوا
وأقصرَ الجهل منّي وساعد الشّيب لبّ
وآنس الرُّشد منّي قومٌ أعاب وأصبو
آليتُ أشرب كأساً ما حجّ لله رَكب

خبره مع النوشجاني :

حدثني الحسن قال : حدثنا ابن مهرويه قال : حدثني الحسن بن أبي السّري قال :

وعد النوشجاني محمد بن حازم شيئاً سأله إياه ثم مطله ، وعاتبه فلم ينتفع بذلك ، واقتضاه ، فأقام على مطله ؛ فكتب اليه :

أبا بشرٍ تطاول بي العتابُ وطال بيَ التردُّد والطِّلابُ

(١) صياب : جمع صائب كصاحب وصحاب . وصائب ، يجوز ان يكون من صاب السهم يصوب .

ولم أترك من الأعذار شيئاً ألام به وإن كثر الخطابُ
سألتك حاجةً فطويتَ كشحاً[1] على رَغمٍ، وللدهر انقلاب
وسُمتني الدنيّةَ مستخفاً كما خُزِمتْ بآنفها الصِعاب[2]
كأنك كنت تطلبني بثأرٍ وفي هذا لك العجب العجاب
فإن تكُ حاجتي غلبتْ وأعيتْ[3] فمعذورٌ، وقد وجب الثواب
وإن يك وقتها شيبَ الغراب فلا قُضيتْ ولا شاب الغراب
رجوتك حين قيل لي ابن كسرى وإنّك سِرُّ مُلكهم اللباب
فقد عجّلتَ لي من ذاك وعداً وأقرب من تناوله السحاب
وكلٌّ سوف يُنشرُ غير شكٍّ ويحمله لطيّتـه[4] الكتاب

أخبرني الحسن قال: حدثني ابن مهرويه قال: حدثني الحسن بن أبي السري قال:

قصد محمد بن حازم بعض وُلد سعيد بن سالمٍ وقد ولي عملاً، واسترفده[5]؛ فأطال مُدّته ولم يُعطِه شيئاً؛ وانصرف عنه وقال:

أللدُّنيـا أُعِدُّك يابن عمي فأعلم أم أُعِـدُّك للحسابِ
الى كم لا أراك تُنيـل حتى أهزّك! قد برئتُ من العتاب

(١) الكشح: ما بين الخاصرة إلى الضلع من الخلف. وطوى كشحه عنه: اعرض عنه وقطعه. وطوى كشحه على الامر: اضمره وستره.

(٢) سامه الذل: كلفه إياه واراده عليه. وآنف: جمع انف. والصعاب: جمع صعب، وهو من الإبل ضدّ الذلول.

(٣) اعياه الامر واعيا عليه: عجز عنه.

(٤) يقال: مضى لطيته، أي لوجهه الذي يريده. ولنيته التي انتواها.

(٥) استرفده: طلب رفده، اي صلته وعطاءه.

وما تنفكُّ من جمعٍ ووضعٍ كأنك لستَ تُوقنُ بالإيابِ
فشرُّكَ عن صديقك غيرُ ناء وخيرُكَ عند منقطع التراب
أتيتـك زائراً فأتيتُ كلباً لحظي من إخائك للكلاب
فبئس أخو العشيرة ما علمنـا وأخبثُ صاحبٍ لأخي اغتراب
أيرحل عنك ضيفك غير راضٍ ورحلك واسع خِصبُ الجناب
فقد أصبحتَ من كرم بعيداً ومن ضدّ المكارم في اللباب
وما بي حاجة لجداك لكن أرُدُّك عن قبيحك للصواب[1]

تمثل المتوكل بشعره حينما غاضبته قبيحة :

حدثني عمي قال : حدثني يزيد بن محمد المهلّبي قال :

كنّا عند المتوكل يوماً وقد غاضبته قبيحةُ ، فخرج الينا فقال : مَن يُنشدني منكم شعراً في معنى غضب قبيحةٍ عليّ ، وحاجتي أن أخضع لها حتى ترضى ؟ فقلت له : لقد أحسن محمد بن حازمٍ الباهلي يا أمير المؤمنين حيث يقول :

صفحتُ برغمي عنك صفح ضرورةٍ اليك وفي قلبي ندوبٌ من العتبِ
خضعتُ وما ذنبي إنِ الحبّ عزّني[2] فأغضيت صفحاً عن معالجة الحبّ
وما زال بي فقرٌ اليـك مُنازعٌ يُذلّل منّي كلّ ممتنـع صَعب
الى الله أشكو أنّ وُدّي مُحصّلٌ[3] وقلبي جميعاً عنـد مُقتسم القلب

(١) الجدا والجدوى : العطية .

(٢) عزني : غلبني .

(٣) محصل : مجمع ثابت .

– الغناء لعبيدة الطُّنبورية رملٌ بالوسطى – قال: أحسنت وحياتي يا يزيد! وأمر بأن يُغنّى فيه، وأمر لي بألف دينار.

هجاؤه بني نمير:

حدثني الحسن بن عليّ قال: حدثني ابن مهرويه قال: حدثنا عليّ بن خالد البرمكي قال:

سافر محمد بن حازم الباهلي سفراً، فمرَّ بقومٍ من بني نُمير، فسألوا منه بعيراً له عليه ثقله[1]؛ فقال يهجوهم:

نُميرٌ: أَجُبناً حيث يختلف القنا ... ولؤماً وبُخلًا عند زادٍ ومِزوَدِ[2]؟
ومنعَ قِرَى الأضياف من غير علّةٍ ... ولا عدمٍ، إلا حذارَ التعوّد
وبَغياً على الجار الغريب اذا طرا ... عليكم وخَتلَ الراكب المتفرّد[3]
على أنكم تَرضَوْن بالذّل صاحباً ... وتُعطون مَن لا حاكَم الضيم عن يدِ[4]
أما وأبي إنّا لنعفو وإننا ... على ذاك أحياناً نجورُ ونعتدي
نكيد العدا بالحلم من غير ذِلّةٍ ... ونغشى الوغى بالصِّدق لا بالتوعّد
نفى الضَّيم عنّا أنفسٌ مُضريّةٌ ... صِراحٌ وطعنُ الباسل المتمرّد
وإنّا لمن قيس بن عَيلان في التي ... هي الغاية القصوى بعزّ وسؤدد

---

(١) الثقل: متاع المسافر.

(٢) المزود: وعاء الزاد.

(٣) طرأ على القوم: اتاهم من غير ان يعلموا. والختل: الخدع.

(٤) لاحاه: نازعه. وعن يد: عن ذلة.

وإنّ لنا بالترك قبراً مباركاً ... وبالصين قبراً عزّ كلّ موحّد[1]

وما نابنا صرف الزمان بسيّدٍ ... بكينا عليه أو يُوافي بسيّد

ولو أنّ قوماً يسلمون من الرّدى ... سلمنا ولكنّ المنايا بمرصد[2]

أبى الله أن يهدي غيراً لرُشدِها ... ولا يرشد الإنسان إلا بمرشد

حدثني الحسن بن عليٍّ قال : حدثني محمد بن القاسم ورجلٌ من وَلد البختكان[3] من الأهوازيّين . أن محمد بن حامد ولي بعض كُوَر الأهواز في أيّام المأمون ، وأن محمد بن حازمٍ الباهليّ قدِم عليه زائراً ومدحه، فوصله وأحسن اليه، وكتب له الى تُستَر[4] بحنطةٍ وشعيرٍ ، فمضى بكتابه، وأخذ ما كتب له به ، وتزوّج هناك امرأةً من الدّهاقين[5] ، فزرع الحنطة والشعير في ضيعتها ؛ وولّى محمد بن حامدٍ رجلاً من أهل الكوفة الخراج بتُستَر ، فوكل بغلّة محمد بن حازمٍ ، وطالبه بالخراج فأدّاه ، فقال يهجوه :

زرَعنا فلمّا سلّم الله زرَعنا ... وأوفى عليه مِنجلٌ بحصادِ[6]

---

(١) يفتخر في هذا البيت بمآثر قتيبة بن مسلم الباهلي — وهو باهلي مثله — ويتمدّح بفتوحه التي كان فيها عز الاسلام والمسلمين . وذلك ان الحجاج ولاه خراسان فغزا بلاد ما وراء النهر ، وافتتح بخارى وسمرقند وخوارزم ؛ ووصل في فتوحه إلى كشغر من بلاد الصين ، وقتل سنة ٩٦ هـ .

(٢) المرصد والمرصاد الطريق .

(٣) البختكان : هو والد بزرجمهر الوزير العادل لانوشروان ملك الفرس . وقد اشتهر هذا الوزير برجاحة عقله وحكمته .

(٤) تستر : مدينة كبيرة بالاهواز .

(٥) الدهاقين : جمع دهقان بالكسر والضم : وهو زعيم فلاحي العجم ، ورئيس الإقليم .

(٦) اوفى عليه : اشرف .

بُلينا بكوفيّ حليفِ مجاعةٍ   أضرَّ علينا من دبًا وجرادِ[١]
أتى مُستعدًا ما يُكذّب دونه   ولجَّ بإرغامٍ له وبِعاد[٢]
فطَوْراً بإلحاحٍ عليَّ وغِلظةٍ   وطوراً بخبطٍ دائمٍ وفساد
ولولا أبو العبّاس أعني ابن حامدٍ   لرحّلته عن تُسترٍ بسواد
فكفّوا الأذى عن جاركم وتعلّموا   بأنّي لكم في العالمين منادي

فبعث محمد بن حامدٍ الى عامله فصرفه عن الناحية، وقال له: عرّضتني لِما أكره، واحتمل خراج محمد بن حازم.

أخبرني محمد بن الحسين بن الكندي المؤدّب قال: حدثنا الرياشي قال: سمعتُ الأصمعيّ يقول:

قال هذا الباهلي محمد بن حازمٍ في وصف الشَّيب شيئاً حسناً، فقال له أبو محمد الباهلي: تعني قوله:

كفاك بالشيب ذنباً عند غانيةٍ   وبالشّباب شفيعاً أيها الرّجلُ

فقال: إيّاه عنيتُ. فقال له الباهلي: ما سمعت لأحدٍ من المحدثين أحسن منه.

خبره مع محمد بن زبيدة:

حدثني عمي قال: حدثنا حسين بن فَهم قال: حدثني أبي قال:

دخل محمد بن حازم على محمد بن زبيدة وهو أمير، فدعاه الى أن يشرب معه، فامتنع وقال:

---

(١) الدبا: اصغر الجراد والنمل.

(٢) ما يكذب دونه، اي ما ينثني عن الزرع حتى يستولي على حصة الخراج منه.

أبعد خمسين أصبو ... والشَّيب للجهل حربُ
سِنٌّ وشيبٌ وجهلٌ ! ... أمرٌ لعمرُك صَعب
يابن الإمام فهلَّا ... أيامَ عوديَ رَطبٌ !
وشيبُ رأسي قليلٌ ... ومَنهل الحبِّ عَذب
وإذ شفاء الغواني ... منّي حديثٌ وشُرب
الآن حين رأى بي ... عواذلي ما أحبُّوا !
آليتُ أشربُ كأساً ... ما حجَّ لله ركب

قال : فأعطاه محمد بن زبيدة ووصله .

أخبار ابن القصار ونسبه

نسبه :

اسمه فيما أخبرني به أبو الفضل بن بُرد الخيـار ، سليمان بن علي . وذكره جحظة في كتاب الطنبوريّين[١] ، فتلَّه[٢] في نفسه وأخلاقه ومدح صنعته ، وقال : مما أحسن فيه قوله :

أرقتُ لبرقٍ لاح في فحمة الدّجى فأذكرني الاحباب والمنزل الرّحبا

قال : وهذا خفيف رمل مطلق . ومما أحسن فيه أيضاً :

تعالي نجدّد عهد الصِبا ونصفح للحبّ عمّا مضى

ثلبه جحظة وتنادر عليه :

وهو خفيف رمل مطلق أيضاً . وذكر أنه كان مع أبيه قصَّاراً[٣] ، وتعلَّم الغناء فبرع فيه . ومن طيّب ما ثلبه[٤] به جحظة وتنادر عليه به — وأراها مصنوعةً —

(١) اي الضاربين بالطنبور ، وهو من آلات الطرب ذو عنق طويل وستة اوتار .

(٢) يقال : تل فلاناً بتلة سوء : اي رماه بامر قبيح .

(٣) القصار والمقصر : محوّر الثياب ومبيضها .

(٤) ثلبه : عابه .

أنه مرّ يوماً على أبيه، ومعه غلامٌ يحمل قاطرميز[١] نبيذ، وجوامرجة مذبوحة مسموطة[٢]، فقال: الحمد لله الذي أراني ابني قبل موتي يأكل لحم الجواميرات، ويشرب نبيذ القاطرميزات.

وحدَّث عن بعض جيرانه أنّ ابن القصَّار غنّى له يوماً بجبلٍ ودلو، وأنّ إسماعيل بن المتوكل وهب له مائتي أُترُجة[٣] كانت بين يديه، فباعها بثلاثة دنانير، وأنه يحمل بلبكيذه[٤] الى دار السلطان، وله فيه خُبزٌ وجبنٌ فيأكله، ويحمل في البلبكيذ ما يوضع بين يديه في دار السلطان، فيدعو إخوانه عليه. وأكثر من ثلب الرجل بما لا فائدة فيه. ولو أراد قائلٌ أن يقول فيه ما لا يبعد من هذه الأخلاق لوجد مقالا واسعاً، ولكنه مما يقبح ذكره، سِيّما وقد لقيناه وعاشرناه. عفا الله عنا وعنه.

أخبرنا ذكاء وجه الرزّة قال: كنا نجتمع مع جماعةٍ في الطنبوريّين، ونشاهدهم في دور الملوك وبحضرة السلطان، فما شاهدت منهم أفضل من المسرور وعمر الميداني وابن القصَّار.

خبره مع زوج البلوري:

وحدثتني قريّة البكتمريّة قالت: كنت لرجلٍ من الكتّاب يُعرَف بالبلُّوري، وكان شيخاً، وكانت ستّي التي ربّتني مولاته، وكانت مغنّيةً شجيّةَ الصوت حسنة الغناء، وكانت تعشق ابن القصَّار، وكانت علامة مصيره اليها أن يجتاز في

(١) كلمة فارسية، جاء في شفاء الغليل ص ١٦٥: «قطرميز: قلة كبيرة من الزجاج معروفة».

(٢) سمط: نتف شعرها بالماء الحار.

(٣) الاترج: فارسية وعربيته «متك» كقفل انظر كتب اللغة.

(٤) المفهوم من السياق ان تلك الكلمة معناها: حقيبة كان يضع فيها حاجاته.

دجلة وهو يغنّي ، فإن قدَرتُ على لقائه أوصلته اليها ، وإلّا مضى فأذكره وقد اجتاز بنا في ليلةٍ مُقمرةٍ وهو يغنّي خفيف رملٍ قال :

أنا في يمنى يدَيها وهي في يُسرى يدَيّه
إنّ هذا لقضاءٌ فيه جورٌ يا أُخَيّه

ويُغنّي في آخره رَدّه :

وَيلِ وَيلي يا أُبَيَّه

وكانت ستّي واقفةً بين يدَيْ مولاها ، فما ملكتْ نفسها أن صاحت : أحسنت والله يا رجل ! فتفضّل وأعِد ، ففعل وشرب رطلًا وانصرف ، وعلم أنه لا يقدِر على الوصول اليها . وكان مولاها يعرف الخبر ، فتغافل عنها لموضعها من قلبه ؛ فلا أذكر أنّي سمعتُ قطّ أحسن من غنائه .

صوت

باح بالوجد قلبك المستهامُ وجرتْ في عظامك الأسقامُ
يوم لا يملك البكاء أخو الشو ق فيشفي ولا يُرَدُّ سلام

لم يقع إليّ قائل هذا الشعر . والغناء لمعبد اليقطيني ثاني ثقيل بالبنصر عن أحمد ابن المكي .

أخبار معبد ونسبه

كان معبدٌ اليقطيني غلاماً مولّداً خِلاسياً[1] من مُولّدي المدينة ، اشتراه بعض ولد علي بن يقطين . وقد شدا بالمدينة ، وأخذ الغناء عن جماعةٍ من أهلها ، وعن جماعة أخرى من عِلية المغنّين بالعراق في ذلك الوقت ، مثل اسحاق وابن جامع وطبقتها ، ولم يكن فيا ذكر بطيّب المسموع ، ولا خدم أحداً من الخلفاء إلا الرشيد ، ومات في أيامه ، وكان أكثر انقطاعه الى البرامكة .

خبره مع غلام من المدينة :

أخبرني عمي الحسن بن محمد قال : حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال : حدثني محمد بن عبد الله بن مالك الخزاعي قال : حدثني معبدٌ الصغير المغنّي مولى علي بن يقطين قال :

كنت منقطعاً الى البرامكة ، آخذ منهم وألازمهم ، فبينا أنا ذات يومٍ في منزلي اذا بابي يدقّ ، فخرج غلامي ثم رجع إليّ فقال : على الباب فتًى ظاهرُ المروءة يستأذن عليك ؛ فأذِنت له . فدخل عليّ شاب ما رأيتُ أحسن وجهاً منه ، ولا أنظف ثوباً ، ولا أجمل زِيّاً منه ، من رجلٍ دنفٍ عليه آثار السقم ظاهرة ، فقال لي : إنّي أرجو لقاك منذ مدّةٍ فلا أجد اليه سبيلاً ، وإنّ لي حاجة . قلت : ما هي ؟ فأخرج ثلثمائة دينار فوضعها بين يديّ ، ثم قال : أسألك أن تقبلها وتصنع في بيتين قلتهما لحناً تغنّيني به . فقلت : هاتها ، فأنشدهما ، وقال :

---

(١) الخلاسي : الولد بين ابوين ابيض واسود .

صوت

والله يا طرفيَ الجاني على بدني لَتُطفئنَّ بدمعي لوعة الحزنِ
أو لأبوحنَّ حتى يحجبوا سكني فلا أراه ولو أدرجتُ في كفني[١]

— الغناء فيه لمعبد اليقطيني ثقيل أوّل مطلقٌ في مجرى الوسطى — قال : فصنعت فيهما لحناً ثم غنّيته إيّاه ؛ فأغمي عليه حتى ظننته قد مات . ثم أفاق فقال : أعِد فديتك ! فناشدته الله في نفسه وقلت : أخشى أن تموت . فقال : هيهات ! أنا أشقى من ذاك . وما زال يخضع لي ويتضرّع حتى أعدتُه ، فصعق صعقةً أشدّ من الأولى ، حتى ظننت أن نفسه قد فاظت . فلما أفاق رددت الدنانير عليه ووضعتها بين يديه ، وقلت : يا هذا خذ دنانيرك وانصرف عنّي ؛ فقد قضيت حاجتك ، وبلغتَ وطراً[٢] مما أردته ، ولست أُحبُّ أن أشرَك في دمك . فقال : يا هذا ! لا حاجة لي في الدنانير . فقلت : لا والله ولا بعشرة أضعافها إلا على ثلاث شرائط . قال : وما هنّ ؟ قلت : أولها أن تقيم عندي وتتحرّم بطعامي ، والثانية أن تشرب أقداحاً من النبيذ تشدُّ قلبك وتسكّن ما بك ، والثالثة أن تحدّثني بقصّتك . فقال : أفعل ما تريد .

فأخذت الدنانير ، ودعوت بطعامٍ فأصاب منه إصابة مُعذِرٍ[٣] ثم دعوت بالنبيذ فشرب أقداحاً ، وغنّيته بشعرٍ غيره في معناه ، وهو يشرب ويبكي . ثم قال : الشرط أعزّك الله ، فغنّيته ، فجعل يبكي أحرّ بكاء، وينشج[٤] أشدّ نشيج وينتحب .

---

(١) سكني : محبوبي الذي اسكن اليه .

(٢) في الاصول : « نظراً » وهو تحريف ، والوطر : الحاجة .

(٣) اعذر : ابدى عذراً ، وثبت له عذر .

(٤) نشج الباكي كضرب نشيجاً : وهو مثل بكاء الصبي إذا ضرب فلم يخرج بكاءه وردّد صوته في صدره .

فلما رأيت ما به قد خفّ عما كان يلحقه ، ورأيت النبيذ قد شدّ من قلبه ، كررت عليه صوته مراراً ، ثم قلت : حدِّثني حديثك . فقال : أنا رجلٌ من أهل المدينة خرجت متنزّهاً في ظاهرها وقد سال العقيق[1] ، في فتية من أقراني وأخداني[2] ، فبصُرنا بقَينات ٍ قد خرجن لمثل ما خرجنا له ، فجلسنَ حجرة[3] منّا ، وبصُرت فيهنّ بفتاة ٍ كأنها قضيبٌ قد طلّه الندى ، تنظر بعينين ما ارتدّ طرفها إلّا بنفس من يلاحظها . فأطلنا وأَطلن ، حتى تفرّق الناس ، وانصرفن وانصرفنا ، وقد أبقتْ بقلبي جرحاً بطيئاً اندماله[4] . فعدتُ الى منزلي وأنا وقيذ[5] . وخرجت من الغد الى العقيق ، وليس به أحدٌ ، فلم أر لها ولا لصواحباتها أثراً . ثم جعلت أتتبَّعها في طرق المدينة وأسواقها ؛ فكأنّ الأرض أضمرتها ، فلم أحِسّ لها بعين ولا أثر ، وسقِمتُ حتى أيِسَ منّي أهلي . ودخلتْ ظِئري[6] فاستعلمتني حالي ، وضمنت لي حالها والسعي فيما أُحبُّه منها ؛ فأخبرتُها بقصّتي ، فقالت : لا بأس عليك ! هذه أيام الربيع ، وهي سنة خِصب ٍ وأنواء ، وليس يبعد عنك المطر ، وهذا العقيق ، فتخرج حينئذ ٍ وأخرج معك ؛ فإن النسوة سيجئن . فإذا فعلن ورأيتها تبعتها حتى أعرف موضعها ، ثم أصل بينك وبينها ، وأسعى لك في تزويجها .

فكأن نفسي اطمأنّت الى ذلك ، ووثقتْ به وسكنت اليه ؛ فقويتُ وطمعتُ وتراجعت نفسي ، وجاء مطر بعقب ذلك ، فأسال الواديَ ، وخرج الناس وخرجتُ مع إخواني اليه ، فجلسنا مجلسنا الأوّل بعينه ، فما كنّا والنسوة إلّا كفرَسي

---

(١) العقيق : موضع بالمدينة مما يلي الحرة إلى منتهى البقيع .

(٢) أخدان : جمع خدن بالكسر ، وهو الصديق .

(٣) حجرة : ناحية .

(٤) اندمل الجرح : برىء .

(٥) وقيذ : صريع .

(٦) الظئر : العاطفة على ولد غيرها المرضعة له .

رِهانِ . وأومأت الى ظِئري فجلستْ حَجرةً منّا ومنهنّ ، وأقبلت على إخواني فقلت : لقد أحسن القائل حيث قال :

رمتني بسهم أقصدَ(١) القلب وانثنتْ وقد غادرتْ جُرحاً بـه وندوبا

فأقبلت على صواحباتها فقالت : أحسن والله القائل ، وأحسن من أجابه حيث يقول :

بِنا مثلُ ما تشكو ، فصبراً لعلّنا نرى فرَجاً يشفي السقام قريبا

فأمسكتُ عن الجواب خوفاً من أن يظهر منّي ما يفضحني وإيّاها ، وعرفت ما أرادت . ثم تفرّق الناس وانصرفنا ، وتبِعتها ظِئري حتى عرفتْ منزلها ، وصارت إليَّ فأخذت بيدي ومضينا اليها . فلم تزل تتلطّف حتى وصلت اليها . فتلاقَينا وتداورنا على حال مخالسةٍ ومُراقبة . وشاع حديثي وحديثها ، وظهر ما بيني وبينها ، فحجبها أهلها ، وتشدّد عليها أبوها . فما زلتُ أجتهد في لقائها فلا أقدر عليه . وشكوتُ الى أبي – لشدّة ما نالني – حالي ، وسألته خطبتها لي . فمضى أبي ومشيخة أهلي الى أبيها فخطبوها . فقال : لو كان بدأ بهـذا قبل أن يفضحها ويشهرها لأسعفته بما ألتمس ، ولكنّه قد فضحها ، فلم أكن لأُحقّق قول الناس فيها بتزويجه إيّاها ؛ فانصرفتُ على يأسٍ منها ومن نفسي .

قال معبد : فسألته أن ينزل ، فحَبرني(٢) وصارت بيننا عِشرةٌ . ثم جلس جعفر ابن يحيى للشرب فأتيته ؛ فكان أوّل صوتٍ غنّيته صوتي في شعر الفتى ، فطرب عليه طرباً شديداً ، وقال : ويحك ! إنّ لهذا الصوت حديثاً ، فما هو ؟ فحدثته ، فأمر بإحضار الفتى ، فأُحضر من وقته ، واستعاده الحديث ، فأعاده عليه . فقال : هي في ذمّتي حتى أزوّجك إيّاها ، فطابت نفسه ، وأقام معنا ليلتنا حتى أصبح .

---

(١) اقصده : طعنه فلم يخطئه .

(٢) حبرني : سرني .

وغدا جعفرٌ الى الرشيد فحدّثه الحديث ، فعجب منه ، وأمر بإحضارنا جميعاً ، فأحضرنا ، وأمر بأن أغنّيه الصوت فغنّيته ، وشرب عليه ، وسمع حديث الفتى ، فأمر من وقته بالكتاب الى عامل الحجاز بإشخاص الرّجل وابنته وجميع أهله الى حضرته ، فلم يمض إلّا مسافة الطريق حتى أُحضر . فأمر الرشيد بإيصاله اليه فأُوصل ، وخطب اليه الجارية للفتى ، وأقسم عليه ألاّ يخالف أمره ، فأجابه وزوّجه إيّاها ، وحمل اليه الرشيد ألف دينار لجهازها ، وألف دينارٍ لنفقة طريقه ، وأمر للفتى بألف دينارٍ ، وأمر جعفرٌ لي وللفتى بألف دينار . وكان المدنيّ بعد ذلك في جملة ندماء جعفر بن يحيى .

صوت

هل نفسك المستهامة السَّدِمَه سالية مرّةً ومُعتَزِمَه[١]
عن ذكر خودٍ لها الملك الـخالق ألا تكنّها ظُلَمه[٢]

الشعر لابن أبي الزوائد ، والغناء لحكم رملٌ بالوسطى عن الهشامي .

---

(١) في الاصول : «ومغترمة» . والسدمة : وصف من السدم : وهو الهم ، وقيل : غيظ مع حزن .

(٢) الخود : الحسنة الخلق الشابة او الناعمة . والظلمة (بضمة وبضمتين) والظلماء والظلام واحد .

اخبار ابن ابى الزوائد ونسبه

نسبه :

اسمه سليمان بن يحيى بن زيد بن معبد بن أيوب بن هلال بن عوف بن نضلة ابن عصيَّة بن نصر بن سعد بن بكر بن هوازن بن منصور . ويقال له ابن أبي الزوائد أيضاً . شاعرٌ مقلٌّ ، من مخضرمي الدولتين ، وكان يَؤمُّ الناس في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

شعره في جارية كان يتعشقها :

أخبرني بذلك محمد بن خلفٍ وكيعٌ قال : حدثنا ابن أبي خيثمة عن بعض رجاله عن الأصمعي ، وأخبرني وكيعٌ قال : حدثني طلحة بن عبد الله الطلحي قال : أخبرني أحمد بن ابراهيم بن اسماعيل قال :

كان ابن أبي الزوائد يتعشَّق جاريةً سوداء مولاة الصُّهَيبيِّين[١] ، وكان يختلف اليها وهي في النَّخل بحاجزة . فلما حان الجداد قال :

حُجيجُ أمسى جَداد حاجزةٍ فليت أن الجـداد لم يَحنِ[٢]

---

(١) نسبة إلى صهيب بن سنان الرومي ، وهو من النمر بن قاسط ، سبته الروم وهو غلام صغير ، فنشأ بالروم ، ثم ابتاعته كلب منهم وقدمت به مكة ، فاشتراه منهم عبد الله بن جدعان وأعتقه . وقد أسلم وهاجر إلى المدينة وشهد بدراً وأحداً والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومات بالمدينة سنة ٣٨ هـ ودفن بالبقيع .

(٢) جد النخل كنصر جداً وجداداً : صرمه وقطعه . وأمسى هنا تامة . والمفهوم من السياق انه ينادي معشوقته فيقول : ياحجيج حان قطع وحاجزة اسم البقعة التي كان فيها النخل .

وشتَّ بينٌ وكنتِ لي سكناً ... فيما مضى كان ليس بالسكنِ [١]
قد كان لي منك ما أُسرُّ به ... وليت ما كان منك لم يكنِ
نعفُ في لهونا ويجمعنا الـ ... ـمجلس بين العريش والجرُن [٢]
يُعجبنا اللهوُ والحديثُ ولا ... نخلط في لَهونا هَناً بهَن [٣]
لو قد رحلتُ الحمار منكشفاً ... لم أرَها بَعدها ولم ترَني [٤]

فقال له أبو محمد الجمحيُ: إن الشعراء يذكرون في شعرهم أنهم رحلوا الإبل والنجائب، وأنت تذكر أنّك رحلتَ حماراً. فقال: ما قلت إلّا حقًّا، والله ما كان لي شيء أرحله غيره. قال: وقال فيها أيضاً:

يا ليتَ أنّ العرب استلحقوا ... رِيمَ الصُّهَيبيّين ذاك الأجم [٥]
وكان منهم فتزوّجتـه ... أو كنت من بعض رجال العجم

أخبرني وكيع قال: حدثني طلحة بن عبد الله بن الزبير بن بكّار عن عمه قال:

كان أبو عبيدة بن عبد الله بن ربيعة صديقاً لابن أبي الزوائد، ثم تباعد ما بينهما لشيء بلغ أبا عبيدة عنه، فهجره من أجله، فهجاه؛ فقال:

قطع الصفاء – ولم أكن ... أهلاً لذاك – أبو عُبَيدَهْ

(١) شت كفرب: فرّق. والبين هنا: البعد والفراق.

(٢) الجرن كقفل، والجرين: موضع تجفيف التمر وهو له كالبيدر للحنطة. وجمع جرين: اجرنة وجرن كعنق.

(٣) الهن: كناية عما يستفحش ذكره من الرجل والمرأة.

(٤) وحل البعير كمنع: حط عليه الرحل.

(٥) ريم: مخفف رئم، وهو الظبي الخالص البياض، أجم: ليس له قرنان.

لا تحسبنَّـك عاقـلاً فـلأنت أَحمق من حُميدَه

حميدة : امرأة كانت بالمدينة رعناء يُضرَب بها المثل في الحمق .

حدثني عمي ووكيع قالا : حدثنا الكراني عن أبي غسَّان دمـاذ عن أبي عبيدة قال :

دخل ابن أبي الزوائد الى حمَّاد بن عِمران الطُّلَيحي ، وكان يلقَّب بعطعط ، وكان له قيانٌ يسمعهنَّ الناس عنده ، فرآهن ابن أبي الزوائد فقال فيهن :

أقولُ وقد صُفّتِ البُظْرُ لي : أَلِلبُظر أدخلني عُطعـطُ ؟
فإني امرؤٌ لا أُحبُّ الزّنا ولا يستفزُّنيَ البربَط [1]
ولو بعضهنّ ابتغى صَبوتي لخالط هامتها المِخبط [2]
لبئس فعال امرئٍ قـد قرا وهمَّت عوارضـه تشمط [3]
وما كنتُ مفترشاً جارتي وسيِّدهـا نائمٌ يضرط
أأفرغُ في جارتي نُطفـةً حراماً كما يفـرغ المسعط [4]

هجاؤه لامرأته الانصارية :

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق قال : حدثني أبو هفان قال : حدثني اسحاق ابن ابراهيم الموصلي قال : حدثني المسيَّبي :

---

(١) البربط : العود ؛ معرب .

(٢) المخبط كمنبر : العصا يخبط بها الورق .

(٣) قرا : مسهل عن «قرأ» اي الذي قد قرأ القرآن ، والشمط بالتحريك : بياض الرأس يخالط سواده . والعارضة : صفحة الخد .

(٤) المسعط : ما يجعل فيه السعوط ويصب منه في الانف .

أن ابن أبي الزوائد كانت عنده امرأةٌ أنصاريّة ، فطال لبثها عنده حتى ملّها وأبغضها ، فقال يهجوها :

يا رملُ أنت الغول بين رمالِ … لم تظفـري بتقًى ولا بجمالِ
يا رمل لو حُدّثتُ أنّك سلفعٌ … شوهاء كالسِّعلاة بين سَعالي [1]
ما جاء يطلبك الرسول بخطبةٍ … مِنّي ولا ضُمّت عليك حبالي
ولقد نهى عنكِ النصيح وقال لي: … لا تقرننّ بذيّة بعيـالي
لمّا هززتُ مهنّدي وقذفتـه … فيهـا وقد أرهفته بصقال
رجع المهنّد ما له من حيـلةٍ … وهناك تصعبُ حيلة المحتال
وكأنّما أولجتـه في قُلّةٍ … قد بُرّدتْ للصوم أو بوقال [2]
ورأيتُ وجهاً كاسفاً متغيّراً … وحِراً أشقّ كمركن الغسّال [3]
ما كان أيرُ الفيل بالغ قعره … بتحامل عنه ولا إدخـال
ولقد طعنت مبالها بسُلاحها … فوجدت أخبثَ مَسلح ومَبال

قال : وقال لها وقد فخرَتْ :

هلّا سألتِ منازلًا بغرارِ … عمّن عهدتُ به من الأحرارِ [4]
أين انتأوا ونحاهم صرف النوى … عنّا وصرفُ مُقحِمٍ مِغيار [5]
كرِه المقام وظنَّ بي وبأهلها … ظنًّا فكان بنا علـى إصرار

(١) والسلفع : الصخابة البذيئة السيئة الخلق ، والسعلاة . اخبث الغيلان .

(٢) البوقال : كوز بلا عروة (القاموس) .

(٣) والمركن : الآنية التي تغسل فيها الثياب .

(٤) غرار : جبل بتهامة .

(٥) انتأى : نأى وبعد ، والنوى : البعد .

عُدّي رجالك واسمعي يا هذه عنّي مقالة عالمٍ مِفخارِ
سأعُدُّ ساداتٍ لنا ومكارماً وأبوةً ليستْ علَيَّ بعارِ
قَيسٌ وخِندفُ والداي كلاهما والعمّ بعدُ ربيعة بن نزار [1]
مَن مثلُ فارسنا دريدٍ فارساً في كلّ يوم تَعانقٍ وكِرار [2]
وبنو زيادٍ مَن لقومك مثلهم أو مثل عنترة الهِزَبر الضاري [3]
والحيُّ من سعدٍ ذؤابة قومهم والفخر منهم والسنام الواري [4]
والمانعون من العدوّ ذِمارهم والمدركون عدوَّهم بالثّار
والناكحون بنات كلّ متوّجٍ يوم الوغى غصباً بلا إمهار
وبنو سُلَيم نُكلُ مَن عاداهم وحَيا العفاة ومَعقل الفُرّار [5]
ليسوا بأنكاسٍ اذا حاستهم السموت العداة وصمموا لمغار [6]

قدومه بغداد وتشوقه الى المدينة وشعره :

أخبرني عيسى بن الحسين قال : حدثنا الزبير بن بكّار عن عمه قال :

---

(١) قيس ، هو قيس بن الياس وهو عيلان بن مضر بن نزار . وخندف هي ليلى بنت حلوان بن عمران ابن الحاف بن قضاعة زوجة الياس بن مضر بن نزار .

(٢) دريد : هو دريد بن الصمة فارس العرب ، من بني جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان . وكرار : مصدر ، كارّه مكارّةً وكرارا .

(٣) هو زياد بن الربيع من بني عبس بن بغيض بن ريث بن غطفان بن قيس بن عيلان . وعنترة الفوارس من بني عبس . والهزبر : الاسد .

(٤) سعد : هم بنو سعد بن زيد مناة بن تميم بن مر بن أد بن طابخة بن عيلان بن مضر ، اوهم بنو سعد بن بكر بن هوزان . . . وذؤابة كل شيء : اعلاه . الواري : الشحم السمين .

(٥) بنو سليم : هم بنو سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة . والنكل : الموت والهلاك . والحيا : الخصب والمطر . والعفاة : جمع عاف ، وهو كل طالب فضل او رزق .

(٦) انكاس : جمع نكس بالكسر ، وهو الضعيف والمقصر عن غاية النجدة والكرم . وحاسي : مفاعلة من الحسو ، والمغار : الإغارة .

كان ابن أبي الزوائد وفد الى بغداد في أيام المهدي ، فاستوخمها ، فقال يتشوّق الى المدينة ويخاطب أبا غسّان محمد بن يحيي وكان معه نازلاً .

يابن يحيي ماذا بدا لك ماذا   أمُقامٌ أم قد عزمتَ اِلحياذا (١)
فالبراغيثُ قد تثوَّرَ منها   سامرٌ ما ناوذ منها ملاذا (٢)
فنحكّ الجلود طوراً فتدمى   ونحكّ الصدور والأفخاذا
فسقى الله طيبة الوَبل سحّاً   وسقى الكرخ والصَّراة الرّذاذا (٣)
بلدةٌ لا ترى بها العين يوماً   شارباً للنبيذ أو نبّاذا (٤)
أو فتًى ماجناً يرى اللهوَ والبا   طل مجداً أو صاحباً لوّاذا (٥)
هذه الذال فاسمعوها وهاتوا   شاعراً قال في الرّويّ على ذا
قالها شاعرٌ لو انّ القوافي   كنّ صخراً أطارهن جُذاذا (٦)

شعره حين شرب خمراً :

قال الزبير : وأنشدني له أبو غسّان محمد بن يحيي ، وكان قد دخل الى رجلين

---

(١) كذا في الاصول والذي في لسان العرب وتاج العروس : الحواذ والمحاوذة : الفراق .

(٢) تثوّر . ثار وهاج ، وسمر كنصر : لم ينم .

(٣) طيبة : المدينة المنوّرة . والوبل : المطر الشديد الضخم القطر . والكرخ : محلة ببغداد . والصراة : نهر ببغداد . والرذاذ : المطر الضعيف .

(٤) نبذ نبيذاً : اتخذه ، والنباذ : بائع النبيذ ، كالخمار بائع الخمر .

(٥) يحتمل ان يكون «صاخباً» من الصخب وهو كثرة اللغط والجلبة . ولواذ مبالغة في لائذ ، من لاذ به اي لجأ اليه وعاذ به .

(٦) الجذاذ : قطع ما كسر ، القطعة جذاذة .

من أهل الحجاز يقال لأحدهما أبو الجوّاب ، والآخر أبو أيوب ، فسقياه نبيذاً على انه طريّ لا يُسكر ، فأسكره ؛ فقال :

سقاني شربةً فسكرتُ منها   أبو الجوّاب صاحبيَ الخبيثُ
وعاونه أبو أيوب فيها   ومن عاداته الخُلقُ الخبيث
فلمّا أن تمشّت في عظامي   وهمّت وَثبتي منها تريث [١]
علمتُ بأنني قد جئتُ أمراً   تسوء به المقالة والحديث
فدَعهم — لا أبا لك — واجتنبهم   فإنّ خليطهم لهوَ اللويث [٢]

وتمام الأبيات التي فيها الغناء بعد البيتين المذكورين :

كالشمس في شرقها اذا سفرتْ   عنها ومِثل المهاة مُلتثِمَه [٣]
ما صوّر الله حين صوّرها   في سائر الناس مثلها نسمه
كلَّ بلاد الإله جئتُ فما   أبصرتُ شِبهاً لها — وقد علمه —
أنثى من العالمين تُشبهها   عابسةً هكذا ومُبتسمه
فتّانةُ المقلتين مُخطفة الـ   أحشاء منها البنان كالعنمه [٤]
اذا تعاطتْ شيئاً لتأخذه   قلتَ غزالٌ يعطو الى برَمه [٥]
يا طيب فيها وطيب قُبلتها   والقربِ منها في الليلة الشَّبِمَه [٦]

(١) راث يريث : أبطأ .

(٢) الخليط : المخالط ، واللويث ، الذي في كتب اللغة : الالوث : الاحمق ، فالوصف على أفعل ، وقد صاغه الشاعر على فعيل ، أو هو بمعنى ملوّث ملطخ ، فعيل بمعنى اسم المفعول .

(٣) سفرت المرأة : كشفت عن وجهها . والمهاة : البقرة الوحشية .

(٤) إخطاف الحشا : انطواؤه وضمره . والعنم : شجر له ثمر أحمر تشبه به بنان الجواري .

(٥) العطو : التناول ورفع الرأس واليدين . والبرمة : واحدة البرم ، وهو ثمر الطلح او ثمر الأراك .

(٦) الشبمة : الباردة .

إنّ من اللـذة التي بقيتْ ... غِشيانك الخود من بني سلمهْ
لا تهجر الخود إن تُغال بهـا ... بعد سُلوٍّ، وقبـل ذاك فمه (١)
آتي مُعداً لها الكلام فمـا ... أنطقُ من هيبـةٍ ولا كلمه
أحبّ والله أن أزوركم ... وحدي كذا أو أزوركم بلُمه (٢)
هذا الجمال الذي سمعت به ... سبحان ذي الكبرياء والعظمه
مَن أبصرتْ عينه لها شبهاً ... حَـلّ عليه العذاب والنَّقِمه

صوت

يا هند يا هند نوّلي رجـلاً ... وكيف تنويل مَن سفكتِ دَمَهْ
أو تُدركي نفسه فقد هلكت ... أو ترحميه فمثلكم رحمـه

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبي قال : حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال : حدثني محمد بن جعفر بن قادم مولى بني هاشم قال : حدثني عمي أحمد بن جعفر عن ابن دأب قال :

خرجت أنا وأخي يحيي وابن أبي السِعلاء ومعنا مُصعب بن عبد الله النوفلي (٣) وثابتٌ والزّبير ابنا خُبيب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير وابن أبي الزوائد السعدي وابن أبي ذِئب متنزّهين الى العقيق، وقد سال يومئذٍ ، إذ أتانا آتٍ ونحن جلوس ، فسألناه عن الخبر بالمدينة ؟ فقال : ورد كتاب أمير المؤمنين المنصور أن

---

(١) غالى به : اشتراه بثمن غال . ومه : كف . والمعنى : إن تغال بالحبيبة فلا تهجرها بعد سلوها إياك .

(٢) اللمة : الجماعة من الرجال ما بين الثلاثة الى العشرة .

(٣) النوفلي : نسبة الى نوفل بن عبد مناف بن قصي بن كلاب .

لا تتزوّج مَنافيّةً[١] إلا منافياً. قال ابن أَبي ذِئب: إذن والله لا يخطب قرشيٌّ إلّا من لا يحبّها، ولا يرغب فيمن لا يرغب فيها ممن لا فضل له عليها، وكان غير حسن الرأي في بني هاشم. وتكلم ابنا خُبيبٍ بمثل ذلك، وقال أحدهما. إن نسبنا من بني عبد مناف قد طال، فأدالنا[٢] الله منهم. قال: فغضب مصعبٌ النوفلي وكان أحوَل فازدادت عيناه انقلاباً، فقال: أمّا أنت يابن أبي ذِئب فوالله ما شرّفتك جاهليّة ولا رفعك إسلام، فيقع في بال أحد أنك عُنيت بما جرى. وأما أنتما يا بني خبيبٍ فبغضكما لبني عبد مناف تالدٌ موروث، ولا يزال يتجدّد كلما ذكرتم قتل الزبير[٣]، وإنكم لمن طينتين مختلفتين: أما إحداهما فمن صفيّة، وهي الطّينة الأبطحيّة السّنيّة، تنزعان اليها اذا نافرتما[٤]، وتفخران بها اذا افتخرتما، والأخرى الطّينة العوّاميّة التي تعرفانها، ولو شئتُ أن أقول لقلت، ولكنّ صفيّة تحجزني، فأحسنا الشكر لمن رفعكما، ولا تميلا عليه بمن وضعكما. فقالا له: مَهلاً، فوالله لقدِمنا في الإسلام أفضل من قديمك، ولحظُّنا فيه بالزبير أفضل من حظّك. فقال مُصعبٌ: والله ما تفخران في نسبكما إلّا بعمّتي، ولا تفضلان في دينكما إلا بابن عمّي صلى الله عليه وسلم؛ ففاخره لي دونكما. ثم تفرقوا؛ فقال ابن أبي الزوائد:

لعمركما يابنَيْ خُبيبِ بن ثابتٍ تجاوزتما في الفخر جهلاً مداكما
وأنكرتما فضل الذين بفضلهم سَمتْ بين أيدي الأكرمين يداكما

(١) منافية: نسبة الى عبد مناف المذكور، وهو الجد الثالث للنبي صلى الله عليه وسلم.

(٢) أداله الله من عدوه: نصره عليه.

(٣) قتله عمرو بن جرموز بوادي السباع في وقعة الجمل.

(٤) هي السيدة صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأم الزبير بن العوّام. والابطحية: نسبة الى الابطح وهو أبطح مكة: مسيل واديها. والمنافرة: المفاخرة والمحاكمة في الحسب.

فإنكما لم تعرفا إذ سموتما الى العزّ من آل النبيّ أباكما
ولم تعرفا الفضل الذي قد فخرتما فليس من العوّام حقاً أتاكما
فلولا الكرام الغرّ من آل هاشم — فلا تجهلا — لم تدفعا من رماكما

صوت

مُحبٌّ صدّ آلفه فليس لليله صُبحُ
يقلّبه على مضض مَواعد ما لها نُجح
له في عينه غَربٌ وفي أحشائه جُرح [1]
صحا عنه الذي يرجو زيارته وما يصحو

الشعر لأبي الأسد، والغناء لعلّويه، هزجٌ بالوسطى وخفيف ثقيل بالوسطى .

(١) الغرب هنا : الدمع .

أخبار ابى الاسد ونسبه

نسبه :

اسمه ، فيما ذكر لنا عيسى بن الحسين الورّاق عن عيسى ابن اسماعيل تينة[1] عن القحذمي، نُباتة بن عبد الله الحِمّاني[2] . وذكر أبو هفّان المِهزمي[3] أنه من بني شيبان. وهو شاعر مطبوع متوسّط الشعر ، من شعراء الدولة العبّاسية من أهل الدّينوَر[4] . وكان طبّاً[5] مليح النوادر مزّاحاً خبيث الهجاء ، وكان صديقاً لعلُّويه المغني الأعسر ، يُنادمه ويواصل عِشرته ويصله عَلُّويه بالأكابر ، ويعرّضه للمنافع ، وله صنعة في كثير من شعره .

شعره في جارية ترقبها فأخلفت :

فأخبرني عمي قال : حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال : حدثني محمد بن محمد الأبزاري[6] قال :

كان أبو الأسد الشاعر صديقاً لعاويه ، وكان كثيراً ما يغنّي في شعره . فدعانا

---

(١) تينة : لقب عيسى (كما في القاموس المحيط) .

(٢) الحماني : نسبة الى حمان : وهو حي من تميم ، أحد حي بني سعد بن زيد مناة .

(٣) نسبة الى مهزم كمنبر ، ومن أسمائهم أيضاً مهزم كمعظم .

(٤) دينور : مدينة من أعمال الجبل بفارس .

(٥) الطب : الحاذق الماهر .

(٦) الأبزاري : نسبة الى أبزار وهي قرية بنيسابور .

عَلُّويه ليلةً ، ووعدته جاريةٌ لآل يحيى بن مُعاذ – وكانت تأخذ عنه الغنـاء – أن تزوره تلك الليلة ، وكانت من أحسن الناس وجهاً وغناء ، وكان علّويه يهيم بها ، فانتظرناها حتى أَيِسنا منها احتباساً . فقال علويه لأبي الاسد : قُل في هذا شعراً ؛ فقال :

محبٌّ صدَّ آلفـه فليس لِليله صُبحُ
صحا عنه الذي يرجو زيارته وما يصحو

قال : فصنع علّويه فيه لحناً من خفيف الثقيل هو الآن مشهورٌ في أيـدي الناس ، وغنّانا فيه ؛ فلم نزل نشرب عليه حتى أصبحنا . وصنع في تلك الليلة بحضرتنا فيه الرّمل في شعر أبي وجدة السعدي :

قتلتني بغير ذنبٍ قَتولُ وحلالٌ لها دمي المطلولُ
ما على قاتلٍ أصاب قتيلًا بـدلالٍ ومُقلتين سبيل

أخبرني الحسن بن عليٍّ الخفّاف قال : حدثنـا ابن مهرويه قال : حدثني أبو هفّان قال :

كتب أبو الأسد وهو من بني حِمّان الى موسى بن الضحاك :

لموسى أَعبُـدٌ وأنا أخوه وصاحبه ، وما لي غيرَ عبدِ
فلو شاء الإله وشاء موسى لآنس جـانبي فرجٌ بسعد

سبب هجائه أحمد بن أبي دؤاد :

قال : و « فَرَجٌ » غلامٌ كان لأبي الاسد ، و « سعدٌ » غـلام كان لموسى فبعث اليه موسى بسعد ، وقاسمه بعده بقيَّة غِلمانه ، فأخذ شطرهم وأعطاه شطرهم .

أخبرني محمد الخزاعي قال : حدثني العبّاس بن ميمون طائع قال :

هجا أبو الاسد أحمد بن أبي دوادٍ فقال :

أنت امرؤٌ غثُّ الصنيعة رثّها ... لا تحسن النعمى الى أمثالي
نُعماك لا تعدوك إلّا في امرئٍ ... في مَسك[1] مثلك من ذوي الاشكال
واذا نظرتَ الى صنيعك لم تجدْ ... أحداً سَموتَ به الى الافضال
فاسلم بغير سلامةٍ تُرجى لها ... إلّا لسدّك خلّة الأنذال[2]

قال: فأدّى اليه سلامة وهو عبد الرحمن بن عبد الله بن عائشة هذه الأبيات عن أبي الأسد، فبعث اليه ببرد واستكفّه[3]، وبعث بابن عائشة الى مظالم ماسَبذان[4]، وقال له: قد شركته في التوبيخ لنا فشركناك في الصَّفقة، فإن كنتما صادقَين في دَعواكما كنتما من الأنذال، وإن كنتما كاذبَين فقد جُزيتما بالقبيح حسناً.

حدثني علي بن سليمان الأخفش قال: حدثنا محمد بن الحسن بن الحرون قال:

كان سبب هجاء أبي الاسد أحمد بن أبي دوادٍ أنه مدحه فلم يثبه، ووعده بالثواب ومطله؛ فكتب اليه:

ليتك إذ نُبتني بواحدةٍ ... تُقنعني منك آخر الأبدِ
تحلف ألّا تبرّني أبداً ... فإنّ فيها بَرداً على كبدي
اشفِ فؤادي مِنّي فإنّ به ... مِنّي جُرحاً نكأته بيدي[5]
إن كان رزقي اليك فارمِ به ... في ناظرَيْ حيّةٍ على رصد[6]
قد عشتُ دهراً وما أقدر أن ... أرضى بما قد رضيتُ من أحد

---

(١) المسك: الجلد.

(٢) الخلة هنا: الحاجة والفقر.

(٣) استكفه: طلب اليه أن يكف عنه.

(٤) ماسبذان: كورة ببلاد فارس.

(٥) نكأ القرحة كمنع: قشرها قبل أن تبرأ فنديت.

(٦) الرصد والمرصد: موضع الرصد. ومرصد الحية: مكمنها.

فكيف أخطأتُ! لا أصبتُ ولا نهضتُ من عثرةٍ الى سددِ [1]
لو كنتُ حراً كما زعمتُ وقد كدّدتني بالمطال لم أعد
صبرتُ لما أسأت بي، فإذا عدتُ الى مثلها فعُد وعدِ
فإنني أهل ذاك في طمعي وفي خطائي سبيل معتمد [2]
أبعدني الله حين يحملني حرصي على مثل ذا من الأوَد [3]
الآن أيقنتُ بعد فعلك بي أنيَ عبدٌ لأعبدٍ قُفُد [4]
فصرتُ من سوء ما رُميت به أكنى أبا الكلبِ لا أبا الاسد

أخبرني علي بن الحسين بن عبد السميع المروزي[5] الورّاق قال حدثني عيسى ابن إسماعيل تينة عن القحذمي قال:

مدحه الفيض بن صالح:

كان أبو الاسد الشاعر — واسمه نُباتة بن عبد الله الحِمّاني — منقطعاً الى الفيض بن صالح وزير المهدي، وفيه يقول:

ولائمةٍ لامتك يا فيض في الندى فقلت لها لن يقدح اللوم في البحرِ
أرادتْ لتنهى الفيض عن عادة الندى ومَن ذا الذي يثني السحاب عن القطر؟
مواقع جُودِ الفيض في كلّ بلدةٍ مواقع ماء المُزن في البلد القفر
كأن وفود الفيض لما تحمّلوا الى الفيض لاقوا عنده ليلة القدر

---

(١) السدد والسداد: الاستقامة.

(٢) خطائي هنا: بمعنى إخطاء.

(٣) الأود. الاعوجاج.

(٤) قفد جمع أقفد: وهو المسترخي العنق أو الغليظه.

(٥) المروزي: نسبة الى مرو، وهي بلد بفارس.

وكان أبو الاسد قبله منقطعاً الى أبي دُلَف مدّة، فلما قدِم عليه عليّ بن جبلة العَكَوك غلب عليه، وسقطت منزلة أبي الاسد عنده، فانقطع الى الفيض بعد عزله عن الوزارة ولزومه منزله، وذلك في أيام الرشيد. وفيه يقول.

أتيتُ الفيضَ مُشتكياً زماني فأعداني[1] عليه جُودُ فَيضِ
وفاضتْ كفُّه بالبذل منه كما كفَّ ابن عيسى ذات غَيضِ[2]

مدحه حمدون بن إسماعيل وهجاؤه علي بن المنجم:

أخبرني عيسى بن الحسين قال: حدثني ابن مهرويه قال: حدثني عليّ بن الحسن بن الأعرابي قال:

سأل أبو الأسد بعض الكتّاب، وهو علي بن يحيى المنجّم، حاجةً يسأل فيها بعض الوزراء، فلم يفعل. وبلغ حمدون بن اسماعيل الخبر، فسأل له فيها مبتدئاً ونجزها وأنفذها اليه. فقال أبو الاسد يهجو الرجل الذي كان سأله الحاجة، ويمدح حمدون بن إسماعيل:

صُنعٌ من الله! أني كنت أعرفكم قبل اليسار وأنتم في التَّبابينِ[3]
فما مضت سنةٌ حتى رأيتكم تمشون في القزّ والقُوهيّ واللين[4]

---

(١) اعداه عليه: نصره واعانه وقوّاه.

(٢) غاض الماء غيضاً: قلّ ونقص.

(٣) التبابين: جمع تبان كرمان، وهو سراويل صغار مقدار شبر يستر العورة المغلظة فقط يكون للملاحين.

(٤) القز: الحرير. والقوهيّ: ضرب من الثياب بيض، واللين أي لين العيش وخفضه ونعومته.

وفي المشـاريق ما زالتْ نساؤكمُ يصِحن تحت الدّوالي بالوراشين [١]
فصرنَ يرفُلنَ في وَشْي العراق وفي طرائف الخزّ من دكنٍ وطاروني [٢]
أنسين قطع الحُلاوي من معادنها وحَملهنّ كشوثاً في الشقـابين [٣]
حتى اذا أيسروا قالوا — وقد كذبوا — : نحن الشَّهاريج أولاد الدّهـاقين [٤]
في أستِ أمّ ساسان أيري إن أقرّبكم وأيرُ بغلٍ مُشظّ في أستِ شيرين [٥]
لو سيل أوضعهم قـدراً وأنذلهم لقـال من نخوه إني أبنُ شوبين [٦]
وقال أقطعـني كسرى وورثني فمن يُفاخرني أمْ من يُنـاويني [٧]

---

(١) المشاريق : جمع مشراق وهو موضع القعود في الشمس بالشتاء كالمشرقة مثلثة الراء. الوراشين : جمع ورشان محركة ، وهو طائر شبه الحمامة .

(٢) رفلت : جرت ذيلها وتبخطرت او خطرت بيدها. والوشي : نقش الثوب . والخز : الحرير ، ودكن : جمع ادكن ودكناء . والدكنة : لون إلى السواد . والطاروني :ضرب من الطرن (بالضم) وهو الخز .

(٣) الحلاوي : هي نبتة زهرتها صفراء ولها شوك كثير وورق صغير مستدير ، ومن معادنها : من منابتها ، والكشوث (بالفتح ويضم) : نبات اصفر يتعلق باغصان الشجر من غير ان يضرب بعرق في الارض ، ويجعل في النبيذ ، الشقبان بالضم : شباك يسويها الحشاشون من الليف والخوص ، تجعل لها عرى واسعة يتقلدها الحشاش فيضع فيها الحشيش .

(٤) الشهاريج : وجوه القوم واعيانهم ، جمع شهرج ، واصلها بالفارسية جهره ومعناها : الوجه . والدهاقين : جمع دهقان بالكسر والضم ، وهو رئيس الإقليم ، معرب .

(٥) ساسان ، هو ساسان الاكبر ابو اردشير بابك رأس الدولة الساسانية التي حكمت فارس من سنة ٢٠٢ م إلى سنة ٦٣٦ م ، وكان آخر أكاسرتها يزد جرد الثالث الذي فتح العرب في عهـده بلاد فارس . وشيرين ، زوجة برويز ملك الفرس الذي حكم من سنة ٥٩١ إلى سنة ٦٢٧ م وشظ واشظ : إذا انعظ حتى يصير متاعه كالشظاظ (والشظاظ ككتّاب : خشبة محددة الطرف تدخـل عروتي الجوالقين لتجمع بينهما عند حملها على البعير) .

(٦) سال يسال كخاف يخاف لغة في سأل .وشوبين : هو بهرام جوبين ، وكان صاحب الجيش لدى هرمز بن انو شروان العادل ، وقد سعى بينهما سعاة السوء حتى افسدوا ذات بينهما .

(٧) اقطعه قطيعة من الارض : اعطاه اياها يتملكها ويستبد بها وينفرد . يناويني : يعاديني

من ذا يُجبّر كسرى وهو في سقَر دعوى النَّبيط وهم بَيض الشياطين [١]
وأنهم زعموا أن قـد ولدتّهم كما ادّعى الضب إني نُطفة النون [٢]
فكان ينخزُ جَوف النار واحـدةً تفري وتصدع خوفاً قلب قارون [٣]
أما تراهم وقـد حطُّوا برادعهم عن أُتنهم واستبـدُّوا بالبراذين [٤]
وأفرجوا عن مشارات البقول الى دورِ المـلوك وأبواب السلاطين [٥]
تَغلي على العُرب من غيظٍ مراجلهم عـداوةً لرسول الله في الدين
فقل لهم وهمُ أهـلٌ لتزنيةٍ شرَّ الخليقـة يا بُخرَ العثانين [٦]
ما الناس إلا نزارٌ في أرومَتهـا وهاشمٌ سُرجُهـا الشُّمُّ العرانين [٧]
والحيُّ من سلفَيْ قحطـان إنّهم يُزرون بالنَّبط اللكن المـلاعين [٨]

---

(١) سقر : جهنم . والنبط والنبيط والانباط : جيل ينزلون بالبطائـح بين العراقين وبيض الشياطين ، يعني اولادهم وسلالتهم .

(٢) الضب : دويبة من الحشرات تشبه الورل . والنون : الحوت .

(٣) قارون : كان من قوم موسى ، وهو ابن عمه وابن خالته ، ونخزه : ضربه ودفعه ونخسه ودقه ، ونخزه في صدره : ضربه بجمع كفه . تفري : تشق .

(٤) البرادع : جمع بردعة . وهي بالدال والذال ، الاتن جمع اتان وهي الحمارة . والبراذين مـن الخيل : ما كان من غير نتاج العراب .

(٥) أفرجوا عن المكان : تركوه . مشارات المزرعة : مجاري مائها وسواقيها ، جمع مشارة . او هو « مشاراة » بمعنى مبايعة .

(٦) التزنية : القذف . وبخر : جمع أبخر وصف من البخر بالتحريك ، وهو النتن في الفم وغيره . والعثانين : جمع عثنون كعصفور : وهو اللحية أو ما نبت على الذقن وتحته سفلا . ويريد بها هنا الافواه .

(٧) الارومة : الاصـل . وسرج : جمع سراج . والشم : جمع اشمّ وصف من الشمم بالتحريك : وهو ارتفاع قصبة الانف وحسنها واستواء اعلاهـا . والعرانين : جمع عرنين بالكسر وهو الانف . وشم العرانين : كناية عن الرفعة والعلو وشرف النفس .

(٨) قحطان : هو اصل عرب اليمن ومنه تناسلوا . : سلفي قحطان لان مرجع للعرب القحطانية الى قبيلتين : حمير بن سبأ ، وكهلان بن سبأ . واللكن : جمع الكن وصف مـن اللكنة بالفم ، وهي عجمة في اللسان وعيّ .

فما على ظهرها خَلقٌ له حسبٌ   مما يُناسب كسرى غيرِ حمدونِ
قَرمٌ عليه شهَنشاهيَّةٌ ونبأٌ   يُنبيك عن كسرويّ الجدّ مَيمون[١]
وإن شككت ففي الإيوان صورته   فأنظر الى حسبٍ بادٍ ومخزون

عتابه لأبي دلف لحجبه إياه :

أخبرني عمي قال : حدثنا أحمد بن أبي طاهر .

أن أبا الاسد زار أبا دُلَف في الكرَج[٢]، فحجب عنه أياماً، فقال يعاتبه وكتب بها اليه :

ليت شعري أضاقت الأرض عنّي   أم بفجٍّ أنا الغداة طريد[٣]؟
أم أنا قانعٌ بأدنى معاشٍ   هِمَّتي القوت والقليل الزهيدُ
مِقوَلي قاطعٌ وسيفي حُسامٌ   ويدي حُرَّةٌ وقلبي شديد
رُبَّ بابٍ أعزَّ من بابك اليو   مَ عليه عساكرٌ وجنود
قد وَلجناه داخلين غُدُوّاً   ورواحاً وأنت عنه مَذود[٤]
فاكفف اليوم من حِجابك إذ لستَ   أميراً ولا خميساً تقود[٥]
واغترِبْ في فدافد الصدّ إذ لستُ   أسيراً ولا عليَّ قيود[٦]

---

(١) القرم : السيد . وشهنشاهية : نسبة الى شهنشاه ، وشاه بالفارسية : معناه الملك، وشهنشاه : معناه ملك الملوك .

(٢) الكرج : مدينة بفارس بين همذان واصبهان .

(٣) الفج : الطريق الواسع بين جبلين .

(٤) مذود : مدفوع مطرود .

(٥) الخميس : الجيش ، لأنه خمس فرق : المقدّمة والقلب والميمنة والميسرة والساقة .

(٦) فدافد : جمع فدفد كجعفر ، وهي الفلاة .

لا يُقيمُ العزيزُ في بلد الهو ن ولا يَكبتُ الأريب الجليد[١]

أخبرني علي بن صالح بن الهيثم قال: أنشدني أبو هفّان لأبي الأسد في صديق له يقال له بسطام كان بَرّاً به – قال: وهذا من جيّد شعره، وقد سرق البُحتري معناه منه في شعر مدح به عليّ بن يحيى المنجّم[٢] –:

أعدُو على مال بِسطام فأنهبه ... كما أشاء فلا تُثنى إليّ يدي
حتى كأني بِسطامٌ بما احتكمتْ ... فيه يداي وبِستامٌ أبو الاسد

رثاؤه إبراهيم الموصلي:

أخبرني علي بن صالح بن الهيثم قال: حدثني أبو هفّان، وأخبرني به يحيى بن علي بن يحيى قال: حدثني أبو أيوب المديني قال: حدثنا أبو هفّان قال: حدثني أبو دعامة قال:

لمّا مات إبراهيم الموصليُّ قيل لأبي الأسد – وكان صديقه – ألا ترثيه؟ فقال يرثيه:

تولّى الموصليُّ فقد تولّتْ ... بشاشات المزاهر والقيانِ[٣]
وأيُّ ملاحةٍ بقِيَتْ فتبقى ... حياةُ الموصليّ على الزّمان
ستبكيه المزاهر والملاهي ... ويُسعِدهنّ عاتقة الدّنان[٤]

(١) كبته كضرب: اذله.

(٢) علي بن يحي بن ابي منصور المنجم، كان راوية للاخبار والاشعار، شاعراً.

(٣) المزاهر: جمع مزهر كمنبر، وهو العود يضرب به.

(٤) خمر معتقة وعتيق وعتيقة وعاتق: لم يفض احداً ختامها او قديمة حبست زماناً في ظرفها.

وتبكيــه الغويّة إذ تولّى   ولا تبكيه تاليــة القُران[1]

فقيل له : ويحك فضحته وقد كان صديقك . فقال : هذه فضيحة عند من لا يعقل ، أما من يعقل فلا . وبأيّ شيء كنت أذكره وأرثيه به ؟ أبِالْفِقْه أم بالزُّهد أم بالقراءة ؟ وهل يُرثى إلّا بهذا وشبهه .

قال أبو الفرج : نسخت من كتاب لأحمد بن عليّ بن يحيى ، أخبرني أبو الفضل الكاتب وهو ابن خالة أبي عمرو الطوسي قال :

كنت مقيماً بالجبل[2] فمرّ بي أبو الاسد الشاعر الشيباني ، فأنزلته عندي أياماً ، وسألته عن خبره فقال : صادفتُ شاهين بن عيسى بن أخي أبي دُلَف ، فما احتبسني ولا برّني ولا عرض عليّ المُقام عنده ، وقد حضرني فيه أبيات فاكتبها ، ثم أنشدني :

إني مررتُ بشاهينٍ وقد نفحتْ   ريحُ العشيّ وبردُ الثلج يؤذيني[3]
فما وَقَى عِرضَــه منّي بكُسوته   لا بل ولا حسبٍ دانٍ ولا دينِ
إن لم يكن لبن الدّايات غيّره   عن طبــع آبائه الشمّ العرانين
فربّما غاب بعلٌ عن حليلتــه   فناكها بعض سُوّاس البراذين[4]
وما تحرّك أيرٌ فامتــلا شبقاً   إلّا تحرّكَ عرقٌ في است شاهين[5]

---

(١) الغوية : المرأة الضالة . والقران : مسهل القرآن .

(٢) بلاد الجبل : بارض فارس .

(٣) في الاصول « لفحت » واللفح لكل حار من الرياح ، والنفح لكل بارد .

(٤) البعل : الزوج . والحليلة : الزوجة .

(٥) الشبق : شدّة الغلمة وطلب النكاح .

ثم قال: لأمزّقنّه كلّ ممزّق، ولأصيرنّ الى أبي دُلَف فلأنشدنّه. ومضى من فَوره يريد أبا دلف، فلم يصل اليه، حتى بلغ أبا دلف الشعرُ، فشقّ عليه وغَمّه. وأتاه أبو الأسد فدخل عليه، فسأله عن قصته مع شاهين، فأخبره بها؛ فقال: هَبه لي. قال: قد فعلت. وأمر له بعشرة آلاف درهم، فأمسك عنه.

قال أبو الفرج: هذا البيت الأخير لبشّار وكان عرض له فقال:

وما تحرّكَ أيرٌ فامتــلا شبقاً إلّا تحرّكَ عِرقٌ في أست ... ...

ثم قال: في أست من؟ ومرّ به تسنيم بن الحواري فسلم عليه، فقال: في أست تسنيم والله. فقال له: أيُّ شيء ويلــك؟ فقال: لا تسلْ. فقال: قد سمعت ما أكره، فاذكر لي سببه. فأنشده البيت، فقال: ويلك! أيّ شيء حملك على هذا؟ قال: سلامُك عليّ. قال: لا سلّم الله عليك ولا عليّ إن سلّمت عليك بعدها، وبشّار يضحك. وقد مضى هــذا الخبر بإسناده في أخبار بشّار:

صوت

وقد جُمع معه كل ما يُغنّى في هذه القصيدة:

أَجدَّك إن نُعمٌ نأتْ أنت جازعُ قدِ اقتربتْ لو أنّ ذلــك نافعُ
وحسبك من نأيٍ ثــلاثة أشهرٍ ومن حزَنٍ أن شاق قلبك رابع
بكتْ عينُ من أبكاك ليس البكى ولا تتخالجــك الأمور النّوازعُ (١)
فلا يسمعنْ سِرّي وسرّك ثالثٌ ألا كلّ سرّ جــاوز اثنين شائع

(١) تخالجته الهموم: نازعته. والنوازع: التي تنزع النفوس من صدورها.

وكيف يَشيع السرّ مِنّي ودونه حجابٌ ومن فوق الحجاب الأضالعُ
كأنّ فؤادي بين شقَّين من عصاً حِذارَ وُقوع البَين والبين واقــع
وقالت وعيناها تفيضــان عَبرةً بأهليَ، بيّنْ لي متى أنت راجع ؟
فقلت لهــا بالله يدري مُسافرٌ إذا أضمرته الأرضُ ما الله صانع ؟
فشدّت على فِيها اللثام وأعرضتْ وأقبلنَ بالكحل السحيق المدامع[1]

عروضه من الطويل. الشعر لقيس بن الحدادية، والغناء لإسحاق في الأول والثاني من الابيات خفيف رمل بالوسطى، وفي الثالث وما بعده أربعة.

(١) السحيق : المسحوق .

أخبار قيس بن الحدادية ونسبه

هو قيس بن مُنقذ بن عمرو بن عبيد بن ضاطر بن صالح بن حبشة بن سلول ابن كعب بن عمرو بن ربيعة بن حارثة وهو خزاعة بن عمرو وهو مُزَيقياء[1] بن عامر وهو ماء السماء بن حارثة الغطريف[2] بن امرئ القيس البِطريق[3] بن ثعلبة بن مازن بن الازد، وهو «رداء، ويقال: رديني»، وقد مضى نسبه متقدّماً؛ والحدادية أمّه، وهي امرأة من مُحارب بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مُضَر، ثم من قبيلة منهم يقال لهم بنو حداد. شاعر من شعراء الجاهلية، وكان فاتكاً شجاعاً صعلوكاً خليعاً، خلعته خُزاعة بسوق عكاظ، وأشهدت على نفسها بخلعتها إيّاه، فلا تحتمل جريرةً له، ولا تطالب بجريرة يجرّها أحدٌ عليه.

أغار على بني قمير وقتل ابن عش:

قال أبو الفرج: نسخت خبره من كتاب أبي عمرو الشيباني: لمّا خلعتْ خزاعة ابن عمرو — وهو مُزَيقياء بن عامر، وهو ماء السماء بن الحارث — قيس بن الحدادية، كان أكثرهم قولاً في ذلك وسعياً قوم منهم يقال لهم: بنو قُمير بن

---

(١) كان من ملوك اليمن، وإنما لقب بذلك لانه كان يلبس كل يوم حلتين منسوجتين بالذهب، فإذا أمسى خلعهما ومزقهما.

(٢) الغطريف: السيد الشريف السخي السريّ.

(٣) البطريق: الرجل الوضيء المختال المزهو، والبطريق بلغة الروم: القائد الحاذق بالحرب وامورها.

حبشيَّة بن سَلول ، فجمع لهم قيسٌ شُذّاذاً[١] من العرب وُفتَّاكاً من قومه ، وأغار عليهم بهم ، وقتل منهم رجلًا يقال له ابن عُش ، واستاق أموالهم ، فلحقه رجل من قومه كان سيّداً ، وكان ضَلعه[٢] مع قيس فيا جرى عليه من الخلع ، يقال له ابن محرّق ، فاقسم عليه أن يردّ ما استاقه ، فقال : أمَّا ما كان لي ولقومي فقد أبررتُ قسَمَك فيه وأمّا ما اعتوَرته[٣] أيدي هذه الصعاليك فلا حيلة لي فيه ، فردّ سهمه وسهم عشيرته ، وقال في ذلك :

فأُقسم لولا أسهم ابن مُحرّقٍ ... مع الله ما أكثرتُ عدّ الأقاربِ[٤]
تركت ابن عُشٍّ يرفعون برأسه ... بنوه بساقٍ كعبها غير راتب[٥]
وأنهاهمُ خلعي على غير مِـيرةٍ ... من اللحم حتى غُيّبوا في الغوائب[٦]

وقال أبو عمرو : أغار أبو بردة بن هلال بن عُويمر ، أخو بني مالك بن أفصى ابن حارثة بن عمرو بن عامر بن امرئ القيس على هوازن في بلادها ، فلقي عمرو ابن عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة وبني نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن ، فاقتتلوا قتالًا شديداً ، فانهزمت بنو عامر[٧] وبنو نصر ، وقتل أبو بردة قيس

(١) الشذاذ : الذين ليسوا في حيهم ومنازلهم .

(٢) ضلعك معه بفتح الضاد ، اي ميلك وهواك .

(٣) اعتوروا الشيء وتعاوروه : تداولوه .

(٤) لولا اسهم : اي لولا ان اسهم بتقدير ان . واسهم له : اعطاه سهماً والمعنى : لولا ان ابن محرق جعل لله سهماً في هؤلاء القوم اي لولا انه اقسم عليّ بالله ان ارد إليهم ما غنمته منهم ، ما اكثرت عد الاقارب : اي لقلت عدد اقاربي فلم أبق على هؤلاء الذين نالوني بالاذى منهم .

(٥) غير راتب : اي غير منتصب .

(٦) نهى من اللحم كفرح وانهى : شبع منه واكتفى . الميرة : الطعام يمتاره الإنسان اي يجلبه .

(٧) هم بنوعامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن .

ابن زهير أخا خداش بن زهير الشاعر، وسبي نسوةً من بني عامر: منهنّ صخرة بنت أسماء بن الضَّريبة النَّصري، وامرأتين منهم يقـال لهما: بَيقر وريّا، ثم انصرفوا راجعين، فلما انتهوا الى هَرشى[1] خنقتْ صخرة نفسها فماتت، وقسم أبو بُردة السبيَ والنَّعم والأموال في كل من كان معه، وجعل فيه نصيباً لمن غاب عنها من قومه وفرّقه فيهم.

ثم أغارت هوازن على بني ليث، فأصابوا حيًّا منهم يقال لهم: بنو الملوح بن يعمر بن عوف، ورِعاء لبني ضاطر بن حبشية، فقتلوا منهم رجلًا وسبَوْا منهم سبياً كثيراً واستاقوا أموالهم، فقال في ذلك مالك بن عوف النَّصري[2]:

نحن جلبنا الخيل من بطن ليَّةٍ   وجِلدانَ جُرداً مُنعلاتٍ ووُقّحا[3]
فأصبحن قد جاوزن مَرًّا وجُحفةً   وجاوزن من أكناف نخلةَ أبطحا[4]
تلقَّطن ضَيطاري خُزاعة بعد ما   أَبرْنَ بصحراء الغميم الملوّحا[5]
قتلناهمُ حتى تركنـا شريدهم   نساء وأيتـاماً ورجلًا مُسدَّحا[6]

(١) هرشى: ثنية في طريق مكة قريبة من الجحفة.

(٢) كان قائد المشركين في غزوة حنين.

(٣) لية: من نواحي الطائف، مر به رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انصرافـه من حنين يريد الطائف وامر وهو بلية بهدم حصن مالك بن عوف. جلدان: موضع قرب الطائف بين لية وسبل، يسكنه بنو نصر بن معاوية من هوازن، جردا جمع اجرد: وهو القصير الشعر، وذلك من علامات العتق والكرم، وفرس منعل: شديد الحافر، ووقح الحافر: صلب فهو واقح والجمع وقح.

(٤) بطن مر، ويقال له: مر الظهران: موضـع بينه وبين مكة خمسة أميال. والجحفة: على ثلاث مراحل من مكة في طريق المدينة، ونخلة الشامية واليمانية: واديان على ليلتين من مكة يجتمعان ببطن مر، والابطح: مسيل واسع فيه دقاق الحصى.

(٥) الضيطار: الضخم اللئيم الذي لا غناء عنده، ابارم: اهلكهم، الغميم: موضع بين مكة والمدينة قرب المدينة بين رابغ والجحفة.

(٦) السدح: ذبحك الشيء وبسطكه على الأرض، او هو الصرع بطحاً على الوجه او إلقاه على الظهر كالتسديح.

فإنك لو طالعتهم لحسبتهم بمنعرج الصَّفراء عِتراً مُذبجا [١]

أغار على هوازن وقتل أبا زيد وعروة :

فلما صنعت هوازن ببني ضاطر ما صنعتْ ، جمع قيس بن الحدادية قومه ، فأغار على جُموع هوازن ، فأصاب سبياً ومالاً ، وقتل يومئذٍ من بني قشير : أبا زيد وعُروة وعامراً ومُروّحاً ، وأصاب أبياتاً من كلاب خُلوفاً [٢] ، واستاق أموالهم وسبياً ، ثم انصرف وهو يقول :

نحن جلبنا الخيل قُبّاً بطونها تراها الى الدّاعي المثوّب جُنّحا [٣]
بكلّ خزاعيٍّ اذا الحرب شمّرت تسربل فيها برده وتوشّحا
قرعنا قُشيراً في المحلّ عشيّةً فلم يجدوا في واسع الارض مسرحا
قتلنا أبا زيد وزيداً وعامراً وعروة أقصدنا [٤] بها ومروّحا
وأبنا بإبل القوم تحدى ، ونسوةٍ يبكّين شِلواً أو أسيراً مجرّحا [٥]
غداة سقينا ارضهم من دمائهم وأبنا بأدمٍ كنّ بالأمس وضّحا [٦]

(١) طالعه طلاعاً ومطالعة : اطلع عليه ، الصفراء : قرية كثيرة النخل والمزارع ، وهي فوق ينبع مما يلي المدينة ، والعتر والعتيرة كذبح وذبيحة : الرجبية ، وهي شاة كانوا يذبحونها في الجاهلية في رجب يتقربون بها إلى آلهتهم ويصب دمها على رأسها .

(٢) الخلوف : الحيّ اذا خرج الرجال وبقي النساء .

(٣) القبب كسبب : دقة الخصر وضمور البطن ، قب بطن الفرس يقب كيعض فهو أقب وهي قباء والجمع قب بالضم ، التثويب تثنية الدعاء ، جنح جمع جانحة : اي مائلة إليه مقبلة عليه . وفي البيت خرم .

(٤) اقصده : طعنه فلم يخطئه .

(٥) تحدى : تساق . والشلو : كل مسلوخ أكل منه شيء وبقيت منه بقية .

(٦) بادم : اي بسبايا من النساء أدم ، جمع ادماء ، وصف من الادمة بالضم وهي في الناس : السمرة ، وضحا : اي بيضاً جمع واضحة ، صرن ادماً لشدة ما قاسين من ذل السبي والغلبة .

ورُعنا كلاباً قبل ذاك بغـارة فسُقنا جِلاداً في المبارك قُرَّحا [١]
لقد علمتْ أفناء بكر بن عامرٍ بأنّا نذود الكاشح المتزحزحا [٢]
وأنا بلا مَهرٍ سوى البيض والقنا نُصيب بأفناء القبائل مَنكحا

وقال أبو عمرو : وزعموا أن قيس بن عيلان رغبت في البيت ، وخزاعة يومئذٍ تليه ، وطمعوا أن ينزعوه منهم ، فساروا ومعهم قبائل من العرب ورأسوا عليهم عامر بن الظَّرب العدواني ، فساروا الى مكة في جمع لُهام [٣] ، فخرجت اليهم خزاعة فاقتتلوا ، فهزمت قيس ، ونجا عامر على فرس له جواد [٤] ، فقال قيس بن الحداديّة في ذلك :

لقد سُمتَ نفسك يابن الظَّرِبْ وجشَّمتهم منزلاً قد صَعُبْ [٥]
وحمَّلتهـم مركباً باهظاً من العِبء إذ سُقتهم للشَّغب [٦]
بحرب خزاعة أهل العـلا وأهل الثَّناء وأهـل الحسب
هم المـانعو البيت والذائدون عن الحرمات جميـع العرب
نفَوا جُرهُماً ونَفَوا بعـدهم كنانة غصباً ببيض القضب
وسُمر الرماح وجُرد الجيـاد عليهـا فوارس صدقٍ نُجب
وهم ألحقوا أسداً عنـوةً بأحياء طيٍّ وحازُوا السلَب [٧]

---

(١) رعنا : افزعنا ، والجلاد من الإبل : الغزيرات اللبن ، او التي لا لبن لها ولا نتاج والقرّح والقوارح : جمع قارح وهي الناقة اول ما تحمل .

(٢) الافناء : الإخلاط ، والكاشح : مضمر العداوة ، والمتزحزح : المتباعد ، يريد المتباعد عن محبتنا المتجافي عن مودّتنا .

(٣) لهام : كثير عظيم .

(٤) فرس جواد : رائع .

(٥) يريد لقد سمت نفسك خسفاً ، اي اوليتها إياه .

(٦) بهظه الامر : غلبه وثقل عليه .

(٧) عنوة : قهراً ، والسلب : ما يسلب .

خُزاعـة قومي فإن أفتخر   بهم يَزكُ مُعتصري والنسب[1]
هم الرأس والناس من بعدهم   ذُنابى، وما الرأس مثل الذنب[2]
يُواسي لدى المحل مولاهمُ   وتُكشف عنه غموم الكرَب[3]
فجارهمُ آمنٌ دهرَه   بهم أن يُضام وأن يُغتصب
يلبُّون في الحرب خوف الهجاء   ويَبرون أعداءهم بالحرَب
ولو لم ينجّك من كيدهم   أمين الفصوص شديد العصب[4]
لزرتَ المنايا، فلا تكفرَن   جوادك نُعماه يابن الظَّرِب
فإن يلتقوك يزُرك الحما   م أو تنجُ ثانيـةً بالهرب

قال أبو الفرج: هذه القصيدة مصنوعة، والشعر بين التوليد.

وقال أبو عمرو: أغارت هوازن على خزاعة وهم بالمحصَّب[5] من مِنى، فأوقعوا ببطن منهم يقال لهم بنو العنقاء، وبقوم من بني ضاطر، فقتلوا منهم عَبداً وعوفاً وأقرم وغبشان، فقال ابن الأحبّ العدواني يفخر بذلك:

غداة التقينا بالمحصَّب من منًى   فلاقت بنو العنقاء إحدى العظائمِ
تركنا بها عَوفاً وعَبداً وأقرماً   وغبشان سُؤراً للنُّسور القشاعمِ[6]

فأجابه قيس بن الحدادية، فقال يعيّره أن فخر بيوم ليس لقومه:

فخرت بيوم لم يكن لك فخره   أحاديث طَسمٍ إنما أنت حالمُ[7]

(١) زكا يزكو: نما، ويقال: رجل كريم المعتصر: جواد عند المسألة كريم.
(٢) الذنابى: الذنب.
(٣) المحل: الجدب، والمولى: الجار والحليف.
(٤) الفصوص: جمع فص، وهو ملتقى كل عظمين، والامين: القوي.
(٥) المحصب: موضع رمي الجمار بمنى.
(٦) السؤر: البقية والفضلة، والقشاعم: جمع قشعم كجعفر، وهو من النسور: المسن الضخم.
(٧) طسم: قبيلة من عاد انقرضوا.

تفاخر قوماً أطردتك رماحهم أكعب بن عمرو : هل يجاب البهائم[١]
فلو شهدت أمّ الصبيّين حملنا وركضهم لأبيض منها المقادم
غداة تولّيتم وأدبر جمعكم وأبنا بأسراكم كأنّا ضراغم[٢]

قال أبو عمرو : وكان ابن الحدادية أصاب دماً في قوم من خزاعة هو وناس من أهل بيته ، فهربوا فنزلوا في فراس بن غنم ، ثم لم يلبثوا أن أصابوا أيضاً منهم رجلاً ، فهربوا فنزلوا في بجيلة على أسد بن كرز ، فآواهم وأحسن الى قيس وتحمّل عنهم ما أصابوا في خزاعة وفي فراس ، فقال قيس بن الحدادية يمدح أسد ابن كرز :

لا تعذليني سلمى اليوم وانتظري أن يجمع الله شملاً طالما افترقا
إن شتّت الدهر شملاً بين جيرتكم فطال في نعمة يا سلم ما اتّفقا
وقد حللنا بقسريّ أخي ثقة كالبدر يجلو دجى الظلماء والأفقا
لا يجبر الناس شيئاً هاضه أسد يوماً لا يرتقون الدهر ما فتقا[٣]
كم من ثناء عظيم قد تداركه وقد تفاقم فيه الأمر وانخرقا

قال أبو عمرو : وهذه الأبيات من رواية أصحابنا الكوفيين ، وغيرهم يزعم أنها مصنوعة ، صنعها حمّاد الراوية لخالد القسري[٤] في أيام ولايته ، وأنشده إيّاها فوصله ، والتوليد بيّن فيها جداً .

(١) أطرده : صيره طريداً .

(٢) ضراغم : جمع ضرغم كجعفر وهو الاسد .

(٣) هاض الشيء : كسره .

(٤) هو خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد بن كرز البجلي ثم القسري ، ولاه الوليد بن عبد الملك مكة سنة ٨٩ ، وولي العراقين في عهد هشام بن عبد الملك ، وتوفي سنة ١٢٦ هـ .

وقال أبو عمرو : غزا الضريس القشيريّ بني ضاطر في جماعة من قومه ، فثبتوا له وقاتلوه حتى هزموه ، وانصرف ولم يفز بشيء من أموالهم ، فقال قيس بن الحدادية في ذلك :

فِدًى لبني قيس وأفناء مالكٍ لدى الشِّسع من رجلي الى الفرق صاعدا [١]
غداة أتى قوم الضريس كأنهم قطا الكُدر من ودّان أصبح وارادا [٢]
فلم أرَ جمعاً كان أكرم غالياً وأحمى غلاماً يوم ذلك أطردا [٣]
رميناهم بالحُوّ والكُمتِ والقنا وبيضٍ خفافٍ يختلين السواعدا [٤]

مدحه بني عدي بن عمرو من خزاعة :

قال أبو عمر : ولما خلعتْ خزاعة قيساً ، تحوّل عن قومه ، ونزل عند بطنٍ من خزاعة ، يقال لهم بنو عدي بن عمرو بن خالد ، فآووه وأحسنوا اليه ، وقال يمدحهم :

جزى الله خيراً عن خليع مطرَّدٍ رجالًا حَموه آل عمرو بن خالدِ
فليس كمن يغزو الصديق بنَوكه وهمته في الغزو كسب المزاود [٥]

---

(١) الشسع : احد سيور النعل . والفرق : موضع المفرق من الرأس اي وسطه الذي يفرق فيه الشعر .

(٢) الكدر : موضع قرب المدينة ؛ والكدرى : ضرب من القطا . وودّان : قرية بين مكة والمدينة ، قريبة من الجحفة .

(٣) كذا في الاصول وفي البيت سناد التأسيس ، وهو عيب من عيوب القافية ، ولعلها «طاردا».

(٤) الحو جمع احوى وحواء وصف من الحوّة : وهي حمرة الى السواد ، والكميت من الخيل يستوي فيه المذكر والمؤنث ، وصف من الكمتة ، وهي لون بين السواد والحمرة ، وجمعه كمت . يختلين السواعد : يقطعن ويذهبن بسواعد المضروبين بها .

(٥) فليس كمن يغزو : اي فليس هذا الحي كمن يغزو . والنوك بالفتح والضم : الحمق ، والمزاود : جمع مزود كمنبر ، وهو وعاء الزاد .

عليكم بعرصات الديار فإنني سواكم عديدٌ حين تُبلى مشاهدي[١]
ألاوَذتمُ حتى اذا ما أمِنتم تعاوَرتم سَجعاً كسجع الهداهد[٢]
تجنّى عليّ المازنان كلاهما فلا أنا بالمغضي ولا بالمساعد[٣]
وقد حدبت عمرو عليَّ بعزّها وأبناؤها من كل أروع ماجد[٤]
مصاليت يوم الرَّوع كَسبهم العلا عِظام مقيل الهام شُعر السواعد[٥]
أولئك إخواني وُجلُّ عشيرتي وثروتهم والنصر غير المحارد[٦]

أخبرني أحمد بن سليمان الطوسي ، والحرمي بن أبي العلاء قالا : حدثنا الزبير ابن بكار قال : أخبرني عمي أن خزاعة أغارت على اليامة[٧]، فلم يظفروا منها بشيء، فهزموا وأسر منهم أسرى ، فلما كان أوان الحج ، أخرجهم من أسرهم الى مكة في الأشهر الحرم ليبتاعهم قومهم ، فغدَوا جميعاً الى الخلصاء[٨]، وفيهم قيس بن

(١) يخاطب في هذا البيت وما بعده قومه . والعرصة : كل بقعة بين الدور واسعة ليس فيها بناء ، والجمع عرصات بفتح الراء ، وسكنت في البيت للضرورة . عديد : معدود . تبلى : تختبر . مشاهد جمع مشهد ، اي شهودي القتال وخوضي غماره .

(٢) لاوذ : استتر ، وتعاوروه : تداولوه ، وسجعت الحمامة : طرّبت في صوتها ووالته على طريق واحد .

(٣) تجنى عليه : ادعى ذنباً لم يفعله .

(٤) حدب عليه كفرح : عطف . والاروع : من يعجبك بحسنه وجهارة منظره او بشجاعته .

(٥) مصاليت : جمع مصلات ، وهو الماضي في الامور ، الهام : الرؤوس، جمع هامة ، ومقيل الهامة: مستقر الرأس اي العنق ، يقول : إنهم غلاظ الاعناق وهو كناية عن قوة البأس . شعر : جمع اشعر، وهو كثير الشعر طويله .

(٦) الثروة : كثرة العدد بين الناس . والمال غير المحارد ، اي غير المنقطع ، واصله من حاردت الابل حرادا : انقطعت البانها او قلت .

(٧) اليامة : صقع شرقي الحجاز ويعد من نجد .

(٨) الخلصاء : بلد بالدهناء ، والدهناء من ديار بني تميم بنجد .

الحدادية ، فأخرجوهم وحماوهم ، وجعلوهم في حظيرة ليحرقوهم ، فمرّ بهم عديّ[١] بن نوفل ، فاستجاروا به ، فابتاعهم وأعتقهم ، فقال قيس يمدحه :

دعوت عديّاً والكبول تكُبني ألا يا عديُّ يا عديّ بن نوفلِ[٢]
دعوت عديا والمنايا شوارعٌ ألا يا عديّ الأسيرِ المكبّلِ[٣]
فما البحر يجري بالسُّفين اذا غدا بأجود سَيباً منه في كل محفلِ[٤]
تداركت أصحاب الحظيرة بعدما أصابهم منّا حريق المحلِّلِ[٥]
وأتبعت بين المَشعَرين سقايةً لحجّاج بيت الله أكرم مَنهلِ

هجرة خزاعة لجدب أصابهم وشعر له في ذلك :

قال أبو عمرو : وكان قيس بن الحدادية يهوى أمّ مالك بنت ذؤيب الخزاعي ، وكانت بطون من خزاعة خرجوا جالين الى مصر والشام لأنهم أجدبوا ، حتى اذا كانوا ببعض الطريق ، رأوا البوارق خلفهم ، وأدركهم من ذكر لهم كثرة الغيث والمطر وغزارته ، فرجع عمرو بن عبد مناة في ناس كثير الى أوطانهم ، وتقدّم قبيصة بن ذؤيب ومعه أخته أم مالك ، واسمها نُعم بنت ذؤيب ، فمضى ، فقال قيس بن الحدادية هذه القصيدة التي فيها الغناء المذكور :

أَجِدَّك إن نُعمٌ نأت أنت جازعُ قد اقتربتْ لو أن ذلك نافعُ

---

(١) هو عدي بن نوفل بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة .

(٢) الكبول : جمع كبل بالفتح ، وهو اعظم ما يكون من الاقياد . وكبه : قلبه وصرعه .

(٣) شوارع : جمع شارعة ، اي مسددة ، من شرعت الرماح اي تسدّدت .

(٤) السيب : العطاء .

(٥) المحلل : اي من حلل احراقنا في الاشهر الحرم .

قد اقتربت لو أن في قرب دارها نوالًا، ولكن كل من ضنّ مانعُ
وقد جاورتنا في شهور كثيرة فما نوّلت، والله راءٍ وسامع
فإن تلقيَنْ نعمى هديتَ لخيِّها وسل كيف تُرعى بالمغيب الودائع
وظنّي بها حفظٌ لغيبي، ورعيةٌ لما استرعيَتْ، والظن بالغيب واسع [1]
وقلت لها في السر بيني وبينها على عجلٍ: أيان مَن سار راجع؟
فقالت: لقاءٌ بعد حول وحجّةٍ وشحط النوى إلا لذي العهد قاطع [2]
وقد يلتقي بعد الشتات أولو النوى ويسترجع الحيَّ السحاب اللوامع [3]
وما إن خذولٌ نازعت حبل حابلٍ لتنجو إلا استسلمت وهي ظالع [4]
بأحسن منها ذات يوم لقيتها لها نظرٌ نحوي كذي البثّ خاشع [5]
رأيت لها ناراً تُشَب، ودونها طويل القرا من رأس ذروة فارع [6]
فقلت لأصحابي: اصطلوا النار إنها قريبٌ، فقالوا: بل مكانك نافع [7]
فيا لك من حادٍ حبوت مقيَّداً وأنحى على عِرنين أنفك جادع
أغيظاً أرادت أن تخبّ جمالها لتفجع بالإظعان مَن أنت فاجع [8]

---

(١) الرعية: اسم من الرعاية.

(٢) الحجة: السنة. والشحط: البعد.

(٣) النوى: البعد. يسترجع الحي، اي يرجعهم ويردهم.

(٤) الخذول من الظباء والبقر: التي تخذل صواحباتها وتتخلف عن القطيع وتنفرد مع ولدها؛ ويقال هو مقلوب لانها هي المتروكة. ظلع كمنع: غمز في مشيه.

(٥) البث: اشد الحزن.

(٦) تشب: توقد. القرا: الظهر. ذروة: اسم جبل. الفارع: العالي.

(٧) اصطلوا النار: يريد جدوا في السير لنصطلي النار إنها قريب.

(٨) خبت: اسرعت، وقد اخبها صاحبها. ظعن كمنع: سار، واظعنه إظعاناً: سيره. من انت فاجع: اي اصحابك.

فما نُطفة بالطَّود أو بضريّة بقية سيلٍ أحرزتها الوقائعُ ١
يطيف بها حرّان صادٍ ولا يرى اليها سبيلاً غير أن سيطالع ٢
بأطيب مِن فيها اذا جئت طارقاً من الليل واخضلَّتْ عليك المضاجع ٣
وَحسبك من نأيٍ ثلاثة أشهر ومن حَزَنٍ أن زاد شوقك رابع
سعى بينهم واشٍ بأفلاق بِرمةٍ ليفجع بالأظعان مَن هو جازع ٤
بكت من حديث بثّه وأشاعه ورصّفه واشٍ من القوم راصع ٥
بكت عين من أبكاك لا يعرف البكا ولا تتخالجك الأمور النوازع
فلا يسمعن سرّي وسرّك ثالثٌ ألا كلّ سرّ جاوز اثنين شائع
وكيف يشيع السرُّ منّي ودونه حجاب ومن دون الحجاب الأضالع!
وحبٌّ لهذا الرَّبع يمضي أمامه قليل القِلى منه جليلٌ ورادع ٦
لهوتُ به حتى اذا خِفتُ أهله وبيّن منه للحبيب المخادع
نزعت فما سرّي لأوّل سائل وذو السر ما لم يحفظ السر ماذع
وقد يحمد الله العزاء من الفتى وقد يجمع الأمر الشتيت الجوامع
ألا قد يُسلّي ذو الهوى عن حبيبه فيسلى ، وقد تُردي المطيَّ المطامع

---

(١) النطفة : الماء الصافي قلّ او كثر ، والجمع نطاف . والطود : الجبل . وضريّة : بئر .

(٢) اطاف به : الم به وقاربه . حران صاد : عطشان . طالعه : اطلع عليه اي اشرف .

(٣) الطارق : الاتي ليلاً . اخضلت : نديت .

(٤) برمة : عرض من اعراض المدينة قرب « بلاكث » بين خيبر ووادي القرى ، وافلاق جمع فلق كسبب ، وهو المطمئن من الارض بين ربوتين .

(٥) بث الخبر : نشره ، ورصف الشيء كفتل : ضم بعضه الى بعض ونظمه ورصعه بالرمح : طعنه طعناً شديداً غيب السنان .

(٦) الربع : المنزل .

وما راعني إلّا المنادي ألا اظعنوا   وإلا الرواغي غُدوةً والقعاقعُ [١]
فجئت كأني مستضيفٌ وسائل   لأُخبرها كلّ الذي أنا صانع
فقالت: تزحزح ما بنا كُبرُ حاجةٍ   اليك ولا منّاً لفقرك راقع
فما زلتُ تحت الستر حتى كأنني   من الحرّ ذو طِمرَين في البحر كارع [٢]
فهزّت إليّ الرأس مني تعجّباً   وعُضِض مما قد فعلتُ الأصابع
فأيّهما ما أتبعنّ فإنني   حزين على إثر الذي أنا وادع [٣]
بكى من فراق الحيّ قيس بن مُنقذ   وإذراء عيني مثله الدمع شائع [٤]
بأربعة تنهلُّ لمّا تقدّمت   بهم طُرُقٌ شتى وهنّ جوامع [٥]
وما خِلت بين الحيّ حتى رأيتهم   ببينونة السفلى وهبّت سوافع [٦]
كأن فؤادي بين شقّين من عصاً   حِذار وقوع البين والبين واقع
يحثُّ بهم حادٍ سريعٌ نجاؤه   ومُعرًى عن الساقين والثوب واسع [٧]
فقلت لها يا نُعم حُلّي محلّنا   فإن الهوى يا نُعم والعيش جامع
فقالت وعيناها تفيضان عبرةً   بأهليَ بيّن لي متى أنت راجع ؟

---

(١) رغت الناقة رغاء: صوتت فهي راغية والجمع الرواغي، والقعاقع: تتابع اصوات الرعد في شدة، جمع قعقعة، والمراد هنا اصوات تقويض الاخبية وما الى ذلك تأهباً للرحيل.

(٢) الطمر: الثوب الخلق. كرع في الماء كمنع وسمع: تناوله بفيه من موضعه من غير ان يشرب بكفيه ولا بإناء.

(٣) يستشهد بهذا البيت على استعمال وادع بمعنى تارك.

(٤) اذرت العين الدمع إذراء: صبته.

(٥) باربعة، اي باربع اعين وهي عيناه وعيناها. وانهلت العين: سالت بالدمع.

(٦) البين: الفراق. وبينونة: موضع بين عمان والبحرين، السوافع: لوافح السموم، سفعته الشمس والسموم: لفحته لفحته يسيراً فغيرت لون بشرته وسوّدته.

(٧) النجاء: السرعة في السير.

فقلت لها تالله يدري مسافر إذا أضمرته الأرض ما الله صانعُ
فشدّت على فيها اللثام وأعرضت وأمعن بالكحل السَّحيق المدامع [1]
وإني لعهد الودّ راعٍ، وإنني بوصلك ما لم يطوني الموت طامع

قال أبو عمرو: فأنشدت عائشة بنت طلحة بن عبيد الله هذه القصيدة، فاستحسنتها وبحضرتها جماعة من الشعراء. فقالت: من قدر منكم أن يزيد فيها بيتاً واحداً يشبهها ويدخل في معناها فله حلّتي هذه، فلم يقدر أحد منهم على ذلك.

قال أبو عمرو: وقال قيس أيضاً يذكر بين الحيّ وتفرقهم ويَنسب بنعم:

سقى الله أطلالا بنعمٍ ترادفت بهن النّوى حتى حللن المطاليا [2]
فإن كانت الأيام يا أمّ مالك تسلّيكم عنّي وتُرضي الأعاديا
فلا يأمننْ بعدي امرؤ فجع لذّةٍ من العيش أو فجع الخطوب العوافيا [3]
وبُدّلت من جدواكِ يا أمّ مالكٍ طوارق همٍّ يحتضرن وِساديا [4]
وأصبحت بعد الأنس لابس جُبّة أساقي الكماة الدارعين العواليا [5]
فيوماي يومٌ في الحديد مُسربَلًا ويوم مع البيض الأوانس لاهيا
فلا مدركاً حظّاً لدى أمّ مالك ولا مستريحاً في الحياة فقاضيا [6]
خليليّ إن دارت على أمّ مالك صروفُ الليالي فابعثا ليَ ناعيا

(١) امعن الماء: سال وجرى.

(٢) المطالي: الارض السهلة اللينة تنبت العضاه، ترادفت: تتابعت عليها الرحلة.

(٣) العوافي: جمع عافية وهي الطامسة.

(٤) الجدوى: العطية.

(٥) الجبة: الدرع. والكماة: جمع كميّ: وهو الشجاع المتكي في سلاحه اي المتغطي المتستر بالدرع والبيضة. ورجل دارع: عليه درع. والعوالي جمع عالية، وهي اعلى الرمح ورأسه.

(٦) قاضياً: ميتاً، من قضى، اي مات.

ولا تتركاني لا لخيرٍ معجّـل ... ولا لبقـاء تنظران بقائيا
وإن الذي أمّلتُ من أمّ مـالك ... أشاب قذالي واستهـام فؤاديا[1]
فليت المنايا صبّحتني غُـدَيَّةً ... بذبح ولم أسمـع لبينٍ مناديا[2]
نظرت ودوني يذبُلٌ وعمـايةٌ[3] ... إلى آل نُعمٍ مَنظراً مُتنـائيا
شكوت الى الرحمن بُعد مَزارها ... وما حمّلتني وانقطاع رجائيـا
وقلت ولم أملك أعمرو بن عامر ... لحتفٍ بـذات الرّقمتين يرى ليا[4]
وقـد أيقنتْ نفسي عشيّة فارَقوا ... بأسفل وادي الدّوح أن لا تلاقيا
اذا ما طواكِ الدهر يا أمّ مالـكٍ ... فشأنُ المنايا القاضيـات وشانيا

قال أبو عمرو : وقد أدخل الناس أبياتاً من هذه القصيدة في شعر المجنون .

قال أبو عمرو : وكان من خبر مقتل قيس بن الحدادية أنه لقي جمعاً من مزينة يريدون الغارة على بعض من يجدون منه غِرّة ، فقالوا له : استأسر ، فقال : وما ينفعكم منّي اذا استأسرتُ وأنا خليع ؟ والله لو أسرتموني ثم طلبتم بي من قومي عنزاً جَرباء جَذماء[5] ما أعطيتموها ، فقالوا له : استأسر لا أمّ لك ! فقال : نفسي عليّ أكرم من ذاك ، وقاتلهم حتى قتل . وهو يرتجز ويقول :

أنا الذي تخلعه مواليهْ ... وكلّهم بعد الصفاء قاليه[6]
وكلّهم يُقسم لا يباليه ... أنا اذا الموت ينوب غاليه[7]

---

(١) القذال : جماع مؤخر الرأس ، واستهام فؤاده : اذهبه .

(٢) غدية مثل عشية : والجمع غدايا كعشية وعشايا . والبين : الفراق .

(٣) يذبل وعماية : جبلان في بلاد نجد .

(٤) الرقمتان : روضتان إحداهما قريب من البصرة ، والاخرى بنجد .

(٥) الجذماء : المقطوعة اليد .

(٦) قاليه : مبغضه .

(٧) والغالي في امره : المبالغ فيه .

مختلطٌ أسفله بعاليـــه قد يعلم الفتيان أنّي صاليه
إذا الحديد رفعتْ عواليه

وقيل: إنه كان يتحدث الى امرأة من بني سُليم، فأغاروا عليه وفيهم زوجها، فأفلت فنام في ظلّ وهو لا يخشى الطلب، فاتبعوه فوجدوه، فقاتلهم، فلم يزل يرتجز وهو يقاتلهم حتى قُتل.

صوت

صَرمتني ثم لا كلّمتني أبـداً إن كنت خنتك[1] في حال من الحالِ
ولا اجترمت[2] الذي فيه خيانتكم ولا جرَتْ خطرةٌ منه علـى بالي
فسوّغيني المنى كيا أعيش بهـا وأمسكي البذل ما أطلعتِ آمالي
أو عجّلي تلفي إن كنتِ قاتـلتي أو نوّليني بإحسان وإجمـال

الشعر لابن قُنبر، والغناء ليزيد بن حوراء خفيف رمل بالبنصر عن عمرو بن بانة، وذكر إسحاق أنه لسليم ولم يذكر طريقته.

(١) في الاصول «إن كنت جئتك»، وهو تحريف صوابه ما أثبتنا كما سيرد في الترجمة.

(٢) اجترم: أجرم وأذنب.

أخبار ابن قنبر ونسبه

هو الحكم بن محمد بن قُنبر المازني مازن بني عمرو بن تميم، بصريّ شاعر ظريف من شعراء الدولة الهاشمية، وكان يهاجي مسلم بن الوليد الأنصاري مدّة، ثم غلبه مسلم.

هجاؤه مسلم بن الوليد:

قال أبو الفرج: نسخت من كتاب جدي يحيي بن محمد بن ثوابة بخطه: حدثني الحسن بن سعيد قال: حدثني منصور بن جهوَر قال: لمّا تهاجى مسلم بن الوليد وابن قنبر، أمسك عنه مسلم بعد أن بسط عليه لسانه، فجاء مسلماً ابن عم له فقال: أيها الرجل، إنك عند الناس فوق هذا الرجل في عمود الشعر، وقد بعثت عليه لسانك ثم أمسكت عنه، فإما أن قاذعته، وإما أن سالمته؛ فقال له مسلِم: إن لنا شيخاً وله مسجد يتهجد[1] فيه، وله دعوات يدعوها، ونحن نسأله أن يجعل بعض دعواته في كفايتنا إياه، فأطرق الرجل ساعةً ثم قال:

غلب ابن قنبر واللئيم مغلّب لما اتّقيتُ هجـاءه بدعاء[2]
ما زال يقذف بالهجاء ولذعه حتى اتقوه بدعـوة الآباء

قال: فقال له مسلم: والله ما كان ابن قنبر ليبلغ منّي هذا، فأمسك عني

(١) التهجد: صلاة الليل.

(٢) المغلب: المحكوم عليه بالغلبة.

لسانك وتعرّف خبره بعد ، قال : فبعث الرجل والله عليه من لسان مسلم ما أسكته .

أخبرني الحسن بن علي قال : حدثنا ابن مَهرويه قال : حدثني محمد بن عبد الله العبدي القسري قال : رأيت مسلم بن الوليد والحكم بن قنبر في مسجد الرُّصافة[١] في يوم جمعة ، وكل واحد منهما بإزاء صاحبه ، وكانا يتهاجيان ، فبدأ مسلم فأنشد قصيدته :

أنا النار في أحجارها مستكنّة   فإن كنت ممن يقدح النار فاقدح

وتلاه ابن قنبر فأنشد قوله :

قد كدت تهوي وما قوسي بموترة   فكيف ظنّك بي والقوس في الوتر[٢]

فوثب مسلم وتواخزا[٣] وتواثبا حتى حجز الناس بينهما فتفرّقا ، فقال رجل لمسلم – وكان يتعصب له – : ويحك ! أعجزت عن الرجل حتى واثبته ؟ قال : أنا وإيّاه لكما قال الشاعر :

هنيئاً مريئاً أنت بالفُحش أبصرُ

وكان ابن قنبر مستعلياً عليه مدّة ، ثم غلبه مسلم بعد ذلك ، فمن مناقضتهما قول ابن قنبر :

ومن عجب الأشياء أنّ لمسلم   إليّ نِزاعاً في الهجاء وما يدري[٤]

---

(١) يعني رصافة بغداد ، وهي في الجانب الشرقي .

(٢) أوتر القوس : جعل لها وتراً .

(٣) تواخزا : تطاعنا طعناً غير نافذ .

(٤) نزع اليه نزاعاً : اشتاق ، كنازع .

ووالله ما قيست علي جدوده لدى مفخر في الناس قوساً ولا شعري [١]

ولابن قنبر قوله :

كيف أهجوك يا لئيم بشعري أنت عندي فاعلم هجاء هجائي
يا دعي الأنصار بل عبدها النذ ل تعرضت لي لدرك الشقاء

أخبرني عيسى بن الحسين الوراق قال : حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال : حدثني أبو توبة ، عن محمد بن جبير عن الحسين بن محرز المغني المديني قال : دخلت يوماً على المأمون في يوم نوبتي وهو ينشد :

صوت

فما أقصر اسم الحب يا ويح ذي الحب وأعظم بلواه على العاشق الصب
يمر به لفظ اللسان مشمراً ويغرق من ساقاه في لجج الكرب

فلما بصر بي قال : تعال يا حسين ، فجئت ، فأنشدني البيتين ، ثم أعادهما علي حتى حفظتهما ، ثم قال : اصنع فيهما لحناً ، فإن أجدت سررتك ، فخلوت وصنعت فيهما لحني المشهور ، وعدت فغنيته إياه ، فقال : أحسنت ، وشرب عليه بقية يومه ، وأمر لي بألف دينار ، والشعر لحكم بن قنبر .

أخبرني محمد بن الأزهر قال : حدثني حماد بن اسحاق ، عن أبيه ، عن محمد بن سلام قال : أنشدني ابن قنبر لنفسه :

ويلي على من أطار النوم وأمتنعا وزاد قلبي على أوجاعه وجعا

---

(١) علي : على جدودي وأصولي . قوساً : مقدار قوس .

ظبيٌ أغرُّ ترى في وجهه سُرُجاً تُعشي العيون اذا ما نورُه سطعا[١]
كأنما الشمس في أثوابه بزغتْ حُسناً، أو البدر في أردانه طلعا[٢]
فقد نسيتُ الكرى من طول ما عطلتْ منه الجفون وطارت مهجتي قِطعا

قال ابن سلّام: ثم قال ابن قنبر: لقيتني جوارٍ من جواري سليمان بن علي في الطريق الذي بين المِربد وقصر أوس، فقلن لي: أنت الذي تقول:

ويلي على من أطار النوم وامتنعا

فقلت: نعم. فقلن: أمع هذا الوجه السَّمج تقول هذا؟ ثم جعلن يجذبنني ويلهون بي حتى أخرجنني من ثيابي، فرجعت عارياً الى منزلي. قال: وكان حسنَ اللباس.

أخبرني محمد بن الحسين الكندي مؤدّبي قال: حدثني علي بن محمد النوفلي قال: حدثني عمي قال: دخل الحكم بن قنبر على عمي – وكان صديقاً له – فبشّ به ورفع مجلسه، وأظهر له الأُنس والسرور، ثم قال: أنشدني أبياتك التي أقسمت فيها بما في قلبك. فأنشده:

وحقّ الذي في القلب منك فإنه عظيم لقد حصّنت سرّك في صدري
ولكنما أفشاه دمعي، وربما أتى المرء ما يخشاه من حيث لا يدري
فهب لي ذنوب الدمع، إني أظنّه بما منه يبدو إنما يبتغي ضرّي
ولو يبتغي نفعي لخلّى ضمائري يردّ على أسرار مكنونها ستري

(١) سرجا: جمع سراج. تعشى العيون: اعشاه فعشي (كفرح) عشا، والعشا سوء البصر.

(٢) اردان: جمع ردن بالضم، وهو اصل الكم.

رواية محمد بن سلام لشعره واعتراضه عليه :

فقال لي : يا بنيّ اكتبها واحفظها ، ففعلت وحفظتها يومئذٍ وأنا غلام .

أخبرني اليزيدي قال : أخبرني عمي عن ابن سلّام ، وأخبرني به أحمد ابن عباس العسكري عن القنبري عن محمد بن سلام قال : أنشدني بن قُنبر لنفسه قوله :

صرمتني ثم لا كلّمتني أبداً إن كنت خنتك في حالٍ من الحالِ
ولا اجترمت الذي فيه خيانتكم ولا جرتْ خطرة منه على بالي

قال : فقلت له وأنا أضحك : يا هذا لقد بالغتَ في اليمين . فقال : هي عندي كذاك ، وإن لم تكن عندك كما هي عندي .

قال اليزيدي : قال عمي وهو الذي يقول (وفيه غناء) :

صوت

ليس فيها ما يقال له كملتْ لو أنّ ذا كملا
كلّ جزء من محاسنها كائنٌ في فضله مثلا
لو تمنّت في ملاحتها لم تجد من نفسها بدلا

فيه لحنٌ لابن القصّار رمل .

شعر منسوب اليه او للعتابي :

أخبرني الحسن بن علي قال : حدثني ابن مهرويه قال : قال لي ابراهيم بن المدبّر : أتعرف الذي يقول :

إن كنتَ لا ترهب ذَمّي لما تعرف من صفحي عن الجاهلِ
فاخشَ سُكوتي فطناً مُنصتاً فيك لتحسين خنا القائل[١]
مقالةُ السوء الى أهلها أسهل من منحدر سائل
ومن دعا الناس الى ذَمّه ذَمّوه بالحقّ وبالباطل

فقلت : هذه للعتّابي ، فقال : ما أنشدتها إلّا لابن قُنبر ، فقلت له : من شاء منهما فليقُلها ، فإنه سرقه من قول عبيد الله بن عبد الله بن عُتبة :

وإن أنا لم آمر ولم أنه عنكما سكتُّ له حتى يلجّ ويستشري[٢]

أخبرني الحسن بن علي قال : حدثنا ابن مهرويه قال : حدثني أبو مسلم يعني محمد بن الجهم قال :

أطعم رجل من وَلد عبد الله بن كرَيز صديقاً له ضيعة ، فكثت في يده مدّة ، ثم مات الكرَيزي ، فطالب ابنه الرجل بالضيعة ، فمنعه إيّاها ، فاختصما الى عبيد الله بن الحسن ، فقيل له : ألا تستحي ! تطالب بشيء إن كنت فيه كاذباً أثمت ، وإن كنت صادقاً فإنما تريد أن تنقض مكرمةً لأبيك ، فقال له ابن الكريزي – وكان ساقطاً – : الشحيح أعظم من الظالم أعزك الله ، فقال له عبيد الله بن الحسن : هذا الجواب والله أعزّ من الخصومة ويحك ، وهذا موضع هذا القول ، اللهم أردد على قريش أخطارها[٣] ، ثم أقبل علينا فقال : لله درّ الحكم ابن قنبر حيث يقول :

---

(١) الخنا من الكلام : أفحشه .

(٢) استشرى الفرس في سيره : لج ومضى وجدّ فيه بلا فتور ولا انكسار ، ومن هذا يقال للرجل اذا لجّ في الامر : قد شرى فيه كفرح واستشرى .

(٣) أخطارها : أقدارها .

اذا القرَشيّ لم يشبه قريشاً بفعلهم الذي بذّ الفعالا
فجرميٌّ له خُلقٌ جميل لدى الأقوام أحسن منه حالا [1]

أخبرني محمد بن الحسين الكندي قال: حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال: حدثنا مسعود بن بشر قال: شكا العباس بن محمد الى الرشيد أن ربيعة الرّقيّ هجاه فقال له: قد سمعت ما كان مدحك به، وعرفت ثوابك إياه، وما قال في ذمّك بعد ذلك، فما وجدته ظلمك به، ولله درّ ابن قنبر حيث قال:

ومن دعا الناس الى ذمّه ذمّوه بالحقّ وبالباطل

وبعد، فقد اشتريتُ عِرضك منه، وأمرتُه بأن لا يعود لذمّك تعريضاً ولا تصريحاً.

شعره في مرض موته:

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال: حدثنا أحمد بن أبي خيثمة قال: حدثنا محمد بن سلّام قال: مرض ابن قُنبر فأتوه بخصيب الطبيب يعالجه، فقال فيه:

ولقد قلت لأهلي إذ أتوني بخصيبِ
ليس والله خصيبٌ للذي بي بطبيب
إنما يعرف دائي من به مثل الذي بي

قال: وكان خصيب عالماً بمرضه، فنظر الى مائه فقال: زعم جالينوس

(١) جرميّ: نسبة الى جرم بن زبان، بطن من قضاعة.

ان صاحب هذه العلّة اذا صار ماؤه هكذا لم يعشْ، فقيل له: إن جالينوس ربّما أخطأ، فقال: ما كنت الى خطئه أحوج منّي اليه في هـذا الوقت. قال: ومات من علته.

صوت

خليـليَّ من سعد ألمّا فسلّما   على مريمٍ، لا يبعد الله مريما
وقولا لها هذا الفراق عزمته   فهل من نوال قبل ذاك فنعلما

الشعر للأسود بن عمارة النوفلي، والغناء لدحمان ثاني ثقيل بالوسطى.

أخبار الأسود ونسبه

نسبه وأخباره :

هو – فيما أخبرني به الحرمي بن أبي العلاء، والطوسي، عن الزبير بن بكّار، عن عمه – الأسود بن عمارة بن الوليد بن عدي بن الخيار بن عدي بن نوفل ابن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرّة بن كعب بن لؤي بن غالب، وكان الأسود شاعراً أيضاً.

شعره في معشوقته هند :

قال الزبير – فيما حدثنا به شيخانا المذكوران عنه – : وحدثني عمي قال : كان عمارة بن الوليد النوفلي أبو الاسود بن عمارة شاعراً، وهو الذي يقول :

صوت

تلكَ هندٌ تُصدُّ للبين صدّاً · أدلالاً أم هندُ تهجر جدّاً
أم لتنكا بـه قروح فؤادي · أم أرادت قتلي ضراراً وعمدا (١)
قد براني وشفَّني الوجد حتى · صرتُ مما ألقى عظاماً وجلدا
أيها الناصح الأمين رسولاً · قل لهندٍ عنّي اذا جئتَ هندا
عَلِم الله أن قد أوتيتِ مني · غير منٍّ بذاك نصحاً وودّا

(١) نكأ القرحة كمنع : قشرها قبل أن تبرأ فنديت .

مـا تقرّبتُ بالصفاء لأدنو منك إلّا نأيتِ وازددت بعدا

الغناء لعبادل خفيف رمل بالبنصر في مجراها عن اسحاق ، وفي كتاب حكم : الغناء له خفيف رمل ، وفي كتاب يونس : فيه لحن ليونس غير مجنّس ، وفيه ليحيي المكي أو لابنه أحمد بن يحيي ثقيل أول :

ولايته بيت المال :

قال الزبير : قال عمي ومن لا يعلم : يروى هذا الشعر لعمارة بن الوليد النوفلي ، قال : وكان الاسوَد يتولى بيت المال بالمدينة ، وهو القائل :

خليـليَّ من سعدٍ ألِمَّا فسلّما على مريم ، لا يبعد الله مريما
وقولا لها هذا الفراق عزمته فهل من نوال قبل ذاك فنعلما

قال : وهو الذي يقول لمحمد بن عبيد الله بن كثَير بن الصَّلت :

ذكرناك شُرطيًّا فأصبحت قاضياً وصرت أميراً ، أبشري قحطانُ
أرى نزواتٍ بينهن تفاوتٌ وللدهر أحداث وذا حدثان [1]
أقيمي بني عمرو بن عوف أو اربعي لكل أناس دولة وزمان [2]

قال : وإنما خاطب بني عمرو بن عوف ها هنا لأن الكثيري كان تزوج اليهم ، وإنما قال : « أبشري قحطان » لأن كثير بن الصلت من كندة حليف لقريش .

قصته مع محبوبته مريم :

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال : حدثني علي بن سليمان النوفلي أحد

---

(١) نزوات : جمع نزوة من نزا ينزو نزواً اذا وثب ، وحدثان الدهر وأحداثه : حوادثه ونوبه .
(٢) ربع كمنع : انتظر وتحبس .

بني نوفل بن عبد مناف قال: كان أبي يتعشّق جارية مولّدة مغنّية لامرأة من أهل المدينة، ويقال للجارية مريم، فغاب غيبة الى الشأم، ثم قدم فنزل في طرف المدينة، وحمل متاعه على حمّالين، وأقبل يريد منزله، وليس شيء أحبّ اليه من لقاء مريم، فبينا هو يمشي إذ هو بمولاة مريم قائمة على قارعتها[١]، وعيناها تدمعان، فسألها وسألته، فقال للعجوز: ما هذه المصيبة التي أصبت بها؟ قالت: لم أُصب بشيء إلّا َمبيعي مريم، قال: وممن بعتها؟ قالت: من رجل من أهل العراق، وهو على الخروج، وإنما ذهبت بها حتى ودّعت أهلها، فهي تبكي من أجل ذلك، وأنا أبكي من أجل فراقها، قال: الساعةَ تخرج؟ قالت: نعم الساعة تخرج، فبقي متبلّداً حائراً، ثم أرسل عينيه يبكي، وودّع مريم وانصرف، وقال قصيدته التي أوّلها:

خليـليَّ من سعد أَلِمّا فسلّما على مريمٍ، لا يُبعد الله مريما
وقولا لها هذا الفراق عزمته فهل من نوال قبل ذاك فنعلما

قال: وهي طويلة؛ وقد غنّى بعض أهل الحجاز في هذين البيتين غناء زيانبياً. هكذا قال ابن عمّار في خبره.

قصته في بيتين من شعره:

أخبرني الحسن بن علي الخفّاف قال: حدثني ابن مهرويه قال: حدثنا عبد الله ابن أبي سعد قال: حدثني أبو العباس أحمد بن مالك اليماني، عن عبد الله بن محمد البواب قال: سألت الخيزران[٢] موسى الهادي أن يولّي خاله الغطريف اليمن، فوعدها بذلك ودافعها[٣] به، ثم كتبتْ اليه يوماً رُقعةً تتنجّزه فيها أمره، فوجه اليهـا

(١) قارعتها، أي قارعة المدينة، وقارعة الطريق: أعلاه.
(٢) الخيزران: أم موسى الهادي الخليفة العباسي.
(٣) ويقال: دافع فلان فلاناً في حاجته اذا مطله فيها فلم يقضها له.

برسولها يقول : خيّريه بين اليمن وطلاق ابنته ، أو مُقامي عليها ولا أوليه اليمن ، فأيّهما أختار فعلته ، فدخل الرسول اليها – ولم يكن فهم عنه ما قال – فأخبرها بغيره ، ثم خرج اليه فقال : تقول لك : ولاية اليمن ، فغضب وطلّق ابنته وولّاه اليمن ، ودخل الرسول فأعلمه بذلك ، فارتفع الصياح من داره ، فقال : ما هذا ؟ فقالوا : من دار بنت خالك ، قال : أو لم تختر ذلك ! قالوا : لا ، ولكن الرسول لم يفهم ما قلت فأدّى غيره ، وعجلت بطلاقها ، ثم ندم ودعا صالحاً صاحب المصلى وقال له : أقم على رأس كل رجل بحضرتي من الندماء رجلاً بسيف ، فمن لم يطلّق امرأته منهم فلتضرب عنقه ، ففعل ذلك ، ولم يبرح من حضرته أحد إلّا وقد طلّق امرأته ، قال ابن البواب : وخرج الخدم إليّ فأخبروني بذلك وعلى الباب رجل واقف متلفّع بطيلسانه يراوح[1] بين رجليه ، فخطر ببالي :

خليـليّ من سعد أَلِمَّا فسلّما ... على مريم ، لا يُبعد الله مريما
وقولا لها ، هذا الفراق عزمته ... فهل من نوال قبل ذاك فنعلما

فأنشدته فيعلما بالياء ، فقال لي : فنعلما بالنون ، فقلت له : فما الفرق بينهما ؟ فقال : إن المعاني تحسّن الشعر وتفسده ، وإنما قال : « فنعلما » ليعلم هو القصة ، وليس به حاجة الى أن يعلم الناس سره ، فقلت : أنا أعلم بالشعر منك ، قال : فلمن هو ؟ قلت : للأسود بن عمارة ، قال : أو تعرفه ؟ قلت : لا ، قال : فأنا هو ، فاعتذرت اليه من مراجعتي إياه ، ثم عرّفته خبر الخليفة فيما فعله ، فقال : أحسن الله عزاءك ، وانصرف وهو يقول : « هذا أحقّ منزل بترْكِ » .

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال : حدثنا الزبير بن بكّار قال : كان محمد بن عبيد الله بن كثير بن الصّلت على شُرطة المدينة ، ثم ولي القضاء ، ثم ولاه أبو جعفر المدينة وعزل عبد الصمد بن علي ، فقال الأسود بن عمارة :

---

(١) المراوحة بين الرجلين : أن يقوم على كل مرة .

ذكرتك شُرطيّاً، فأصبحتَ قاضياً فصرت أميراً، أبشري قحطانُ
أرى نزواتٍ بينهنّ تفاوُتٌ وللدهر أحداث وذا حدثان
أرى حدثاً ميطان منقطعٌ له ومنقطع من بعده ورِقان[1]
أقيمي بني عمرو بن عوف او اربعي لكلّ أناس دولةٌ وزمان

صوت

شعر لعلي بن الخليل :

هل لدهر قد مضى من مَعادِ أو لهمٍّ داخلٍ من نفادِ
أذكرتني عِيشةً قد تولّت هاتفاتٌ نحن في بطن وادي[2]
هِجنَ لي شوقاً وأُلهبنَ ناراً للهوى في مستقرّ الفؤاد
بان أحبابي وغُودرتُ فرداً نُصب ما سرّ عيونَ الاعادي

الشعر لعلي بن الخليل، والغناء لمحمد الرف، ولحنه خفيف رمل بالبنصر من رواية عمرو بن بانة .

(١) ميطان : من جبال المدينة . ورقان : جبل أسود على يمين المصعد من المدينة الى مكة .

(٢) هاتفات : نائحات .

أخبار علي بن الخليل

نسبه وأخباره :

هو رجل من أهل الكوفة مولًى لمعن بن زائدة الشيباني ، ويكنى أبا الحسن ، وكان يعاشر صالح بن عبد القدّوس لا يكاد يفارقه ، فاتُّهم بالزَّندقة ، وأُخذ مع صالح ثم أطلق لمّا انكشف أمره .

قال محمد بن داود بن الجراح : حدثني محمد بن الازهر عن زياد بن الخطاب عن الرشيد ، أنه جلس بالرافقة[١] للمظالم ، فدخل عليه علي بن الخليل وهو متوكئ على عصاً ، وعليه ثياب نظاف ، وهو جميل الوجه حسن الثياب ، في يده قصة ، فلما رآه أمر بأخذ قصته ، فقال له يا أمير المؤمنين : أنا أحسن عبارة لها ، فإن رأيت أن تأذن لي في قراءتها فعلت . قال : اقرأها ، فاندفع ينشده فيها قصيدته :

يا خيرَ من وَخدَت بأرحله نُجُبُ الرّكاب بمهمهٍ جَلسِ[٢]

فاستحسنها الرشيد وقال له : من أنت ؟ قال : أنا علي بن الخليل الذي يقال فيه إنه زنـديق ، فضحك وقال له : أنت آمن ، وأمر له بخمسة آلاف درهم ، وخُص به بعد ذلك وأكثر مدحه .

---

(١) الرافقة : بلد متصل البناء بالرقة وهما على ضفة الفرات ، بناه المنصور سنة ١٥٥ هـ على بناء مدينة بغداد ورتب به جنداً من أهل خراسان وجرى ذلك على يد المهدي وهو ولي عهده ثم بنى الرشيد قصور هذا البلد .

(٢) وخد البعير كوعد وخدا : أسرع ووسع الخطو ، أو رمى بقوائمه كمشي النعام ، وأرحل جمع رحل ، وهو مركب للبعير . نجب جمع نجيب ، والنجيب من الابـل : القوي الخفيف السريع . والمهمه : المفازة البعيدة . والجلس : الغليظ من الارض .

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال: حدثنا أحمد بن يحيي ثعلب قال: كان الرشيد قد أخذ صالح بن عبد القدوس وعلي بن الخليل في الزندقة – وكان علي ابن الخليل استأذن أبا نواس في الشعر – فأنشده علي بن الخليل:

يا خيرَ من وخدَت[1] بأرحله نُجُبٌ تخُبُّ بهم جُلْسِ[1]
تطوي السباسب في أزمّتها طيّ التِّجار عمائم البرس[2]
لما رأتك الشمس إذ طلعت كسفت بوجهك طلعة الشمس[3]
خيرُ البرية أنت كلّهم في يومك الغادي وفي أمس
وكذاك لن تنفكَّ خيرَهم تُمسي وتصبح فوق ما تُمسي
لله ما هارون من ملك بَرِّ السريرة طاهر النفس
ملك عليه لربّه نِعمٌ تزداد جدَّتها على اللبس
تحكي خلافته ببهجتها أنقَ السرور صبيحة العرس[4]
من عِترةٍ طابت أرومتهم أهل العفاف ومنتهى القدس[5]
نُطُقٍ اذا احتضرت مجالسهم وعن السفاهة والخنا خُرس
إني اليك لجأتُ من هربٍ قد كان شرّدني ومن لبس[6]
واخترتُ حكمك لا أجاوزه حتى أوسَّد في ثرى رَمسي[7]

---

(١) في ج «وجدت»، ويقال: خبت الناقة خبأ وخبباً: أسرعت.

(٢) السباسب: جمع سبسب وهي المفازة. والبرس بالكسر والضم: القطن.

(٣) في آمالي السيد المرتفي «سجدت لوجهك».

(٤) الأنق: الفرح والسرور.

(٥) عترة الرجل: نسله ورهطه الأدنون. وفي أمالي المرتفي «من عصبة». والأرومة وتضم: الاصل.

(٦) اللبس: الالتباس والاشتباه.

(٧) الرمس: القبر، والثرى: التراب.

لما استخرتُ الله في مهلٍ يمّمتُ نحوكَ رحلة العنسِ [١]
كم قد قطعتُ اليكَ مدّرِعاً ليلاً بَهيم اللون كالنِقس [٢]
إن هاجني من هاجسٍ جزعٌ كان التوكل عنده تُرسي
ما ذاك إلا أنني رجل أصبو الى بقر من الإنس
بقرٍ أوانس لا قرون لها نُجل العيون نواعمٍ لُعس [٣]
رَدعُ العبير على ترائبها يُقبلن بالترحيب والخلس [٤]
وأشاهد الفتيان بينهم صفراء عند المزج كالوَرس [٥]
للماء في حافاتها حَببٌ نُظُم كرَقم صحائف الفرس [٦]
والله يعلم في بقيته ما إن أضعتُ إقامة الخمس [٧]

فأطلقه الرشيد ، وقتل صالح بن عبد القدوس ، واحتجّ عليه في أنه لا يقبل له توبة بقوله :

والشيخ لا يترك أخلاقه حتى يُوارى في ثرى رمسهِ

---

(١) العنس : الناقة الصلبة .

(٢) « كم قطعت » . وادّرع : لبس الدرع ، والمعنى : لابساً الليل كأنه درع . والبهيم : الأسود . والنقس : المداد .

(٣) نجل : جمع ، نجلاء ، وهو سعة العين . لعس جمع لعساء : وصف من اللعس ، وهو سواد يعلو شفة المرأة البيضاء ، وقيل : هو سواد في حمرة .

(٤) العبير : أخلاط من الطيب . والردع : أثر الطيب في الجسد والترائب : ما ولي الترقوتين ، واحدتها تريبة . الخلس : النظر خلسة .

(٥) الورس : صبغ أصفر .

(٦) الحبب : النفاخات والفقاقيع التي تطفو فوق الخمر كأنها القوارير .

(٧) بقية الله : طاعته وانتظار ثوابه .

وقال : إنما زعمت ألا تترك الزندقة ولا تحول عنها أبداً .

شعره في يعقوب بن داود وابن علاثة :

أخبرني محمد بن خلف وكيع ، قال : حدثني أحمد بن زهير بن حرب ، قال : كان عافية بن يزيد يصحب ابن علاثة[1] ، فأدخله على المهدي ، فاستقضاه معه بعسكر المهدي وكانت قصة يعقوب مع أبي عبيد الله[2] كذلك ، أدخله الى المهدي ليعرض عليه ، فغلب عليه ، فقال علي بن الخليل في ذلك :

عجباً لتصريف الامو ر مسرّةً وكراهيه
رثّت ليعقوب بن دا ود حبال معاويه[3]
وعدت على ابن علاثة الـ ـقاضي بوائق عافيه[4]
أدخلته فعلا عليـ ـك كذاك شؤمُ الناصيه
وأخذت حتفك جاهداً بيمينك المتراخيه
يعقوبُ ينظر في الامو ر وأنت تنظر ناحيه

أخبرني عمي الحسن بن محمد قال : حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال : حدثني محمد بن عمرو بن فراس الذّهلي عن أبيه قال : قال لي محمد بن الجهم البرمكي :

---

(١) عافية بن يزيد الأودي ، ومحمد بن عبد الله بن علاثة الكلابي ، استقضاهما المهدي سنة ١٦١ فكانا يقضيان في عسكره ، وقد شرك بينهما في القضاء فكانا يقضيان جميعاً في المسجد الجامع في الرصافة ، هذا في أدناه ، وذاك في أقصاه ، وكان عافية أكثرهما دخولا على المهدي (تاريخ بغداد ١٢ : ٣٠٧) .

(٢) هو أبو عبيد الله معاوية بن يسار من موالي الاشعريين ، كان كاتب المهدي ونائبه قبل الخلافة ، ثم ان الربيع بن يونس ما زال يسعى به الى المهدي حتى عزله عن الوزارة ، وأفرده في ديوان الرسائل ، واستوزره يعقوب بن داود سنة ١٦٣ ثم عزل أبا عبيد الله عن ديوان الرسائل سنة ١٦٧ ورتب فيه الربيع بن يونس ، ومات أبو عبيد الله سنة ١٧٠ هـ .

(٣) معاوية : اسم الوزير أبي عبيد الله .

(٤) بوائق جمع بائقة ، وهي الداهية .

قال لي المأمون يوماً : يا محمد : أنشدني بيتاً من المديح جيّداً فاخراً عربياً لمحدَث حتى أولّيك كورةً تختارها . قال قلت : قول علي بن الخليل :

فمع السماء فروع نبعتهم ومع الحضيض منابت الغرسِ [١]
متهلّلين على أسرّتهم ولدى الهياج مصاعبٍ شُمسِ [٢]

فقال : أحسنت ، وقد وليتك الدِّينَوَر ، فأنشدني بيت هجاء على هذه الصفة حتى أولّيك كورةً أخرى ، فقلت : قول الذي يقول :

قَبُحتْ مناظرهم فحين خبرتهم حسُنت مناظرهم لقبح المَخبرِ [٣]

فقال : قد أحسنت ، قد ولّيتك همذان ، فأنشدني مرثيةً على هذا حتى أزيدك كورة أخرى ، فقلت : قول الذي يقول :

أرادوا ليخفوا قبره عن عدوّه فطيب تراب القبر دلّ على القبرِ

فقال : قد أحسنت ، قد وليتك نَهاوَند ، فأنشدني بيتاً من الغزل على هذا الشرط حتى أولّيك كورة أخرى ، فقلت : قول الذي يقول :

تعالي نجدّد دارس العلم [٤] بيننا كلانا على طول الجفاء مَلومُ

فقال : قد أحسنت ، قد جعلت الخيار اليك فاختر ، فاخترت السوس من كوَر الاهواز ، فولاني ذلك أجمع ، ووجّهت الى السوس بعض أهلي .

---

(١) النبعة : واحدة النبع ، وهو شجر للقسي والسهام . والحضيض : القرار في الارض .

(٢) تهلل الوجه : تلألأ . ومصاعب : جمع مصعب ، وهو الفحل الذي لم يمسسه حبل ولم يركب . ورجل مصعب : مسوّد . وشمس : جمع شموس كصبور من شمس الفرس : اذا منع ظهره .

(٣) هذا البيت والذي يليه لمسلم بن الوليد الانصاري .

(٤) كذا في الاصول : ولعله « الوصل » أو « العهد » .

أخبرني علي بن سليمان الاخفش قال: حدثنا محمد بن يزيد، عن التَّوَّزي قال: نزل أبو دلامة بدهقان[1] يُكنى أبا بِشر، فسقاه شراباً أعجبه، فقال في ذلك:

سقاني أبو بشر من الراح شربةً ... لها لذَّةٌ ما ذُقتها لشرابِ
وما طبخوها غير أنّ غلامهم ... سعى في نواحي كَرمها بشهاب[2]

قال: فأنشد علي بن الخليل هذين البيتين فقال: أحرقه العبد أحرقه الله:

أخبرني الحسن بن علي، وعمي الحسن بن محمد، قالا: حدثنا ابن مهرويه قال: حدثني محمد بن عمران الضبي عن علي بن يزيد قال: ولد ليزيد بن مزيد ابن، فأتاه علي بن الخليل فقال: اسمع أيها الامير تهنئةً بالفارس الوارد، فتبسم وقال: هاتِ، فأنشده:

يزيدُ يابن الصِيد من وائلِ ... أهل الرياسات وأهل المعالْ[3]
يا خير من أنجبه[4] والد ... ليهنِك الفارس ليث النزال
جاءت به غرّاء ميمونة ... والسعد يبدو في طلوع الهلال
عليه من مَعن ومن وائلٍ ... سِيما تباشيرٍ وسيما جَلال[5]
والله يُبقيه لنا سيّداً ... مدافعاً عنّا صروف الليال
حتى نراه قد علا منبراً ... وفاض في سؤّاله بالنوال

---

(١) الدهقان: رئيس الاقليم، فارسي معرّب.

(٢) الشهاب: شعلة من نار ساطعة، شبه به الخمر.

(٣) الصيد: جمع أصيد، وهو الملك، ورافع رأسه كبراً، والاسد.

(٤) الذي في كتب اللغة: أنجب الرجل والمرأة اذا ولدا ولداً نجيباً أي كريماً، ولم يرد فيها أنجب متعدياً.

(٥) السيا: العلامة.

وسدّ ثغراً فكفى شرّه وقارع الابطال تحت العوالْ[١]
كما كفانا ذاك آباؤه فيحتذي أفعالهم عن مثال

فأمر له عن كل بيت بألف دينار .

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال : حدثني ابن مهرويه قال : حدثني ابن الاعرابي المنجّم الشيباني ، عن علي بن عمرو الانصاري ، قال : دخل علي بن الخليل على المهدي فقال له : يا علي ، أنت على معاقرتك الخمر وشربك لها ؟ قال : لا والله يا أمير المؤمنين ، قال : وكيف ذاك ؟ قال : تبت منها . قال : فأين قولك ؟ :

أولعتُ نفسي بلذّتها ما ترى عن ذاك إقصارا

وأين قولك ؟ :

إذا ما كنت شاربها فسرًا ودع قول العواذل واللواحي[٢]

قال : هذا شيء قلته في شبابي ، وأنا القائل بعد ذلك :

على اللذات والراحِ السلامُ تقضّى العهدُ وانقطع الذمامُ
مضى عهد الصبا وخرجت منه كما مِن غِمده خرج الحسام
وُقرتُ على المشيب فليس منّي وصال الغانيات ولا المدام[٣]
وولّى اللهوُ والقيناتُ عنّي كما ولّى عن الصبح الظلام
حلبتُ الدهر أشطُرَه فعندي لصرف الدهر محمودٌ وذام[٤]

(١) الثغر : موضع المخافة من البلدان . والعوالي . رؤوس الرماح .

(٢) اللواحي : جمع لاحية : وهي اللائمة .

(٣) وقر ككرم ووعد : رزن .

(٤) أشطره : أي أشطر الدهر . والمعنى أنه اختبر حالات الدهر . والذام : الذم .

أخبرني علي بن سليمان الاخفش، قال: حدثني محمد بن الحسن بن الحرون، عن علي بن عبيدة الشيباني، قال: دخل علي بن الخليل ذات يوم الى معن بن زائدة فحادثه وناشده، ثم قال له معن: هل لك في الطعام؟ قال: اذا نشط الامير، فأُتيا بالطعام، فأكلا، ثم قال: هل لك بالشراب؟ قال: إن سقيتني ما أُريد شربتُ، وإن سقيتني من شرابك فلا حاجة لي فيه، فضحك ثم قال: قد عرفت الذي تريد، وأنا أسقيك منه، فأُتي بشراب عتيق، فلما شرب منه وطابت نفسه أنشأ يقول:

يا صاحِ قد أنعمتَ إصباحي ... ببارد السلسال والراحِ[1]
قد دارت الكأسُ برقراقةٍ ... حياةِ أبدانٍ وأرواح[2]
تجري على أغيدَ ذي رَونقٍ ... مهذَّب الأخلاق جحجاح[3]
ليس بفحّاش على صاحب ... ولا على الراح بفضّاح
تسرّه الكأس اذا أقبلت ... بريح أُترُجٍ وتُفّاح
يسعى بها أزهر في قُرطَق ... مقلَّد الجيد بأوضاح[4]
كأنها الزّهرة في كفّه ... أو شُعلة في ضوء مصباح

حدثنا علي بن سليمان الاخفش قال: حدثنا محمد بن يزيد قال: كان لعلي بن الخليل الكوفي صديقٌ من الدّهاقين يعاشره ويبرّه، فغاب عنه مدّةً طويلة وعاد الى الكوفة وقد أصاب مالًا ورفعة، وقويت حاله، فادّعى أنه من بني تميم، فجاءه علي بن الخليل فلم يأذن له، ولقيه فلم يسلِّم عليه، فقال يهجوه:

---

(١) خمر سلسال: لينة.

(٢) كل شيء له بصيص وتلألؤ فهو رقراق، وأراد بالرقراقة هنا الخمر.

(٣) غيد كفرح فهو أغيد، مالت عنقه ولانت أعطافه، والجحجح والجحجاح: السيد.

(٤) القرطق: لباس من ملابس العجم يشبه القباء، معرب كرته. والأوضاح: جمع وضح كسبب، وهو حليّ من الفضة.

يروح بنسبة المولى ويصبح يدّعي العربا
فلا هـذا ولا هذا ك يدركه اذا طلبا
أتينـاه بشَبُّوطٍ ترى في ظهره حدبا [١]
فقال: أما لبخلك من طعامٍ يُذهب السَّغبا [٢]
فصد لأخيك يربوعاً وضباً واترك اللعبا [٣]
فرشت له قريح المسـك والنسرينَ والغربا [٤]
فأمسك أنفه عنها وقـام موليّاً هربا
يشمُّ الشِّيح والقَيصو م كي يستوجب النسبا [٥]
وقام اليه ساقينـا بكأسٍ تنظِم الحببا [٦]
معتَّقةٍ مروّقـةٍ تسلّي همَّ من شربا
فآلى لا يُسلسلها وقال أصببْ لنا حلبا [٧]
وقد أبصرته دهراً طويلاً يشتهي الأدبا

(١) الشبوط بالفتح ويضم: سمك دقيق الذنب، عريض الوسط، صغير الرأس.

(٢) السغب: الجوع.

(٣) اليربوع: دويبة نحو الفأر لكن ذنبه وأذناه أطول من ذنب وأذني الفأر، ورجلاه أطول من يديه. والضب: دويبة من تشبه التمساح الصغير وذنبها كذنبه وتتلون كالحرباء.

(٤) القريح: الخالص، كالقراح. والنسرين: ورد، فارسي معرّب. والغرب: ضرب من الشجر.

(٥) القيصوم: من نبات البادية.

(٦) هذا البيت في الاصول مقدم على سابقه، وهو خطأ. يدل على ذلك سياق المعنى.

(٧) آلى: أقسم. وتسلسل الماء في الحلق: جرى، وسلسله: صبه فيه. والحلب: اللبن المحلوب.

فصار تشبّهاً بالقو م جلفاً جافياً جشبا[1]
إذا ذُكر البرير بكى وأبدى الشوق والطربا[2]
وليس ضميره في القو م إلّا التين والعنبا
جحدت أباك نسبته وأرجو أن تفيد أبا

قال علي بن سليمان : وأنشدني محمد بن يزيد وأحمد بن يحيي جميعاً لعلي بن الخليل في هذا الذكر، وذكر ثعلب أن اسحاق بن ابراهيم أنشد هذه الأبيات لعلي، قال :

يأيّها الراغب عن أصله ما كنت في موضع تهجين[3]
متى تعرّبتَ وكنت امرأ من الموالي صالح الدّين
لو كنتَ إذ صرتَ الى دعوة فزتَ من القوم بتمكين[4]
لكفّ من وجدي، ولكنني أراك بين الضّبّ والنون[5]
فلو تراه صارفاً أنفه من ريح خيريّ ونسرين[6]
لقلتَ : جلفٌ من بني دارم حنّ الى الشّيح بيَبرين[7]
دُعموصُ رمل زلّ عن صخرةٍ يعاف أرواح البساتين[8]

(١) الجلف : الجافي، والجشب : الخشن الغليظ .

(٢) البرير : ثمر الأراك .

(٣) التهجين : التقبيح .

(٤) الدعوة في النسب «بالكسر» : أن ينتسب الانسان الى غير أبيه وعشيرته .

(٥) الوجد : الحزن .

(٦) الخيري بالكسر : المنثور الاصفر .

(٧) يبرين : رمل لا تدرك أطرافه ، من أصقاع البحرين .

(٨) الدعموص : دويبة صغيرة تكون في مستنقع الماء . يعاف : يكره . أرواح : جمع ريح .

تنبو عن الناعم أعطافه والخزّ والسِّنجاب واللين[١]

أخبرني جحظة ومحمد بن مزيد جميعاً، قالا: حدثنا حمّاد بن اسحاق، عن أبيه قال: كان علي بن الخليل جالساً مع بعض ولد المنصور، وكان الفتى يهوى جارية لعتبة مَولاة المهدي، فمرّت به عُتبة في موكبها والجارية معها، فوقفت عليه وسلّمت، وسألت عن خبره، فلم يوفّها حقّ الجواب، لشغل قلبه بالجارية، فلما انصرفت أقبل عليه علي بن الخليل، فقال له:

راقب بطرفك من تخا ف اذا نظرت الى الخليل
فإذا أمِنتَ لحاظهم فعليك بالنظر الجميل[٢]
إن العيون تدلّ بالنـ ـظر المليح على الدّخيل
إمّا على حبٍّ شديـ ـدٍ أو على بُغضٍ أصيل

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال: حدثنا عيسى بن إسماعيل تينة قال: كان علي بن الخليل يصحب بعض ولد جعفر بن المنصور، فكتب اليه والبةُ بن الحباب يدعوه، ويسأله ألاّ يشتغل بالهاشمي يومه ذلك عنه، ويصف له طيب مجلسه وغناء حضّله وغلاماً دعاه، فكتب اليه علي بن الخليل:

أما ولِحاظِ جارية تُذيب حُشاشة المُهجِ[٣]
وسحر جفونها المضنيـ ـك بين الفتر والدّعج[٤]

(١) السنجاب: حيوان شعره في غاية النعومة، يتخذ من جلده الفراء، يلبسه المتنعمون.

(٢) لحاظهم، أي لحاظ من تخافهم، واللحاظ بالكسر: مصدر لاحظه أي راعاه. واللحاظ بالفتح: مؤخر العين مما يلي الصدغ.

(٣) الحشاشة: بقية الروح في المريض والجريح.

(٤) الدعج: سواد العين مع سعتها، وأراد بالفتر هنا: الفتور.

مليحة كلّ شيء ما — خلا من خُلقها السَّمج
وحُرمة دَنّك المبزو — ل والصهباء منه تمجي (١)
كأنّ مجيئها في الكأ — س حين تصبُّ من ودَج (٢)
لو انعرج الأنام الى — بشاشة مجلس بَهج
وكنت بجانب جدب — لكان اليك مُنعرجي

وصار اليه في إثر الرقعة .

(١) بزل الخمر : ثقب إناءها ، ويقال للحديدة التي تفتح مبزل الدن وبزال ومبزل لانه يفتح بها ، الصهباء : الخمر .

(٢) الودج : عرق في العنق .

أخبار محمد الزف

نسبه وبعض أخباره :

هو محمد بن عمرو مولى بني تميم ، كوفي الاصل والمولد والمنشأ ؛ والزفّ : لقب غلب عليه ، وكان مغنيّاً ضارباً طيّب المسموع، صالح الصنعة ، مليح النادرة، أسرع خلق الله أخذاً للغناء ، وأصحهم أداء له ، وأذكاهم ، إذا سمع الصوت مرتين أو ثلاثاً أدّاه لا يكون بينه وبين من أخذه عنه فرق ، وكان يتعصب على ابن جامع ، ويميل الى ابراهيم الموصلي وابنه اسحاق ، فكانا يرفعان منه ويقدّمانه ويجتلبان له الرفد والصلات من الخلفاء ، وكانت فيه عربدة اذا سكر ، فعربد بحضرة الرشيد مرّة فأمر بإخراجه ، ومنعه من الوصول اليه ، وجفاه وتناساه ، وأحسبه مات في خلافته أو في خلافة الأمين .

أخبرني بذلك ذكاء وجه الرزة عن محمد بن أحمد بن يحيي المكي المرتجل .

أخبرني ابن جعفر جحظة قال : حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال : غنى ابن جامع يوماً بحضرة الرشيد :

صوت

جَسورٌ على هجري، جبانٌ على وصلي كذوب غداً يستتبع الوعد بالمطلِ

مقدّم رجل في الوصال مؤخّر لأخرى، يشوب الجدّ في ذاك بالهزل

يهمّ بنا حتى اذا قلتُ قد دنا   وجاد ثنى عِطفاً ومال الى البخلِ (١)
يزيد امتناعاً كلما زِدت صبوةً   وأزداد حرصاً كلما ضنّ بالبذل

فأحسن فيه ما شاء وأجمل ، فغمزت عليه محمداً الزّفّ ، وفطن لما أردت ، واستحسنه الرشيد ، وشرب عليه ، واستعاده مرتين أو ثلاثاً ، ثم قمت للصلاة وغمزت الزف وجاءني ، وأومأت الى مخارق وعلّويه وعقيد فجاءوني ، فأمرته بإعادة الصوت ، فأعاده وأدّاه كأنّه لم يزل يرويه ، فلم يزل يكرره على الجماعة حتى غنّوه ودار لهم ، ثم عدت الى المجلس ، فلما انتهى الدّور إليّ بدأت فغنّيته قبل كل شيء غنيته ، فنظر إليّ ابن جامع محدّداً نظره ، وأقبل عليّ الرشيد فقال : أكنت تروي هذا الصوت ؟ فقلت : نعم يا سيدي . فقال ابن جامع : كذب والله، ما أخذه إلا مني الساعة . فقلت : هذا صوت أرويه قديماً ، وما فيمن حضر أحد إلا وقد أخذه مني ، وأقبلت عليه ، فغنّاه علاويه ثم عقيد ثم مخارق ، فوثب ابن جامع فجلس بين يديه وحلف بحياته وبطلاق امرأته أن اللحن صنعه منذ ثلاث ليال ، ما سُمع منه قبل ذلك الوقت ، فأقبل عليّ فقال : بحياتي اصدقني عن القصة ، فصدقته، فجعل يضحك ويصفِّق ويقول : لكل شيء آفة ، وآفة ابن جامعٍ الزّفّ.

لحن هذا الصوت خفيف ثقيل أوّل بالبنصر ، والصنعة لابن جامع من رواية الهشاميّ وغيره .

قوة حفظه وبراعته في الغناء :

قال أبو الفرج : وقد أخبرني بهذا الخبر محمد بن مزيد ، عن حماد عن أبيه بخلاف هذه الرواية ، فقال فيه قال : محمد الزفّ أروى خلق الله للغناء ، وأسرعهم أخذاً لما سمعه منه ، ليست عليه في ذلك كلفة ، وإنما يسمع الصوت مرّة واحدة

---

(١) ثنى عطفه : لوى عنقه معرضاً .

وقد أخذه ، وكنا معه في بلاء اذا حضر ، فكان من غنى منا صوتاً فسأله عدوٌ له أو صديق أن يلقيه عليه ، فبخل ومنعه إياه ، سأل محمداً الزفّ أن يأخذه ، فما هو إلا أن يسمعه مرة واحدة حتى قد أخذه وألقاه على من سأله ، فكان أبي يبرّه ويصله ويجديه[1] من كل جائزة وفائدة تصل اليه ، فكان غناؤه عنده حمى مصوناً لا يقربه ، ولم يكن طيّب المسموع ، ولكنه كان أطيب الناس نادرةً ، وأملحهم مجلساً ، وكان مغرى بابن جامع خاصة من بين المغنّين لبخله ، فكان لا يفتح ابن جامع فاه بصوت إلا وضع عينه عليه ، وأصغى[2] سمعه اليه ، حتى يحكيه ، وكان في ابن جامع بخل شديد لا يقدر معه على أن يسعفه ببرّ ورِفد ، فغنى يوماً بحضرة الرشيد :

صوت

أرسلت تُقرئُ السلام الرَّبابُ ... في كتابٍ وقد أتانا الكتابُ
فيه : لو زُرتنا لزرناك ليلاً ... بمِنًى حيث تستقلّ الركاب[3]
فأجبتُ الرَّباب : قد زرت لكن ... ليَ منكم دون الحجاب حجاب
إنما دهرك العتاب وذمّي ... ليس يُبقي على المحبّ عتاب

وحلنه من الثقيل الاول ، فأحسن فيه ما شاء ، ونظرتُ إلى الزفّ فغمزته وقت الى الخلاء ، فاذا هو قد جاءني ، فقلت له : أي شيء عملت ؟ فقال : قد فرغت لك منه ، قلت : هاته ، فردّه عليّ ثلاث مرات ، وأخذته وعدت إلى مجلسي ، وغمزت عليه عقيداً ومخارقاً ، فقاما ، وتبعهما فألقاه عليهما ، وابن جامع لا يعرف الخبر ، فلما عاد الى المجلس أومأت اليهما أسألهما عنه ، فعرّفاني أنهما قد أخذاه ،

---

(١) اجداه : اعطاه الجدوى وهي العطية .

(٢) اصغى : امال .

(٣) استقلوا : مضوا وارتحلوا .

فلما بلغ الدَّور إليّ كان الصوت أول شيء غنّيته ، فحدّد الرشيد نظره إليّ ، ومات ابن جامع وسُقط[1] في يده ، فقال لي الرشيد : من أين لك هذا ؟ قلت : أنا أرويه قديماً ، وقد أخذه عني مخارق وعقيد ، فقال : غنّياه . فغنّياه ، فوثب ابن جامع فجلس بين يديه ثم حلف بالطلاق ثلاثاً بأنه صنعه في ليلته الماضية ، ما سبق اليه ابن جامع أحد ، فنظر الرشيد إليّ ، فغمزته بعيني أنه صدق ، وجدّ الرشيد في العبث به بقيّة يومه ، ثم سألني بعد ذلك عن الخبر ، فصدّقته عنه وعن الزفّ ، فجعل يضحك ويقول : لكل شيء آفة، وآفة ابن جامع الزفّ، قال حماد : وللزفّ صنعة يسيرة جيّدة منها في الرمل الثاني :

صوت

لمن الظعائن سيرهنّ تَزَحُّفُ ... عَومَ السَّفينِ إذا تقاذفَ مجذَفُ [2]
مرّت بذي حُسُمٍ كأنّ حُمولها ... نخل بيثرب طلعها متزحّف [3]
فلئن أصابتني الحروب لربّما ... أُدعى اذا مُنع الرّدافُ فأردف [4]
فأثيرِ غاراتٍ وأشهد مَشهداً ... قلب الجبان به يطيش فيرجف

قال : ومن مشهور صنعته في هذه الطريقة :

---

(١) سقط في يده واسقط «مضمومتين» : تحير .

(٢) تزحف : من تزحف الصبي على الأرض او على بطنه ، قبل ان يمشي . والسفين : جمع سفينة .

(٣) ذو حسم : موضع بالبادية . والحمول : الهوادج ، او الإبل عليها الهوادج ، يثرب : المدينة المنورة .

(٤) اردفه معه : اركبه ؛ وردفه بالكسر واردفه : ركب خلفه .

صوت

إذا شئت غنّتني بأجراع بيشةٍ أو النخل من تثليث او من يلملما [1]
مطوّقةٌ طوقاً وليس بحليةٍ ولا ضربَ صوّاغٍ بكفّيه درهما
تبكّي على فرخٍ لها ثم تغتدي مدلّهةً تبغي له الدهر مطعما [2]
تؤمل منه مؤنساً لانفرادها وتبكي عليه إن زقا أو ترنّما [3]

ومن صنعته في هذه الطريقة :

صوت

يا زائرَينا من الخيامِ حيّاكما الله بالسلامِ
يحزُنني أن أطعمتاني ولم تنالا سوى الكلام
بُورك هارون من إمامٍ بطاعة الله ذي اعتصام
له الى ذي الجلال قربى ليست لعدل ولا إمام

وله في هذه الطريقة :

صوت

بان الحبيب فلاح الشّيب في راسي وبتُّ منفرداً وحدي بوَسواسِ
ماذا لقيتُ فدتكِ النفس بعدكم من التبرم بالدنيا وبالناس

---

(١) بيشة : من عمل مكة مما يلي اليمن ، وهي من مكة على خمس مراحل ، والاجراع : جمع جرع بالتحريك ، وهو الرملة الطيبة المنبتة السهلة المستوية . تثليث : موضع بالحجاز قرب مكة . يلملم : موضع على ليلتين من مكة ، وهو ميقات اهل اليمن .

(٢) المدله : الساهي القلب ، الذاهب العقل .

(٣) زقا الطائر يزقو : صاح .

لو كان شيء يسلي النفس عن شجن سلَّت فؤاديَ عنكم لذَّة الكاسِ[١]

صوت

بأبي ريمٌ رمى قلـــبي بألحاظٍ مِراضِ[٢]
وحمى عينيَ أن تلـــتذّ طيب الإغتماض
كلما رُمت انبساطاً كفَّ بسطي بانقباض
او تعالى أملي فيـــه رماهُ بانخفاض
فمتى ينتصف المظـــلوم والظالم قاضي

الشعر لأبي الشِبل البرُجميّ ، والغناء لعثعث الأسود ، خفيف ثقيل أوّل بالوسطى ، وفيه لكثير رمل ولِبُنان خفيف رمل .

(١) الشجن : الهمّ والحزن .

(٢) الرئم : الظبي الخالص البياض .

اخبار ابى الشبل ونسبه

أبو الشبل اسمه عاصم بن وهب من البراجم ، مولده الكوفة ، ونشأ وتأدّب بالبصرة .

أخبرني بذلك الحسن بن علي ، عن ابن مهرويه ، عن علي بن الحسن الأعرابي .

وقدم إلى سُرّ مَن رأى في أيام المتوكل ومدحه ، وكان طبًّا نادراً ، كثير الغزل ماجناً ، فنفق[1] عند المتوكل بإيثاره العبث ، وخدمه ، وخُصّ به ، فأثرى وأفاد ، فذكر لي عمي عن محمد بن المرزبان بن الفيرزان عن أبيه أنّه لما مدحه بقوله :

أقبلي فالخير مقبلْ واتركي قول المعلِّلْ
وثِقي بالنُّجح إذ أبـــصرت وجه المتوكل
ملكٌ يُنصف يا ظا لمتي فيكِ ويَعدل
فهو الغـاية والمأ مول يرجوه المؤمّل

أمر له بألف درهم لكل بيت ، وكانت ثـلاثين بيتاً ، فانصرف بثلاثين ألف درهم .

الغناء في هذه الأبيات لأحمد المكي رمل بالبنصر .

أخبرني يحيي بن علي ، عن أبي أيوب المديني ، عن أحمد بن المكي قال : غنّيت المتوكل صوتاً شعرُه لأبي الشبل البرجُميّ وهو :

---

(١) نفق : راج .

أقبلي فالخير مقبلْ ودعي قول المعلِّلْ

فأمر لي بعشرين ألف درهم، فقلت: يا سيدي أسأل الله أن يبلّغك الهُنَيدة، فسأل عنها الفتح فقال: يعني مائة سنة، فأمر لي بعشرة آلاف أخرى.

وحدثنيه الحسن بن علي عن هارون بن محمد الزيات، عن أحمد بن المكي مثله.

حدثني الحسن بن علي قال: حدثنا ابن مهرويه قال: حدثني أبو الشبل عاصم ابن وهب الشاعر، وهو القائل:

أقبلي فالخير مقبلْ ودعي قول المعلِّلْ

قال: كانت لي جارية اسمها سُكَّر، فدخلتُ يوماً منزلي ولبست ثيابي لأمضي الى دعوة دُعيت اليها، فقالت: أقِم اليوم في دعوتي أنا، فأقمتُ وقلت:

أنا في دعوة سُكَّرْ والهوى ليس بمنكَرْ
كيف صبري عن غزالٍ وجهه دلو مُقيَّر[1]

فلما سمعتْ الأول ضحكت وسُرّت، فلما أنشدتها البيت الثاني قامت إليّ تضربني وتقول لي: هذا البيت الأخير الذي فيه «دلو» لمالكٍ، لولا الفضول؛ فما زالت – يعلم الله – تضربني حتى غُشي عليّ.

وذكر ابن المعتز أن أبا الأغر الأسدي حدّثه قال: مدح أبو الشبل مالك بن طَوق بمدح عجيب، وقدّر منه ألف درهم، فبعث اليه صُرّةً مختومة فيها مائة دينار، فظنها دراهم، فردّها وكتب معها قوله:

فليت الذي جادت به كفُّ مالكٍ ومالكَ مدسوسان في أستِ أمّ مالكِ
فكان الى يوم القيامة في أستها فأيسرُ مفقودٍ وأيسرُ هالك

(١) مقير: مطلي بالقار او القير: وهو الزفت.

وكان مالك يومئذٍ أميراً على الأهواز ، فلما قرأ الرقعة أمر بإحضاره ، فأُحضر ، فقال له : يا هذا ظلمتنا واعتديت علينا ، فقال : قد قدَّرتُ عندك ألف درهم فوصلتني بمائة درهم ، فقال : افتحها ، ففتحها فإذا فيها مائة دينار ، فقال : أقِلني أيها الامير . قال : قد أقلتك ، ولك عندي كل ما تحب أبداً ما بقيت وقصدتني .

رثاؤه لطبيب :

حدثنا الحسن بن علي قال : حدثنا ابن مهرويه قال : قال لي أبو الشبل البرجمي : كان في جيراني طبيب أحمق ، فمات فرثيته فقلت :

قد بكاه بَول المريض بدمعٍ واكفٍ فوق مُقلتيه ذَروفِ [1]
ثم شقَّت جيوبهنّ القوارير عليه ونحن نوحَ اللهيف [2]
يا كساد الخيار شَنبرَ والأقراص طرّاً ويا كساد السَّفوف
كنتَ تمشي مع القويّ فإن جا ءَ ضعيفٌ لم تكترث بالضعيف
لهفَ نفسي على صُنوفٍ رقاعا تٍ تولَّت منه وعقلٍ سخيف [3]

عبثه بخالد بن يزيد :

حدثنا الحسن قال : حدثنا ابن مهرويه قال : حدثنا أبو الشبل قال : إن خالد ابن يزيد بن هُبيرة كان يشرب النبيذ ، فكانا يغشانا ، وكانت له جارية صفراء مغنّية يقال لها لهب ، فكانت تغشانا معه ، فكنت أعبث بها كثيراً ويشتمني ، فقام مولاها يوماً الى الخابية يستقي نبيذاً ، فإذا قميصه قد أنشقّ ، فقلت فيه :

---

(١) وكف الدمع : سال .

(٢) اللهيف : الملهوف .

(٣) الرقاعة : الحمق .

قالت له لهبٌ يوماً وجادلها ... بالشعر في باب فَعلانٍ ومفعولِ
أمّا القميص فقد أودى الزمان به ... فليت شعري ما حال السراويل ؟

فبلغ الشعر أبا الجهم أحمد بن يوسف فقال :

حال السراويل حالٌ غير صالحة ... تحكي طرائقه نسج الغرابيل
وتحته حفرة قَوراء واسعة ... تسيل فيها مياذيب الاحاليل[١]

قال أبو الشبل : وكانت أمّ خالد هذا ضرّاطة ، تضرط على صوت العيدان وغيرها في الايقاع ، فقلت فيه :

في الحيّ مَن لا عدِمتُ خُلّته ... فتًى اذا ما قطعته وصلا[٢]
له عجوز بالحبق أبصر مَن ... أبصرته ضارباً ومرتجلا[٣]
نادمتها مرّةً وكنت فتًى ... ما زلت أهوى وأشتهي الغزلا
حتى اذا ما أمالها سَكَرٌ ... يَبعث في قلبها لها مثلا
اتّكأتْ يسرةً وقد حرقتْ ... أشراجها كي تقوّم الرّملا[٤]
فلم تزلْ بأستها تطارحني ... اسمع الى من يسومني العِللا

عرض شعره على المازني فذمه :

حدثني الحسن قال : حدثنا ابن مهرويه قال : حدثني أبو الشبل قال : لما عرض لي الشعر أتيت جاراً لي نحوياً، وأنا يومئذ حديث السنّ – أظنه قال إنه المازنيّ –

(١) قوراء : واسعة . الاحاليل : وهو مخرج البول من ذكر الانسان .

(٢) الخلة : الصداقة المختصة لاخلل فيها .

(٣) الحبق : الضراط .

(٤) حرق الشيء : حكّ بعضه ببعض . اشراج : جمع شرج ، الشرج كسبب : فرج المرأة .

فقلت له : إن رجلًا لم يكن من أهل الشعر ولا من أهل الرواية قد جاش صدره بشيء من الشعر ، فكره أن يظهره حتى تسمعه . قال : هاته ، وكنت قد قلت شعراً ليس بجيّد ، إنما هو قول مبتدئ ، فأنشدته إيّاه ، فقال : مَن العاضُّ بَظر أمه القائل لهذا ؟ فقمت خجلًا ، فقلت لأبي الشبل : فأي شيء قلت له أنت ؟ قال : قلت في نفسي : أعضّك الله بظر أمك وبهضك .

أخبرني عمي عن محمد بن المرزبان بن الفيرزان قال : كنت أرى الشبل كثيراً عند أبي ، وكان اذا حضر أضحك الثّكلى بنوادره ، فقال له أبي يوماً : حدّثنا ببعض نوادرك وطرائفك ؛ قال : نعم ، من طرائف أموري أنّ ابني زنى بجارية سندية لبعض جيراني ، فحبلت وولدتْ ، وكانت قيمة الجارية عشرين ديناراً ، فقال : يا أبت ، الصبيُّ والله ابني ، فساومتُ به ، فقيل لي : خمسون ديناراً ، فقلت له : ويلك ! كنت تخبرني الخبر وهي حُبلى فأشتريها بعشرين ديناراً ، وتربح الفضل بين الثمنين ، وأمسكتُ عن المساومة بالصبيّ حتى اشتريته من القوم بما أرادوا . ثم احبلها ثانياً فولدت له ابناً آخر ، فجاءني يسألني أن أبتاعه ، فقلت له : عليك لعنة الله ، ما يحملك على أن تحبِل هذه؟ فقال : يا أبت لا أستحبّ العزل[١] ، وأقبل على جماعة عندي يعجّبهم مني ، ويقول : شيخ كبير يأمرني بالعزل ويستحله ! فقلت له : يابن الزانية ، تستحلّ الزنا وتتحرّج من العزل ! فضحكنا منه .

خبره مع خمار يهودي :

وقلت له : وأي شيء أيضاً ؟ قال : دخلت أنا ومحمود الورّاق الى حانة يهودي خمّار ، فأخرج الينا منها شيئاً عجيباً ، فظنناه خمراً بنتَ عشر ، قد أنضجها الهجير[٢] ، فأخرج الينا منها شيئاً عجيباً وشربنا ، فقلت له : إشرب معنا ، قال : لا أستحلّ

(١) هو من عزل المجامع عن المرأة عزلا ، اذا قارب الإنزال نزع وامنى خارج الفرج .

(٢) الهجير : نصف النهار عند اشتداد الحرّ .

شُرب الخمر ، فقال لي محمود : ويحك ! رأيت أعجب مما نحن فيه . يهوديٌ يتحرَّج من شرب الخمر ، ونشربها ونحن مسلمون ! فقلت له : أجل ، والله لا نُفلح أبداً ، ولا يعبأ الله بنا ، ثم شربنا حتى سكرنا ، وقمنا في الليل فنكنا بنته وامرأته وأخته ، وسرقنا ثيابه ، وخرينا في نقيرات نبيذٍ له وانصرفنا .

أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال : أخبرنا عون بن محمد الكندي ، قال : وقعت لأبي الشبل البرجمي الى هبة الله بن ابراهيم بن المهدي حاجة فلم يقضها فهجاه ، فقال :

صلفٌ تندقُّ منه الرقبهْ وَمساوٍ لم تُطِقها الكتبَهْ
كلما بادره ركبٌ بما يشتهيه منه نادى يا أَبه
ليته كان النوى الفرج به لم يزد في هاشمٍ هذي هِبَه

يعني غلاماً لهبة الله كان يسمى بدراً ، وكان غالباً على أمره .

حدثني الصولي قال : حدثني القاسم بن اسماعيل قال : قال رأى أبو الشبل إبراهيم بن العباس يكتب ، فأنشأ يقول :

ينظِم اللؤلؤ المنثور مَنطقه وينظم الدرَّ بالاقلام في الكتبِ

حدثنا الحسن بن علي قال : حدثنا ابن مهرويه قال : حدثني أبو الشبل البرجمي قال : حضرت مجلس عبيد الله بن يحيى بن خاقان ، وكان إليَّ محسناً ، وعليَّ مُفضلاً ، فجرى ذكر البرامكة ، فوصفهم الناس بالجود ، وقالوا في كرمهم وجوائزهم وصلاتهم فأكثروا ، فقمت في وسط المجلس ، فقلت لعبيد الله : أيها الوزير ، إني قد حكمتُ في هذا الخطب حكماً نظمته في بيتيْ شعرٍ لا يقدر أحد أن يردّه عليَّ ، وإنما جعلته شعراً ليدور ويبقى ، فيأذن الوزير في إنشادهما قال : قل ، فرُبَّ صوابٍ قد قلته ، فقلت :

رأيتُ عبيد الله أفضل سؤدداً وأكرم من فضل ويحيى بن خالدِ
أولئك جادوا والزمان مُساعدٌ وقد جاد ذا والدهر غير مُساعد

فتهلل وجه عبيد الله وظهر السرور فيه ، وقال : أفرطتَ أبا الشبل ، ولا كل هذا ، فقلت : والله ما حابيتك أيها الوزير ، ولا قلت إلّا حقّاً ، واتبعني القوم في وصفه وتقريظه ، فما خرجت من مجلسه إلا وعليّ الخلع ، وتحتي دابّة[١] بسرجه ولجامه ، وبين يديّ خمسة آلاف درهم .

قصته مع جاريتين :

حدثني الحسن قال : حدثنا ابن مهرويه قال : حدثني علي بن الحسن الشيباني قال : حدثني أبو الشبل الشاعر قال : كنت أختلف الى جاريتين من جواري النخّاسين[٢] كانتا تقولان الشعر ، فأتيت إحداهما فتحدّثتُ اليها ، ثم أنشدتها بيتاً لأبي المستهل شاعر منصور بن المهدي في المعتصم :

أقام الإمامُ منار الهدى وأخرسَ ناقوسَ عَمّوريَه[٣]

ثم قلت لها أجيزي ؛ فقالت :

كساني المليك جلابيبه ثيابٌ علاها بسمُّوريَه[٤]

ثم دعت بطعام فأكلنا ، وخرجتُ من عندها ، فضيتُ الى الأخرى ، فقالت :

(١) تطلق الدابة على الذكر والانثى .

(٢) النخّاس : بيّاع الرقيق .

(٣) عمّورية : بلد من بلاد الروم .

(٤) سمورية : نسبة إلى سمور وسمور : دابة تتخذ من جلدها فراء غالية الاثمان .

من أين يا أبا الشبل ؟ فقلت : مِن عند فلانة ، قالت : قد علمتُ أنك تبدأ بها — وصدقتْ ، كانت أجملها فكنت أبدأ بها — ثم قالت : أما الطعام فأعلم أنه لا حيلة لي في أن تأكله ، لعلمي بأن تلك لا تدعُك تنصرف أو تأكل . فقلت : أجل . قالت : فهل لك في الشراب ؟ قلت : نعم ، فأحضرته وأخذنا في الحديث ، ثم قالت : فأخبرني ما دار بينكما ؟ فأخبرتها ، فقالت : هذه المسكينة كانت تجد البرد ، وبيتها أيضاً هذا الذي جاءت به يحتاج الى سمورية ، أفلا قالت :

فأضحى به الدين مستبشراً وأضحت زنادُها وارِيَـه[١]

فقلت : أنت والله أشعر منها في شعرها ، وأنت والله في شعرك فوق أهـل عصرك . والله أعلم .

شعره في الشيب :

أخبرنا الحسن قال : حدثنا ابن مهرويه قال : أنشدني أبو الشبل لنفسه :

عذيري من جواري الحي إذ يرغـبن عن وصلي[٢]
رأين الشيب قـد ألبـسـني أبّهـة الكهل
فأعرضن وقـد كنّ اذا قيـل أبو الشبل
تساعـين فرقّعن الـسـكوى بالأعيُن النُّجـل[٣]

قال : وهذا سرقه من قول العتبيّ :

رأت الغواني الشيب لاح بمفرقي فأعرضن عني بالخـدود النواضرِ

(١) ورى الزند كوعى وولى : خرجت ناره .

(٢) العذير : العاذر .

(٣) الكوى : جمع كوّة بالفتح وبضم ، وهي الخرق في الحائط .

وكنّ اذا أبصرنني أو سمعنني سعَيْن فرقّعن الكوى بالمحاجرِ[١]

حدثني الحسن قال : حدثني ابن مهرويه قال : حدثني أبو الشبل قال : كان حاتم بن الفرج يعاشرني ويدعوني ، وكان أهتم ، قال أبو الشبل : وأنا أهتم ؛ وهكذا كان أبي وأهل بيتي ، لا تكاد تبقى في أفواههم حاكّة[٢] ، فقال أبو عمرو أحمد بن المنجّم :

لحاتمٍ في بُخله فِطنةٌ أدقّ حسا من خُطا النملِ
قد جعل الهُتمان ضيفاً له فصار في أمنٍ من الأكل
ليس على خبز أمرئ ضيعةٌ أكيله عُصمٌ أبو الشبل[٣]
ما قدرُ ما يحمله كفّه الى فمٍ من سِنّة عُطل[٤]
فحاتم الجود أخو طيئ مضى وهذا حاتم البخل

شعره في جارية سوداء يحبها :

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال : حدثني أبو العيناء قال : كانت لأبي الشبل البرجمي جارية سوداء ، وكان يحبها حباً شديداً ، فعوتب فيها ، فقال :

غدتْ بطول الملام عاذلةٌ تلومني في السواد والدّعجِ[٥]
ويحكِ كيف السلوّ عن غُرَيّرٍ مفترقات الارجاء ، كالسَّبج[٦]

(١) المحاجر : جمع محجر كمجلس ومنبر وهو من العين ما دار بها وبدا من البرقع .

(٢) الحاكة : السنّ .

(٣) عصم : سمت العرب عاصماً وعصما .

(٤) استفهام يراد به النفي ، اي لا قدر له .

(٥) الدعج : سواد العين مع سعتها .

(٦) الارجاء : النواحي . مفترقات الارجاء : اي لكل منهن ناحية من الحسن خاصة . السبج : خرز اسود ، معرب .

يحملن بين الأفخاذ أسنمةً تحرق أوبارها من الوَهجِ[1]
لا عذّب الله مسلماً بهمُ غيري ولا حان منهم فرَجي
فإنني بالسواد مبتهجٌ وكنت بالبيض غير مبتهج

هجاؤه جارية لهاشم النحوي :

حدثني عمي قال : حدثني أحمد بن الطيّب قال : حدثني أبو هريرة البصري النحويّ الضرير قال : كان أبو الشبل الشاعر البرجمي يعابث قَينة لهاشم النحوي يقال لها خنساء ، وكانت تقول الشعر ، فعبث بها يوماً فأفرط حتى أغضبها ، فقالت له : ليت شعري ، بأيّ شيء تُدِلّ ؟ أنا والله أشعر منك ، لئن شئت لأهجونّك حتى أفضحك ، فأقبل عليها وقال :

حسناء قد أفرطت علينا فليس منها لنا مجيرُ
تاهت بأشعارها علينا كأنّما ناكها جرير

قال : فخجلت حتى بان ذلك عليها وأمسكتْ عن جوابه .

شعره في ذم المطر :

قال عمي : قال أحمد بن الطيّب : حدثني أبو هريرة هذا قال : حدثني أبو الشبل أنها وعدته أن تزوره في يوم بعينه كان مولاها غائباً فيه ، فلما حضر ذلك اليوم جاء مطرٌ منعها من الوفاء بالموعد ، قال : فقلت أذمّ المطر :

دع المواعيد لا تعرض لوجهتها إن المواعيد مقرونٌ بها المطرُ
إن المواعيد والأعياد قد مُنيتْ منه بأنكد ما يُمنى به بشر[2]

---

(١) الوهج : اتقاد النار .

(٢) منيت : ابتليت .

أمّا الثياب فلا يغررك إن غسلتْ صحوٌ شديـد ولا شمس ولا قمرُ
وفي الشخوص له نوءٌ وبارقـةٌ وإن تبيَّت فـذاك الفالج الذكرُ[١]
وإن هممتَ بأن تدعو مغنّيـةً فالغيث لا شكّ مقرونٌ به السَّحَر

حدثني عمي قال: حدثني أحمد بن أبي طاهر قال: كان لعبيد الله بن يحيى ابن خاقان غلام يقال له نسيم، فأمره عبيد الله بقضاء حاجة كان أبو الشبل البرجمي سأله إيّاها، فأخّرها نسيم، فشكاه الى عبيد الله، فأمر عبيد الله غلاماً له آخر فقضاها بين يديه، فقال أبو الشبل يهجو نسيماً:

قل لنسيمٍ أنت في صُورَةْ خُلقتَ من كلبٍ وخنزيرَهْ
رَعيتَ دهراً بعد أعفـاجها في سَلـح مخمورٍ ومخموره[٢]
حتى بدا رأسك من صَدعها زانيـة بالفسق مشهوره[٣]
لا تقرب المـاء اذا أجنبتْ ولا ترى أن تقرب النُّوره[٤]
ترى نبات الشَّعر حول أستها درابزيناً حـول مقصوره[٥]

هجاؤه محمد ابن حماد:

حدثني عيسى بن الحسين الورّاق قال: حدثني ابن مهرويه قال: كان أبو

---

(١) شخص شخوصاً: خرج من موضع إلى غيره. تبيته عن حاجته: حبسه عنهـا. والفالج: الشلل. والذكر: يعني القويّ الشديد، من قولهم: مطر ذكر اي شديد وابل، وقول ذكر اي صلب متين.

(٢) الاعفاج: الامعاء.

(٣) الصدع: الشق، اراد به فرجها.

(٤) اجنبت. من الجنابة اي كانت جنباً. والنورة: حجر يحرق ويسوى منه الكلس ويضاف اليه اخلاط ويحلق به شعر العانة.

(٥) الدرابزين: قوائم مصفوفة تعمل من خشب او حديد تحاط بهـا السلالم وغيرها. فارسية، وهي الجلفق (كجعفر).

الشبل يعاشر محمد بن حماد بن دنقيش ، ثم تهاجرا بشيء أنكره عليه ، فقال أبو الشبل فيه :

لابن حماد أيادٍ عندنا ليست بدونِ
عنده جارية تشــفي من الداء الدفين
ولها في رأس مولا ها أكاليل قرون
ذات صدعٍ حاتمي الـــفعل في كِنٍ مكين [1]
لا يرى منع الذي يحـــوي ولو أمّ البنين

شعره في كبش كسر قنديله :

حدثني عمي قال : حدثني أحمد بن الطيب قال : حدثني أبو هريرة النحويّ قال : كان أبو الشبل البرجمي قد اشترى كبشاً للأضحى ، فجعل يعلفه ويسمّنه ، فأفلت يوماً على قنديل له كان يُسرجه بين يديه ، وسراجٍ وقارورةٍ للزيت ، فنطحه فكسره ، وانصبّ الزيت على ثيابه وكتبه وفراشه ، فلما عاين ذلك ذبح الكبش قبل الأضحى ، وقال يرثي سراجه :

يا عين بكّي لفقد مسرجةٍ كانت عمود الضياء والنورِ
كانت اذا ما الظلام ألبسني من حندس الليل ثوب دَيجور [2]
شقّت بنيرانها غياطله شقّاً دعا الليل بالدّياجير [3]
صينية الصين حين أبدعها مصوّر الحسن بالتصاوير

(١) اراد به الفرج .

(٢) الحندس والديجور : الظلمة .

(٣) غيطلة الليل : التجاج سواده والتباس ظلامه وتراكمه .

وقبل ذا بدعةٌ أتيح لها من قِبل الدهر قرن يَعفورِ [١]
وصكّها صكةً فما لبثت أن وردت عسكر المكاسير [٢]
وإن تولّت فقد لها تركتْ ذِكرا سيبقى على الأعاصير [٣]
من ذا رأيت الزمان ياسره فلم يشُب يُسرَه بتعسير [٤]
ومن أباح الزمان صفوته فلم يشب صفوَه بتكدير
مسرجتي لو فديتِ ما بخلتْ عنك يدُ الجود بالدنانير
ليس لنا فيك ما نقدّره لكنما الأمر بالمقادير
مسرجتي كم كشفتِ من ظُلمٍ جلّيت ظلماءها بتنوير
وكم غزال على يديك نجا من دقّ خُصيبه بالطوامير [٥]
مَن لي اذا ما النديم دبّ الى الـ ـندمان في ظُلمة الديّاجير
وقام هذا يبوس ذاك، وذا يُعنِق هذا بغير تقدير [٦]
وأزدوج القوم في الظلام فما تسمع إلّا الرّشاء في البير [٧]
فما يُصلّون عند خلوتهم إلّا صلاةً بغير تطهير

(١) اليعفور: ظبي بلون التراب، يعني قرن كبش شبيه باليعفور .

(٢) صكها: ضربها ضرباً شديداً . المكاسير جمع مكسور ، يعني : نطحها بقرنه فما لبثت ان صارت في عداد الاشياء المكسورة المهشمة .

(٣) العصر : الدهر ، وجمعه اعصار .

(٤) ياسره : لاينه .

(٥) الطومار والطامور : الصحيفة .

(٦) البوس : التقبيل ، فارسيّ معرّب باسه يبوسه .

(٧) الرشاء : الحبل ، وقد كنى بذلك عما يستقبح ذكره .

أوحشَتِ الدار من ضيائك والـبيت الى مطبخ وتنُّورِ [١]
الى الرواقين فالمجالس فالـمربد مذ غبتَ غيرُ معمور [٢]
قلبي حزين عليك إذ بخلتْ عليك بالدمع عين تنمير [٣]
إن كان أودى بكِ الزمان فقد أبقيتِ منك الحديث في الدُّور
دع ذكرها واهجُ قرنَ ناطحها واسرُد أحاديثه بتفسير
كان حديثي أني اشتريت فما اشـتريت كبشاً سليل خِنزير
فلم أزل بالنوى أسمّنه والتبن والقتّ والأثاجير [٤]
أبرّد الماء في القلال له وأتقي فيه كلَّ محذور [٥]
تخدمه طولَ كلّ ليلتها خِدمة عبدٍ بالذل مأسور
وهي من التيه ما تكلمني الـفصيح إلا بعد تفكير
شمس كأنّ الظلام ألبسها ثوباً من الزّفت أو من القير [٦]
من جلدها خُفُّها وبرقعها حَوراء في غير خِلقة الحور [٧]
فلم يزل يغتذي السرور، وما الـمحزون في عيشةٍ كمسرور

(١) التنور: الكانون يخبز فيه.

(٢) الرواق ككتاب وغراب: سقف في مقدّم البيت. والمربد: محبس الإبل، من ربد الإبل كنصر ربداً: حبسها.

(٣) الظاهر ان «تنمير» اسم امرأته.

(٤) القت: الرطبة من علف الدواب. والتجبير: ثفل كل شيء يعصر.

(٥) القلال: جمع قلة مثل برمة وبرام، وربما قيل: قلل مثل غرفة وغرف.

(٦) استطرد في هذا البيت وما بعده إلى وصف خادمته فقال: إنها كالشمس، يريد في جمالها وان كانت سوداء. والقير والقار الزفت.

(٧) الحور: شدّة سواد العين في شدّة بياضها في شدّة بياض الجسد، ولا تسمى حوراء حتى تكون مع حور عينيها بيضاء لون الجسد، ولذا قال: غير خلقة الحور.

حتى عدا طوره، وحقّ لمن ... يكفر نعمى بقرب تغيير
قدّ قرنيه نحو مسرجة ... تُعَدّ في صون كلّ مذخور
سدّ عليها بقرن ذي حنق ... معوّدٍ للنطاح مشهور
وليس يقوى بروقه جبل ... صلدٌ من الشمّخ المذاكير [١]
فكيف تقوى عليه مسرجةٌ ... أرقّ من جوهر القوارير
تكسّرت كسرةً لها ألمٌ ... وما صحيح الهوى كمكسور
فأدركته شعوبُ فانشعبت ... بالروع والشلو غير مقتور [٢]
أديل منه فأدركته يدٌ ... من المنايا بحدّ مطرور [٣]
يلتهب الموت في ظباه كما ... تلتهب النارُ في المساعير [٤]
ومزّقته المدى فما تركت ... كفُّ القِرا منه غير تعسير [٥]
واغتاله بعد كسرها قدرٌ ... صيره نهزة السنانير [٦]
فزقت لحمه براثنها ... وبذرته أشدّ تبذير [٧]

---

(١) الروق: القرن. والصلد: الصلب. والشامخ: المرتفع الشاهق. مذاكير: جمع ذكر على غير قياس.

(٢) شعوب: المنية. وقتر الشيء: ضم بعضه الى بعض. والروع: القلب. والشلو: الجسد.

(٣) اداله الله من عدوه: جعل له الغلبة عليه. والطر: تحديد السكين. والتقدير: بحد سكين مطرور.

(٤) الظبى جمع ظبة، وهي حد السنان ونحوه، استعمل الجمع هنا في موضع المفرد. والمساعير جمع مسعار، والمسعار والمسعر: ما سعر به اي اوقد به النار.

(٥) قراه قرى: اضافه. والتعسير: التضييق، والمراد به هنا القليل، اي ان القرى لم يبق لنا من لحمه إلا اليسير.

(٦) النهزة: الفرصة. والسنانير: جمع سنور.

(٧) براثن: جمع برثن كبرقع، وهو الكف مع الاصابع.

واختلسته الحداء خلساً مع الـ غربان لم تزدجر لتكبير [1]
وصار حظ الكلاب أعظمه تهشم أنحاءها بتكسير
كم كاسر نحوه وكاسرة سلاحها في شفا المناقير [2]
وخامع نحوه وخامعة سلاحها في شبا الأظافير [3]
قد جعلت حول شلوه عرساً بلا افتقار الى مزامير
ولا مغن سوى هماهمها اذا تمطت لوارد العير [4]
يا كبش ذق إذ كسرت مسرجتي لمدية الموت كأس تنحير [5]
بغيت ظلماً والبغي مصرع من بغى على أهله بتغيير
أضحية ما أظن صاحبها في قسمه لحمها بمأجور

أخبرني الحسن بن علي الشيباني قال: دخلت على أبي الشبل يوماً فوجدت تحت مخدته ثلث قرطاس، فسرقته منه ولم يعلم بي، فلما كان بعد أيام جاءني فأنشدني لنفسه يرثي ذلك الثلث القرطاس.

فكر تعتري وحزن طويل وسقيم أنحى عليه النحول
ليس يبكي رسماً ولا طللاً مح كما تندب الربا والطلول [6]

(١) الخلس: الاختلاس.

(٢) الشفا: حرف كل شيء.

(٣) خمع في مشيته كمنع: عرج. والشبا: جمع شباة، وهي حد كل شيء. والأظافير: جمع أظفور لغة في الظفر.

(٤) هماهم: جمع همهمة، وهي ترديد الصوت في الصدر وكل صوت معه بحح. لوارد العير: اي للعير الواردة، والعير: الإبل تحمل الميرة.

(٥) نحره نحراً: ذبحه، وقد ضعفه الشاعر فقال «تنحير» للشعر.

(٦) محت الدار: عفت.

إنما حزنه على ثُلث كا ... ن لحاجاته فغالته غول[١]
كان للسر والأمانة والكتـ ... ـمان إن باح بالحديث الرسول
كان مِثل الوكيل في كلّ سوق ... إن تلكّأ أو ملّ يوماً وكيل
كان للهمّ إن تراكم في الصد ... ر فلم يُشفَ من عليلٍ غليل[٢]
لم يكن يبتغي الحجاب من الُحجاب إن قيل ليس فيها دخول
إن شكا حاجباً تشدّد في الإذ ... ن فللحاجب الشقيّ العويل[٣]
يُرفع الخيرُ عنه والرزق والكسـ ... ـوة فهو المطرود وهو الذليل
كان يُثنى في جَيب كلّ فتاةٍ ... دونها خَندقٌ وسُورٌ طويل
يقف الناس وهو أوّل من يد ... خله القصر غادةٌ عُطبول[٤]
فإذا أبرزته باح به في الـ ... ـقصر مسكٌ وعنبر مَعلول
وله الحبّ والكرامة ممن ... بات صبّاً والشمّ والتقبيل
ليس كالكاتب الذي بأبي الخطّاب يكنى قد شابه التطفيل
ذا كريمٌ يُدعى، وهذا طفيليٌّ وهذا وذا جميعاً دليل
ذاك بالبشر والجماعة يُلقى ... ولهذا الحجاب والتنكيل
لم يفِد وفدُه الزمان على الأ ... ن منه عطفٌ ولا تنويل
كان مع ذا عدل الشهادة مقبو ... لاً اذا عزّ شاهداً تعديل
واذا ما ألتوى الهوى بالأليفَيـ ... ـن فلم يَرعَ واصلاً مَوصول
فهو الحاكم الذي قوله بيـ ... ـن الأليفَين جائزٌ مقبول

(١) غالته غول: أهلكته هلكة.

(٢) الغليل: حرارة الجوف.

(٣) ان شكا حاجباً، اي إن شكوت فيه حاجباً.

(٤) العطبول. المرأة الفتية الجميلة الممتلئة الطويلة العنق.

فلئن شتَّت الزمان به شمـ ل دواتي وحان منـه رحيلُ
لقديماً ما شتَّت البيـنُ والآ فة من صاحب ، فصبر جميل[1]
لا تلمني عـلى البكاء عليه إن فقد الخليل خطبٌ جليل

قال : فرددته عليه ، وكان أتّهم به أبا الخطّاب الذي هجاه في هذه القصيدة ، فقال لي : ويلك ، نُجّيت ووقع أبو الخطّاب بلا ذنب ، ولو عرفتُ أنك صاحبها لكان هذا لك ، ولكنك قد سلمت

(١) البين هنا الوصل .

أخبار عثعث ونسبه

كان عثعث أسود مملوكاً لمحمد بن يحيي بن مُعاذ، ظهر له منه طبع وحُسنُ أخذٍ وأداء، فعلّمه الغناء، وخرّجه وأدّبه، فبرع في صناعته، ويكنى أبا دُليجة وكان مأبوناً؛ والله أعلم.

أخبرني بذلك محمد بن العباس اليزيدي عن ميمون بن هارون قال: حدثني عثعث الاسود، قال: مخارق كنّاني بأبي دليجة، وكان السبب في ذلك أن أوّل صوت سمعني أغنّيه:

أبا دليجة مَن توصي بأرملةٍ أم من لأشعث ذي طِمرَين مِمحالِ [1]

فقال لي: أحسنت يا أبا دليجة، فقبلتها وقبّلت يده، وقلت: أنا يا سيدي أبا المُهنّا؛ أتشرّف بهذه الكنية اذا كانت نِحلة [2] منك. قال ميمون: وكان مخارق يشتهي غناءه ويحزنه اذا سمعه.

قال أبو الفرج: نسختُ من كتاب علي بن محمد بن نصر بخطّه، حدثني يعني ابن حمدون قال: كنّا يوماً مجتمعين في منزل أبي عيسى بن المتوكل، وقد عزمنا على الصبوح ومعنا جعفر بن المأمون، وسليان بن وهب، وإبراهيم بن المدّبر، وحضرتْ عريب وشارية وجواريّهما، ونحن في أتم سرور، فغنّت بدعة جارية عريب:

---

(١) الاشعث: المغبر، الرأس. والطمر: الثوب الخلق. ممحال: من المحل، وهو الجدب.

(٢) النحلة: العطية.

أعاذلتي أكثرتِ جهلاً من العذلِ   على غير شيء من ملامي وفي عَذلي

والصنعة لعريب ؛ وغنّت عِرفان :

اذا رام قلبي هجرها حال دونه   شَفيعان من قلبي لها جَدِلان

والغناء لشارية ، وكان أهل الظَّرف والمتعانون في ذلك الوقت صنفين : عريبيَّة وشاريّة ، فمال كل حزب الى من يتعصَّب له منهما من الاستحسان والطرب والاقتراح ، وعريب وشارية ساكتتان لا تنطقان ، وكل واحدة من جواريهما تغني صنعة سيِّها لا تتجاوزها ، حتى غنَّت عرفان :

بأبي مَن زارني في منامي   فدنا مني وفيه نِفارُ

فأحسنت ما شاءت ، وشربنا جميعاً ، فلما أمسكتْ قالت عريب لشارية : يا أختي لمن هذا اللحن ؟ قالت : لي ، كنت صنعته في حياة سيِّدي ، تعني ابراهيم ابن المهدي ، وغنَّيته إياه فاستحسنه ، وعرضته على اسحاق وغيره فاستحسنوه ، فأسكتتْ عريب ، ثم قالت لأبي عيسى : أحبّ يا بنيّ – فديتك – أن تبعث الى عثعث فتجيئني به ، فوجّه اليه ، فحضر وجلس ، فلما اطمأن وشرب وغنّى ، قالت له : يا أبا دليجة أوتذكر صوت زبير بن دحمان عندي وأنت حاضر ، فسألته أن يطرحه عليك ؟ قال : وهل تنسى العذراء أبا عُذرها[1] ، نعم ، والله إني لذاكره حتى كأننا أمسِ افترقنا عنه . قالت : فغنِّه ، فاندفع فغنى الصوت الذي ادّعته شارية حتى استوفاه وتضاحكتْ عريب ، ثم قالت لجواريّها : خذوا في الحقّ ، ودعونا من الباطل ، وغنُّوا الغناء القديم . فغنَّت بدعة وسائر جواري عريب ، وخجلت شارية وأطرقت وظهر الانكسار فيها ، ولم تنتفع هي يومئذٍ بنفسها ، ولا أحدٌ من جواريّها ولا متعصِّبيها أيضاً بأنفسهم .

(١) العذرة بالضم : البكارة ، وهو ابو عذرها وابو عذرتها : إذا كان قد افتضها .

قال : وحدثني يحيى بن حمدون قال : قال لي عثعث الأسود : دخلتُ يوماً على المتوكل وهو مصطبح وابن المارقيّ يغنّيه قوله :

أقاتلتي بالجيد والقدّ والخدِ وباللون في وجهٍ أرقَّ من الوردِ

وهو على البركة جالس ، وقد طرب واستعاده الصوت مراراً وأقبل عليه ، فجلست ساعــةً ثم قمت لأبول ، فصنعت هزجاً في شعر البحتريّ الذي يصف فيه البركة :

صوت

اذا النجوم تراءت في جوانبها ليلاً حسبتَ سماء رُكِّبت فيها
وإن علتها الصبا أبدت لها حُبُكاً مثل الجواشن مصقولاً حواشيها[1]
وزادها زينةً من بعد زينتها أن اسمه يومَ يدعى من أساميها

فما سكت ابن المارقيّ سكوتاً مستوجباً حتى اندفعتُ أغنّي هذا الصوت ، فأقبل عليّ وقال لي : أحسنت وحياتي ، أَعِد ، فأعدتُ ، فشرب قدحاً ، ولم يزل يستعيدُنيه ويشرب حتى اتكأ ، ثم قال للفتح : بحياتي أدفع اليه الساعة ألف دينار وخِلعة تامّة وأحمله على شِهريّ[2] فارهٍ بسرجه ولجامه ، فانصرفتُ بذلك أجمع .

نسبة ما في هذه الأخبار من الغناء

صوت

أعاذلتي أكثرتِ جهلاً مِن العذلِ على غير شيءٍ من ملامي ولا عذلي

(١) الصبا : الريح تهب من مطلع الشمس . والحبك : التكسر الذي يبدو على الماء اذا مرت به الريح . والجواشن : جمع . جوشن ، وهو الدرع .

(٢) الشهرية : ضرب من البراذين . الفاره : الجيّد السير .

نأيتِ فلم يُحدِث لي النأيُ سَلوةً ولم ألف طول النأيِ عن خُلَّة يُسلي [1]

عروضه من الطويل ، الشعر لجميل ، والغناء لعريب ، ثقيل أول بالبنصر ، ومنها :

صوت

اذا رام قلبي هجرها حال دونه شفيعان من قلبي لها جدِلانِ
إذا قلت لا ، قالا بلى ، ثم اصبحا جميعاً على الرأي الذي يريان

عروضه من الطويل ، والناس ينسبون هذا الشعر الى عُروة بن حِزام ، وليس له :

الشعر لعلي بن عمرو الأنصاري ، رجل من أهل الأدب والرواية ، كان بسرَّ من رأى كالمنقطع الى إبراهيم بن المهدي ، والغناء لشارية ، ثقيل أول بالوسطى ، وقيل إنه من صنعة إبراهيم ، ونحلها إياه ، وفيه لعريب خفيف رملٍ بالبنصر .

ومنها :

صوت

بأبي من زارني في منامي فدنا منّي وفيه نِفارُ
ليلةً بعد طلوع الثريّا وليالي الصّيف بُترٌ قِصار
قلت هُلكي أم صلاحي فعطفاً دون هذا منك فيه الدّمار
فدنا مني وأعطى وأرضى وشفى سُقمي ولذَّ المزار

لم يقع الينا لمن الشعر ، والغناء لزبير بن دَحمان ، ثقيل أول بالوسطى وهو من جيّد صنعته وصدور أغانيه .

---

(١) الخلة : الخليلة .

أخبرني ابن علي قال : حدثنا ابن مهرويه قال : حدثنا أحمد بن طيفور قال : كتب صديق لأحمد بن يوسف الكاتب في يوم دجن : « يومنا يومٌ ظريف النواة، رقيق الحواشي ، قد رعدت سماؤه وبرقت ، وحنّت وأرجحنّت[1] ، وأنت قطب السرور ، ونظام الامور ، فلا تفردنا منك فنقلّ ، ولا تنفرد عنّا فنذلّ ، فإن المرء بأخيه كثير ، وبمساعدته جدير » . قال : فصار أحمد بن يوسف الى الرجل ، وحضرهم عثعث الاسود ، فقال أحمد :

صوت

أرى غيماً يؤلّفه جنوبُ وأحسبه سيأتينا بهطلِ
فعينُ الرأي أن تأتي برطلٍ فتشربه وتدعو لي برطل
وتسقيه ندامانا جميعاً فينصرفون عنه بغير عقل
فيوم الغيم يومُ الغمّ إن لم تبادر بالمدامة كلّ شغل
ولا تكره محرّمها عليها فإني لا أراه لها بأهل

قال : وغنى فيه عثعث اللحن المشهور الذي يغنّى به اليوم .

صوت

ترى الجند والاعراب يغشون بابه كما وردت ماء الكلاب هوامله[2]

(١) ارجحن السحاب : مال من ثقله .

(٢) هوامل : جمع هامل ، وهي المسيبة لا راعي لها . والكلاب : يوم من أيام العرب المشهورة .

إذا ما أَتوا أبوابــه قال : مرحباً لِجُوا الدار حتى يقتلَ الجوع قاتله

عروضه من الطويل . الهوامل : التي لا رِعاء لها ، ولِجوا : ادخلوا ، يقال : ولج يَلِج وَلجاً . وقوله : « حتى يقتل الجوع قاتله » : اي يطعمكم فيذهب جوعكم ، جعل الشبع قاتلاً للجوع .

الشعر لعبد الله بن الزَبير الأسدي ، والغناء لابن سُرَيج ، رمل بالسبأبة في مجرى الوسطى عن اسحاق .

أخبار عبد الله بن الزبير ونسبه

عبد الله بن الزُّبير بن الأشيم بن الأعشى بن بجرة بن قيس بن مُنقذ بن طريف بن عمرو بن قعَين بن الحرث بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة .

أخبرني بذلك أحمد عن الخرّاز عن ابن الاعرابي ؛ وهو شاعر كوفيّ المنشأ والمنزل ، من شعراء الدولة الأموية ، وكان من شيعة بني أمية وذوي الهوى فيهم والتعصب والنصرة على عدوّهم ، فلما غلب مصعب بن الزبير على الكوفة أُتيَ به أسيراً فمنّ عليه ووصله وأحسن اليه ، فمدحه وأكثر ، وانقطع اليه ، فلم يزل معه حتى قُتل مصعب ، ثم عميَ عبد الله بن الزبير بعد ذلك ، ومات في خلافة عبد الملك بن مروان ، ويُكنى عبد الله أبا كثير ، وهو القائل يعني نفسه :

فقالت : ما فعلتَ أبا كثير أصحّ الودّ أم أخلفت بعدي ؟

وهو أحد الهجائين للناس ، المرهوب شرّهم .

قال ابن الأعرابي : كان عبد الرحمن بن أم الحكم على الكوفة من قِبَل خاله معاوية بن أبي سفيان ، وكان ناس من بني علقمة بن قيس بن وهب بن الأعشى ابن بجرة بن قيس بن منقذ قتلوا رجلاً من بني الأشيم ، من رهط عبد الله بن الزبير دِنية[1] ، فخرج عبد الرحمن بن أمّ الحكم وافداً الى معاوية ، ومعه ابن الزبير ورفيقان له من بني أسد ، يقال لأحدهما أكل بن ربيعة من بني جذيمة بن

---

(١) دنية : لحًّا .

مالك بن نصر بن قُعَين ، وعديّ بن الحرث أحد بني العدان[1] من بني نصر ، فقال عبد الرحمن بن أم الحكم لابن الزّبير : خذ من بني عمك دِيتين لقتيلك ، فأبى ابن الزبير ، وكان ابن أم الحكم يميل الى أهل القاتل ، فغضب عليه عبد الرحمن وردّه عن الوفد من منزل يقال له فيّاض ، فخالف ابن الزبير الطريق الى يزيد ابن معاوية ، فعاذ به ، فأعاذه وقام بأمره ، وأمره يزيد بأن يهجو ابن أمّ الحكم ، وكان يزيد يُبغضه وينتقصه ويعيبه ، فقال فيه ابن الزبير قصيدةً أوّلها قوله :

أبى الليـلُ بالمرّان أن يتصرّما ... كأني أسومُ العـين نوماً مُحرّما[2]
ورُدَّ بثنيَيـه كأن نجومه ... صِوارٌ تناهى من إرانٍ فقوّما[3]
الى الله أشكو لا الى الناس أنني ... أُمصّ بنات الدرِ ثدياً مُصرّما[4]
وسَوق نساء يسلبون ثيابها ... يُهادونها همـدان رِقّاً وخثعما[5]
على أي شيء يا لؤيّ بن غالب ... تجيبون مَن أجرى علـيّ وألجما[6]
وهاتوا فقصّوا آية تقرءونهـا ... أحلّت بلادي أن تباح وتُظلما
وإلا فاقصى الله بيني وبينكـم ... وولّى كثير اللؤم مَن كان ألأما[7]

---

(١) عدن : والعدان : قبيلة من بني أسد .

(٢) مرّان : موضع على ليلتين من مكة على طريق البصرة . يتصرم : ينقضي . اسوم : اكلف .

(٣) ثنيا الجبـل : طرفاه . الصوار ككتاب وغراب : القطيع من البقر . تناهى الشيء : بلغ نهايته . الإران : النشاط . فقوّما : جاء في كتب اللغة : قامت به دابته : اذا كلت واعيت فوقفت ولم تسر .

(٤) الدر : اللبن .

(٥) الرق : العبودية . همدان وخثعم : قبيلتان كبيرتان من عرب اليمن من بني كهلان . والمعنى : يهدونهنّ رقيقات إلى همدان وخثعم .

(٦) لؤي بن غالب : يعني معاوية وعشيرته ، فهو معاوية بن ابي سفيان بن حرب بن امية .

(٧) فاقصى اي ابعد .

وقد شهدتنا من ثقيفٍ رضاعةٌ … وغيَّب عنها الحوم قُوَّام زمزما[١]
بنو هاشم لو صادفوك تجدُّهـا … مججتَ ولم تملك حيازيمك الدما[٢]
ستعلم إن زلَّتْ بك النعل زلَّةً … وكلّ امرئٍ لاقى الذي كان قدَّما
بأنك قد ماطلتَ أنياب حيَّةٍ … تزجّي بعينيها شُجاعاً وأرقما[٣]
وكم من عدوّ قد أراد مساءتي … بغيبٍ ولو لاقيته لتندَّما
وأنتم بني حام بن نوح أرى لكم … شِفاهاً كأذناب المشاجر وُرَّما[٤]
فإن قلت خالي من قريش فلم أجد … من الناس شراً من أبيك وألأما[٥]
صغيراً ضغا في خرقة فأمضَّه … مُربّيه حتى إذ أهمّ وأفطما[٦]
رأى جلدةً من آل حام متينةً … ورأساً كأمثال الجريب مُؤوّما[٧]
وكنتم سقيطاً في ثقيفٍ، مكانكم … بني العبد، لا توفي دماؤكمو دما[٨]

---

(١) قوّام اي القائمون على زمزم ، المتولون سقاية الحاج منها ، وزمزم : بئر بمكة انبع الله عينها لإسماعيل وامه هاجر حين اسكنهما إبراهيم مكة ، ثم طمت تلك البئر وما زالت مطمومة الى زمن عبد المطلب بن هاشم ، فأتاه آتٍ وهو نائم بالحجر فامره بحفرها فحفرها واقام سقاية زمزم للحج .

(٢) تجدها : تقطعها . صادفه : وجده ولقيه ، من مجّ الشراب من فيه : رمــاه . حيازيم جمع حيزوم : وهو وسط الصدر وما يضم عليه الحزام .

(٣) عنى بالحية نفسه . تزجي : تسوق . والشجاع كغراب وكتاب : الحية او الذكر منها ، وجمعه شجعان بالكسر والضم . والارقم : اخبث الحيات ، أو ما فيه سواد وبياض ، او ذكر الحيات .

(٤) المشاجر : جمع مشجر (بكسر الميم وفتحها) ، وهو عود الهودج . ورّم : جمع وارمة .

(٥) ابوه هو عبد الله بن عثمان بن عبد الله بن ربيعة بن الحرث الثقفي .

(٦) ضغا : صاح وضجّ . امضه : آلمه وشق عليه . اهم ، اي اهمّ آله وذويه ، اي بلغ مبلغاً جعلهم يهتمون له ويتعلقون به . أفطم : حان أن يفطم .

(٧) الجريب : مكيال قدر اربعة أقفزة . المؤوّم : العظيم الرأس او المشوّه .

(٨) السقيط : الاحمق الناقص العقل .

شعره حين عزل عبد الرحمن عن الكوفة :

قال ابن الأعرابي : ثم عُزل ابن أم الحكم عن الكوفة ، ووليها عبيد الله ابن زياد ، فقال ابن الزبير :

أبلغ عبيد الله عني فإنني رميتُ ابن عوذ إذ بدَت لي مقاتِلُهْ
على قفرةٍ إذ هابه الوفدُ كلُهم ولم أك أشوي القِرن حين أناضِله
وكان يُماري من يزيد بوقعةٍ فما زال حتى استدرَجته حبائله
فتقصيه من ميراث حربٍ ورهطه وآلَ الى ما ورّثته أوائله
وأصبح لمّا أسلمته رِجالهم ككلب القطار حلّ عنه جلاجله

ونسخت من كتاب جدّي لأمّي يحيي بن محمد بن ثوابة ، قال يحيي بن حازم وحدثنا علي بن صالح صاحب المصلّى عن القاسم بن معدان : ان عبد الرحمن ابن أمّ الحكم غضب على عبد الله بن الزبير الأسدي لما بلغه أنه هجاه ، فهدم داره ، فأتى معاوية فشكاه اليه ، فقال له : كم كانت قيمة دارك ؟ فاستشهد أسماء ابن خارجة ، وقال له : سله عنها ؛ فسأله ؛ فقال : ما أعرف يا أمير المؤمنين قيمتها ، ولكنه بعث الى البصرة بعشرة آلاف درهم للساج[1] ، فأمر له معاوية بألف درهم ، قال : وإنما شهد له أسماء كذلك ليرفده[2] عند معاوية ، ولم تكن داره إلا خصاص قصب .

وكان عبد الرحمن بن أمّ الحكم لمّا ولي الكوفة أساء بها السيرة ، فقدم قادمٌ من الكوفة الى المدينة ، فسألته امرأة عبد الرحمن عنه ، فقال لها : تركتُه

(١) الساج : خشب يجلب من الهند ، أسود رزين يشبه الآبنوس .

(٢) الارفاد : الاعانة .

يسأل إلحافاً ، وينفق إسرافاً ، وكان محمّقاً[1] ، ولاه معاوية خاله عدّة أعمال ، فذمّه أهلها وتظلّموا منه ، فعزل وأطرحه ، وقال له : يا بنيّ ، قد جهدتُ أن أنفِقك[2] وأنت تزداد كساداً .

وقالت له أخته أمُّ الحكم بنت أبي سُفيان بن حرب : يا أخي ، زوّج ابني بعض بناتك ، فقال : ليس لهنّ بكفء ؛ فقالت له : زوّجني أبو سفيان أباه ، وأبو سفيان خير منك ، وأنا خير من بناتك ، فقال لها : يا أخيَّة : إنما فعل ذلك أبو سفيان لأنه كان حينئذٍ يشتهي الزبيب ، وقد كثر الآن الزبيب[3] عندنا ، فلن نزوّج إلّا كُفئاً .

حدثنا الحسن بن الطيّب البَلخي قال : حدثني أبو غسّان قال : بلغني أن أوّل من أخذ بعينة[4] في الاسلام عمرو بن عثمان بن عفّان ، أتاه عبد الله بن الزّبير الأسدي ، فرأى عمرو تحت ثيابه ثوباً رثّاً ، فدعا وكيله وقال : اقترض لنا مالاً ؛ فقال : هيهات ! ما يعطينا التجار شيئاً . قال : فأربحهم ما شاؤوا ، فاقترض له ثمانيةَ آلاف درهم ، وثانياً عشرة آلاف ، فوجّه بها اليه مع تختْ[5] ثياب ، فقال عبد الله بن الزبير في ذلك :

سأشكر عمراً إن تراخت منيّتي أياديَ لم تُمنن وإن هي جلّتِ

(١) أي ينسب الى الحمق .

(٢) جهد كمنع : جدّ . نفق السلعة : روّجها .

(٣) تقدم أن أبا عبد الرحمن من ثقيف ، وكانت ثقيف تنزل بالطائف ، وفي الطائف تكثر البساتين وكروم العنب ، ولذا كان الزبيب فيها كثيراً ، وقد ذكروا أن الحجاج الثقفي كان أوّل امره يبيع الزبيب بالطائف .

(٤) العينة : الربا .

(٥) التخت : وعاء تصان فيه الثياب .

فتى غيرُ محجوبِ الغنى عن صديقه　　ولا مُظهر الشكوى اذا النعل زلّتِ
رأى خلّتي من حيثُ يخفى مكانها　　فكانت قذى عينيــه حتى تجلّت[١]

مدحه اسماء بن خارجة :

أخبرني الحسين بن القاسم الكوكبي إجازةً قال : حدثني أحمد بن عرفة المؤدّب قال : أخبرني أبو المصبّح عـادية بن المصبّح السّلولي قال : أخبرني أبي قال : كان عبد الله بن الزُّبير الأسديّ قد مدح أسماء[٢] بن خارجة الفزاريّ فقال :

صوت

تراه اذا ما جئتـه متهلّلا[٣]　　كأنك تعطيه الذي أنت نائلُه
ولو لم يكن في كفّه غيرُ روحه　　لجاد بهـا فليتّق الله سائله

فأثابه أسماء ثواباً لم يرضه ، فغضب وقال يهجوه :

بَنَت لكم هندٌ بتلذيع بَظرها　　دكاكين من جِصٍّ عليها المجالسُ[٤]
فوالله لولا رَهزُ هند ببظرهـا　　لعُدَّ أبوهـا في اللئام العوابس[٥]

فبلغ ذلك أسماء ، فركب اليه ، فاعتذر من فعله بضيقةٍ شكاها ، وأرضاه

---

(١) الخلة : الحاجة والفقر . والقذى : ما يقع في العين .

(٢) هو اسماء بن خارجة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري .

(٣) تهلل وجهه : تلألأ . نائله : آخذه .

(٤) كان يحيى أبو حماد عجرد مولى لبني هند بنت أسماء بن خارجة .

(٥) رهزها : حركتها عند الجماع.

وجعل على نفسه وظيفة[١] في كل سنة ، واقتطعه جنّتيه ، فكان بعد ذلك يمدحه ويفضّله . وكان أسماء يقول لبنيه : والله ما رأيت قط جصّ في بناء ولا غيره إلّا ذكرت بَظر أمكم هند فخجلتُ .

أخبرني عمي عن ابن مُهرويه ، عن أبي مسلم ، عن ابن الاعرابيّ قال : حبس ابن أمّ الحكَم عبد الله بنَ الزّبير وهو امير في جناية وضعها عليه ، وضربه ضرباً مبرّحاً لهجائه إياه ، فاستغاث بأسماء بن خارجة ، فلم يزل يَلطف في أمره ، ويُرضي خصومه ويشفع الى ابن أمّ الحكَم في امره حتى يخلّصه ، فاطلق[٢] شفاعته ، وكساه أسماء ووصله وجعل له ولعياله جِراية[٣] دائمة من ماله ، فقال فيه هذه القصيدة التي أولها الصوت المذكور بذكر اخبار ابن الزّبير ، يقول فيها :

ألم ترَ أن الجودَ أرسل فانتقى حَليفَ صفاء وأتَلى لا يُزايله[٤]
تخيّر اسماء بنَ حِصن فبُطّنتْ بفعل العلا أيمانُه وشمائله
ولا مجدَ إلا مجدُ أسماء فوقه ولا جرى إلا جريُ أسماء فاضله
ومحتمل ضِغناً لاسماء لو جرى بسجلين من أسماء فارت أباجله[٥]
عوى يستجيشُ النابحات وإنما بأنيابه صُمُّ الصفا وجنادله[٦]

---

(١) الوظيفة : ما يقدّر من رزق .

(٢) أي قبل شفاعته إطلاقاً لم يقيدها بقيد ولم يعتل فيها باستثناء .

(٣) الجراية : الجاري من الوظائف .

(٤) انتقى : اختار . ائتلى : أقسم .

(٥) السجل : الجري . أباجل : جمع أبجل ، وهو عرق في باطن الذراع . والمعنى : لو جرى بشوطين من جري أسماء ، لأعيا وانبهر .

(٦) يستجيش النابحات : أي يستمد الكلاب النابحات . الصفا جمع صفاة ، وهي الحجر الصلد الضخم . والمعنى أنه لا ينال منه ولا يؤثر فيه إلا كما يؤثر العاش على الصم الصلاب .

وأقصَر عن مجراة أسماء سعيُه   حَسيراً كما يلقى من التّرب ناخلُه ١
وفضَّل أسماء بنَ حِصنٍ عليهم   سماحةُ أسماء بن حصن ونائله ٢
فمَن مثل أسماء بن حصن اذا غدت   شآبيبـه أم أي شيء يعادله ٣
وكنت اذا لاقيت منهم حطيطة   لقيتُ أبا حسانَ تندى أصائله ٤
تضيّفه غسّان يرجون سيبـه   وذو يمنٍ أحبوشُه ومقـاوله ٥
فتى لا يزال الدهر ما عاش مخصباً   ولو كان بالموماة تخدي رواحله ٦
فأصبح: ما في الارض خلقٌ علمته   من الناس إلّا باعُ أسماء طائله ٧
تراه اذا ما جئته متهلـلاً   كأنك تعطيه الذي انت سائله
ترى الجند والأعراب يغشون بابه   كما وردت ماء الكلاب نواهله
اذا ما أتوا ابوابه قال: مرحباً   لجوا الباب حتى يقتل الجوع قاتله
ترى البازل البُختيَّ فوق خِوانه   مقطَّعةً أعضاؤه ومفـاصله ٨

---

(١) حسيراً : كليلاً .

(٢) النائل : العطاء .

(٣) غدت : بكرت . والشآبيب : جمع شؤبوب ، وهو الدفعة من المطر .

(٤) أبو حسان : كنية أسماء . أصائل : جمع أصيل ، وهو العشيّ . تندى أصائله ، أي يندى في الاصائل . والحطيطة : البخس .

(٥) أصله تتضيفه أي تنزل عليه ضيفاً . والسيب : العطاء . الأحبوش : جماعة الحبش . والمقاول : جمع مقول ، وهو الملك من ملوك حمير ، أو هو دون الملك الاعلى .

(٦) الراحلة : المركب من الابل ذكراً او أنثى . وخدى البعير خدياً وخدياناً : أسرع وزج بقوائمه . والموماة : المفازة .

(٧) طاله : فاقه في الطول .

(٨) البازل : الجمل في تاسع سنيه . البختيّ : من الجمال : طوال الاعنـاق . والخوان كغراب وكتاب : ما يؤكل عليه الطعام .

إذا ما أتوا أسماء كان هو الذي ... تحلّب كفاه الندى وأنامله
تراهم كثيراً حين يغشون بابه ... فتسترهم جدرانه ومنازله

قال: فأعطاه أسماء حين أنشده هذه القصيدة ألفي درهم.

أخبرني هاشم بن محمد قال: حدثنا العباس بن ميمون طائع قال: حدثني أبو عدنان عن الهيثم بن عديّ، عن ابن عياش، وقال ابن الاعرابي أيضاً: دخل عبد الله بن الزبير على عُبيد الله بن زياد بالكوفة وعنده أسماء بن خارجة حين قدم ابن الزبير من الشأم، فلمّا مثل بين يديه أنشأ يقول:

حنّت قلوصي وَهناً بعد هدأتها ... فهيّجت مغرماً صَباً على الطربِ [١]
حنّت الى خيرِ مَن حُثّ المطيّ له ... كالبدر بين أبي سفيان والعتب
تذكّرت بقُرى البلقاء نائله ... لقد تذكّرته مِن نازحٍ عزَب [٢]
والله ما كان بي لولا زيارته ... وأن ألاقي أبا حسان من أرَب
حنّت لترجعني خلفي فقلت لها ... هذا امامك فالقيه فتى العرب
لا يحسب الشرّ جاراً لا يفارقه ... ولا يعاقب عند الحلم بالغضب
مِن خير بيت عَلمناه وأكرمه ... كانت دماؤهم تشفي من الكلب

قال ابن الاعرابي: كانت العرب تقول: من أصابه الكلَب والجنون لا يبرأ منه إلى أن يسقى من دم ملك، فيقول: إنه من أولاد الملوك.

---

(١) القلوص من الابل: الشابة. الوهن: نحو من نصف الليل أو ما بعد ساعة منه. الهدأة والهدوء: السكون عن الحركات.

(٢) البلقاء: كورة من أعمال دمشق. نازح: بعيد، عزب: بعيد أيضاً؛ وقالوا: رجل عزب: للذي يعزب في الارض.

بقية أخبار عبد الله بن الزُّبير

شعره حين قتل هانئ بن عروة :

أخبرني أحمد بن عيسى العجلي بالكوفة قال : حدثنا سليمان بن الربيع البرجمي قال : حدثنا مُضَر بن مُزاحم ، عن عمرو بن سعد ، عن أبي مِخنف ، عن عبد الرحمن بن عبيد بن أبي الكنود ، وأخبرني الحسن بن علي قال : حدثنا الحارث ابن محمد قال : حدثنا ابن سعد عن الواقدي ، وذكر بعض ذلك ابن الاعرابي في روايته عن المفضَّل ، وقد دخل حديث بعضهم في حديث الآخرين ، أن المختار بن أبي عبيد خطب الناس يوماً على المنبر فقال : « لتنزلنّ نار من السماء ، تسوقها ريح حالكة دَهماء ، حتى تحرق دار أسماء وآل أسماء » وكان لأسماء بن خارجة بالكوفة ذكرٌ قبيح عند الشيعة ، يعدّونه في قتلة الحسين عليه السلام ، لِما كان من معاونته عبيد الله بن زياد على هانئ بن عروة المراديّ حتى قتل ، وحركته في نُصرته على مسلم بن عقيل بن أبي طالب ، وقد ذكر ذلك شاعرهم فقال :

أيركب أسماء الهماليج آمناً وقد طلبته مَذحِجٌ بقتيلِ[1] !

يعني بالقتيل هانئ بن عروة المراديّ ، وكان المختار يحتال ويدبّر في قتله من غير أن يُغضب قيساً فتنصره ، فبلغ أسماء قول المختار فيه ، فقال : أوقد سجع بي أبو اسحاق ! لا قرار على زأرٍ من الاسد ، وهرب الى الشام ، فأمر المختار بطلبه ففاته ، فأمر بهدم داره ، فما تقدّم عليها مضريّ بتّةً لموضع أسماء وجلالة قدره في قيس ، فتولّت ربيعةُ واليمنُ هدمها ، وكانت بنو تَيم الله وعبد القيس مع رجل من بني عجل كان على شرطة المختار ، فقال في ذلك عبد الله بن الزُّبير :

(١) الهماليج : جمع هملاج ، والهملاج من البراذين : الحسن السير . وبنو مراد : قبيلة هانئ بن عروة بطن من مذحج ، فهم بنو مراد بن مالك بن مذحج بن أدد . . . . . . من بني كهلان .

تأوّب عين ابن الزُّبير سهودها ووّلى على ما قد عراها هُجودها [١]
كأن سواد العين أبطن نخلةً وعاودها مما تذكّر عِيدُها [٢]
مخصَّرةً من نخل َجيحان صعبةً لوى بجناحيها وليدٌ يصيدها [٣]
من الليل وَهناً ، أو شظيَّةَ سنبلٍ أذاعت به الارواح يُذرى حصيدُها [٤]
إذا طُرفت أذرت دموعاً كأنها نثيرُ جُمانٍ بان عنها فريدها [٥]
وبتُّ كأنّ الصدر فيه ذُبالةٌ شبا حرَّها القنديل ، ذاكٍ وقودها [٦]
فقلت أناجي النفسَ بيني وبينها كذاك الليالي نحسها وسعودها
فلا تجزعي مما ألمَّ فإنني أرى سنةً لم يبقَ إلّا شريدها [٧]
أتاني وعُرضُ الشام بيني وبينها أحاديث والأنباء ينمي بعيدُها [٨]
بأنّ أبا حسان تهدم داره لُكَيزٌ سعت فسّاقها وعبيدها [٩]

(١) تأوّبها سهودها ، أي راجعها وعاودها . والهجود : النوم : وعلى هنا بمعنى اللام .

(٢) تذكر ، أي تتذكر . والعيد : ما اعتادك من هم أو مرض او حزن .

(٣) كشح مخصر : دقيق ، ورجل مخصر : ضامر الخصر . جيحان : نهر بالمصيصة في الشام . والوليد : الصبي .

(٤) من الليل وهنا : متعلق بقوله : وعاودها ، أو شظية : عطف على نخلة . والشظية : كل فلقة من شيء . أذاع بالشيء : ذهب به . والارواح : جمع ريح . ذرته الريح وأذرته : أطارته .

(٥) طرفت عينه : أصيبت بشيء فدمعت . أذرت العين الدمع : صبته . نثير : منثور . الجمان : اللؤلؤ . الفريد والفريدة : الجوهرة النفيسة .

(٦) الذبالة : الفتيلة ، شبا النار شبواً : أوقدها كشبّها . والمعنى : زاد القنديل في حرّها بما يمدّها به من الزيت . ذكت النار : اشتدّ لهبها .

(٧) السنة : العام . والجدب : القحط .

(٨) ينمي : ينتشر ويرتفع .

(٩) لكيز : قبيلة من ربيعة ، وهو لكيز بن أفصى بن عبد القيس .

جزَتْ مُضراً عني الجوازي بفعلها ولا أصبحتْ إلّا بشرٍ جُدودها [١]
فما خيرُكم؟ لا سيّداً تنصرونه ولا خائفاً إن جاء يوماً طريدها [٢]
أخذلانه في كلّ يوم كريهةٍ ومسألة ما إن ينادى وليدها [٣]
لِأمكم الوَيلات أنّى أتيتمُ جماعات أقوامٍ كثيرٍ عديدها
فيا ليتكم من بعد خذلانكم له جَوارٍ على الاعناق منها عقودها
ألم تغضبوا تباً لكم إذ سطتْ بكم مَجوس القرى في داركم ويهودها [٤]!
تركتم أبا حسّان تُهدَم داره مشيَّدةً أبوابها وحديدها
يهدّمها العجليّ فيكم بشرطة كما نبَّ في شِبل التُّيوس عتودُها [٥]
لعمري لقد لفّ اليهوديُّ ثوبه على غدرة شنعاء باق نشيدها [٦]
فلو كان من قحطان أسماء شمّرت كتائب من قحطان صُعرٌ خدودها [٧]
ففي رجب أو غرّة الشهر بعده تزوركم حُمرُ المنايا وسودها
ثمانون ألفاً دينُ عثمان دينهم كتائب فيها جَبرئيل يقودها
فمن عاش منكم عاش عبداً ومن يمت ففي النار سُقياه هناك صديدها

وقال ابن مهرويه: أخبرني به الحسن بن علي عنه، حدثني عبد الله بن أبي سعد

(١) يقال: جزتك عني الجوازي، أي جزتك جوازي أفعالك، والجوازي: جمع جازية، وهي الجزاء، مصدر على فاعلة. جدود: جمع جد بالفتح. وهو الحظ، يدعو عليها بنحس الجد وتعس الحظ.

(٢) ولا خائفاً، أي ولا تؤمنون الطريد إن جاء يوماً خائفاً.

(٣) أخذلانه ...: أي أمذهبكم خذلانه، أو أترون خذلانه؟

(٤) تبالكم، أي ألزمكم الله هلاكاً وخسراناً.

(٥) نب التيس: صاح عند الهياج. العتود من أولاد المعز: ما رعى وقوي وأتى عليه حول.

(٦) النشيد: الصوت.

(٧) صعر خدودها، أي قد أمالت خدودها كبراً.

قال : حدثني علي بن الصباح عن ابن الكلبي : أن مصعب بن الزبير لما ولي العراق لأخيه هرب أسماء بن خارجة الى الشام ، وبها يومئذٍ عبد الملك بن مروان قد ولي الخلافة ، وقتل عمرو بن سعيد ، وكان أسماء أمويّ الهوى ، فهدم مصعب بن الزبير داره وحرقها ، فقال عبد الله بن الزَّبير في ذلك :

تأوّب عين بن الزَّبير سهودها

وذكر القصيدة بأسرها ، وهذا الخبر أصحُّ عندي من الاول ، لأن الحسن بن علي حدثني قال : حدثنا أحمد بن سعيد الدمشقي قال : حدثنا الزبير بن بكّار قال : حدثني عمي مصعب قال : لما ولي مصعب بن الزبير العراق، دخل اليه عبد الله بن الزّبير الأسدي ، فقال له : إيهٍ يابن الزبير ، أنت القائل :

إلى رَجب السبعين أو ذاك قبله تصبّحكم حُمر المنـايا وسُودُها [1]
ثمـانون ألفاً نصرُ مروان دينهم كتائبُ فيهـا جَبرئيلُ يقودها

فقال : أنا القائل لذلك ، وإن الحَين ليأبى العذرة ، ولو قدرت عـلى جحده لجحدته ، فاصنع ما أنت صانع ؛ فقال : أما إني ما أصنع بك إلّا خيراً ، أحسن اليك قوم فأحببتهم وواليتهم ومدحتهم ، ثم أمر له بجائزة وكسوة ، وردّه إلى منـزله مكرّماً ، فكان ابن الزبير بعد ذلك يمدحه ويشيد بذكره ، فلما قتل مصعب بن الزبير اجتمع ابن الزبير وعبيد الله بن زياد بن ظبيان في مجلس، فعرف ابن الزبير خبره — وكان عبيد الله هو الذي قتل مصعب بن الزبير — فاستقبله بوجهه وقال له :

أبا مطر شلّت يمـينٌ تفرّعتْ بسيفك رأس ابن الحواريّ مصعبِ [2]

(١) الى رجب السبعين ، أي الى رجب السنة السبعين .

(٢) تفرّعت : علت . الحواري : الناصر أو ناصر الانبياء : وهو هنا الزبير بن العوّام .

فقال له ابن ظبيان : فكيف النجاة من ذلك ؟ قال : لا نجـاة ، هيهات ! « سبق السيف العذَل » ، قال : فكان ابن ظبيان بعد قتله مصعباً لا ينتفع بنفسه في نوم ولا يقظة ، كان يهوَّل عليه[1] في منامه فلا ينام ، حتى كلَّ جسمه ونُهك ، فلم يزل كذلك حتى مات .

وقال ابن الاعرابي : لما قدم ابن الزبير من الشأم الى الكوفة دخل علـى عبيد الله بن زياد بكتاب من يزيد بن معاوية اليه يأمره بصيانته وإكرامه وقضاء دينه وحوائجه وإدرار عطائه ، فأوصله اليه ، ثم استأذنه في الإنشاد ، فأذن له ، فأنشده قصيدته التي أوّلها :

صوت

أَصرمٌ بليـلى حادثٌ أم تجنُّبُ أم الحبل منهـا واهنٌ متقضِّبُ[2]
أم الودّ من ليلى كعهدي مكانه ولكنّ ليـلى تستزيد وتعتب

غنى في هذين البيتين حُنين ثاني ثقيل عن الهشامي .

ألم تعلمي يا ليـلَ أنّيَ لَيّنٌ هضومٌ وأني عنبسٌ حين أغضب[3]
وأني متى أُنفق من المـال طارفاً فإني أرجو أن يثـوب المثوَّب[4]
أأن تلِف المـال التِلاد بحقِّه تشمَّسُ ليلى عن كلامي وتقطب[5]

(١) هوّل عليه : أفزعه .

(٢) الصرم : القطيعة . واهن : ضعيف . متقضب : متقطع .

(٣) الهضوم : المنفق لماله . والعنبس : الاسد .

(٤) الطارف : المستحدث . ثاب وثوّب : رجع .

(٥) التلاد : المال القديم . تشمس : تتشمس ، أي تنفر وتعرض ، من شمس الفرس ، أي شرد ، ومنه المتشمس ، وهو الشديد القوي الذي يمنع ما وراء ظهره ؛ والبخيل الذي لا ينال منه خير . قطب كضرب : زوى ما بين عينيه وعبس وكلح .

عشيــة قالت والركابُ مُنــاخةٌ بأكوارها مشدودةً : أين تذهبُ ؟[١]
أفي كل مصرٍ نازحٍ لك حاجــةٌ كذلك مــا أمرُ الفتى المتشعِّب[٢]
فوالله مــا زالت تُلبِثُ ناقتي وتقسم حتى كادت الشمس تغرب
دعيني ما للموت عنيَ دافــعٌ ولا للذي ولّى من العيش مَطلب
اليك عبيد الله تهوي ركابُنــا تعسَّفُ مجهول الفــلاة وتدأب[٣]
وقد ضمرت حتى كأنّ عيونهــا نِطافُ فلاةٍ ماؤهــا متصبِّب[٤]
فقلت لها : لا تشتكي الأين إنه أمامك قَرمٌ من أميــة مُصعب[٥]
اذا ذكروا فضل امرئٍ كان قبله ففضــل عبيد الله أثرى وأطيب[٦]
وأنك لو يُشفى بك القرحُ لم يعُد وأنت على الاعداء نابٌ ومِخلب[٧]
تصافى عبيد الله والمجــد صفوة الــحليفين مــا أرسى ثبيرٌ ويَثرب[٨]
وأنت الى الخــيرات أوّل سابق فأبشر، فقد أدركت ما كنت تطلب

(١) الاكوار : جمع كور بالضم ، وهو الرحل بأداته .

(٢) نازح : بعيد . المتشعب : المتفرق . و « ما » زائدة .

(٣) هوى كرمى : أسرع في السير . تعسف ، أي تتعسف ؛ تعسف الطريق : سار فيه على غير هداية . والفلاة : الصحراء . تدأب تجدّ وتتعب .

(٤) نطاف : جمع نطفة بالضم ، وهي الماء الصافي قل او كثر .

(٥) الأين : الاعياء . القرم من الرجال : السيد المعظم ، وأصله الفحل الذي يترك من الركوب والعمل ويودع للفحلة . ورجل مصعب : مسوّد ، واصله بمنى القرم ، اي الفحل الذي لم يمسه حبل ولم يركب .

(٦) أثرى : أفعل ، من الثروة ، أي أكثر .

(٧) القرح بالفتح ويضم : عض السلاح ونحوه مما يخرج بالبدن ، او بالفتح : الآثار ، وبالضم : الالم ؛ أراد به ما ينوبه من صروف الدهر .

(٨) رسا وأرسى : ثبت . ثبير : جبل بظاهر مكة . يثرب : مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم.

أعِنّي بسجل من سجالك نافع ... ففي كل يوم قد سرى لك مِحلب[1]
فإنك لو إيّاي تطلب حاجةً ... جرى لك أهلٌ في المقال ومَرحب[2]

قال: فقال له عبيد الله – وقد ضحك من هذا البيت الاخير –: فإني لا أطلب اليك حاجة، كم السَّجل الذي يُرويك؟ قال: نوالك أيها الامير يكفيني، فأمر له بعشرة آلاف درهم.

قال ابن الاعرابي: كان نُعيم بن دجانة بن شدّاد بن حُذَيفة بن بكر بن قيس بن مُنقذ بن طريف صديقاً لعبيد الله بن الزُّبير، ثم تغيَّر عليه، وبلغه عنه قول قبيح فقال في ذلك:

ألا طرقتْ رُوَيَة بعد هَدء ... تخطّى هول أغمارٍ وأسدٍ[3]
تجوس رحالنا حتى أتتنا ... طُروقاً بين أعرابٍ وجُند[4]
فقالت: ما فعلتَ أبا كثيرٍ ... أصحَّ الودُّ أم أخلفت عهدي؟
كأن المسك ضمّ على الخزامى ... الى أحشائها وقضيبَ رَند[5]
ألا مَن مُبلغ عني نعيا ... فسوف يجرّب الاخوان بعدي
رأيتك كالشموس تُرى قريباً ... وتمنع مسحَ ناصيةٍ وخدّ
فإني إن أقع بك لا أهلّل ... كوقع السيف ذي الأثْر الفِرند[6]

---

(١) السجل: الدلو العظيمة مملوءة.

(٢) لو إياي، أي لو إياي تقصد، جرى لك... أي لقلت لك أهلاً وسهلاً ومرحباً.

(٣) الهدء: أول الليل إلى ثلثه. تخطى: أصله تتخطى. أغمار وأسد أي رجال شجعان كالأغمار والأسود.

(٤) أتانا طروقاً: إذا جاء بليل.

(٥) الخزامى: نبت زهره أطيب الازهار نفحة. الرند: شجر طيب الرائحة.

(٦) هلل عن الامر: فزع وجبن وولى عنه ونكص، والاثر بالفتح والكسر. فرند السيف، وهو جوهره وماؤه الذي يجري فيه وطرائقه.

فأولى ثم أولى ثم أولى فهل للدَّرِّ يُحلب من مردِّ[1]؟

رثاؤه لصديقه :

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال : حدثني عيسى بن إسماعيل تينة ، وأخبرني عمي قال : حدثنا الكراني قال : حدثني عيسى بن إسماعيل عن المدائني عن خالد ابن سعيد عن أبيه قال : كان عبد الله بن الزبير صديقاً لعمرو بن الزُّبير بن العوّام ، فلما أقامه أخوه[2] ليقتصّ منه بالغ كل ذي حِقدٍ عليه في ذلك ، وتدسّس فيه من يتقرّب الى أخيه ، وكان أخوه لا يسأل من ادّعى عليه شيئاً بيّنةً ، ولا يطالبه بحجّة ، وإنما يقبل قوله ثم يدخله اليه السجن ليقتص منه ، فكانوا يضربونه والقيحُ ينتضح من ظهره وأكتافه على الارض لشدّة ما يمرّ به ، ثم يُضرَب وهو على تلك الحال ، ثم أمر بأن يُرسل عليه الجعلان[3] ، فكانت تدبّ عليه فتثقب لحمه ، — وهو مقيد مغلول[4] — يستغيث فلا يغاث ، حتى مات على تلك الحال ، فدخل الموكَّل به على أخيه عبد الله بن الزبير وفي يده قدح لبن يريد أن يتسحّر به وهو يبكي فقال له : مالك ؟ أمات عمرو ؟ قال : نعم ، قال : أبعده الله ، وشرب اللبن ، ثم قال : لا تغسِّلوه ولا تكفِّنوه ، وادفنوه في مقابر المشركين ، فدفن فيها ، فقال ابن الزَّبير الأسدي يرثيه ويؤنّب أخاه بفعله ، وكان له صديقاً وخِلًّا ونديماً :

أيا راكباً إمّا عرضتَ فبلِّغن[5] كبيرَ بني العوّام إن قيل مَن تعني

---

(١) الدر : اللبن .

(٢) أي عبد الله بن الزبير .

(٣) الجعلان : جمع جعل كعمر ، وهو دويبة سوداء أكبر من الخنفساء .

(٤) مغلول : مقيد بالغل وهو القيد .

(٥) عرضت : أتيت العروض (بفتح العين) وهي مكة والمدينة . تعني : تقصد .

ستعلم – إن جالت بك الحربُ جولةً … إذا فوّقَ الرامون – أسهم مَن تغني [1]

فأصبحتِ الأرحام حين وليتها … بكفّيك أكراشاً تجرّ على دِمن [2]

عقدتم لعمرو عُقدةً وغدرتمُ … بأبيض كالمصباح في ليلة الدَّجن [3]

وكبّلته حَولاً يجود بنفسه … تَنوء به في ساقه حَلَق اللبْن [4]

فما قال عمرو إذ يجود بنفسه … لضاربه – حتى قضى نحبه – : دعني [5]

تحدّث مَن لاقيتَ أنك عائذ … وصرّعتَ قتلى بين زمزم والرُّكن [6]

جعلتم لضرب الظَّهر منه عصيّكم … تُراوحه ، والأصبحيّة للبطن [7]

تُعذر منه الآن لمّا قتلته … تَفاوُتَ أرجاء القليب من الشَّطن [8]

فلم أرَ وفداً كان للغدر عاقداً … كوفدك شدّوا غير مُوفٍ ولا مُسني [9]

وكنت كذات الفسق لم تدرِ ما حوت … تخيّر حاليها أتسرق أم تزني [10]

---

(١) الفوق بالضم : موضع الوتر من السهم ؛ وفوّق السهم : جعل له فوقاً . تغني : تنفع .

(٢) أكراش : جمع كرش كحمل وكتف . والدمن : السرقين المتلبد والبعر .

(٣) الدجن : إلباس الغيم الارض .

(٤) ناء به الحمل : أثقله وأماله . حلق بفتح الحاء وكسرها : جمع حلقة بسكون اللام وفتحها . « اللبن » بالفتح : الضرب الشديد .

(٥) قضى نحبه : مات ، وأصله الوفاء بالنذر .

(٦) كان عبد الله بن الزبير يدعى « العائذ » لانه عاذ بالبيت الحرام .

(٧) تراوحه : تتعاقب عليه . والاصبحيّ : السوط ، نسبة الى ذي أصبح ملك من ملوك حمير .

(٨) المعذر : الذي يتكلف العذر وهو لا عذر له . تفاوت الشيئان : تباعد ما بينهما . والارجاء : النواحي . والقليب : البئر . الشطن كسبب : الحبل الطويل الشديد الفتل يستقى به ، وسكنت الطاء هنا للشعر .

(٩) أسناه : رفعه .

(١٠) ما حوت : أي من المكاسب والمنافع .

جزى الله عني خالداً شرَّ ما جزى ... وعُروة شرّاً من خليلٍ، ومن خِدنِ (١)
قتلتم أخاكم بالسياط سفـاهةً ... فيا لك للرأي المضلّـل والافن (٢)
فلو أنكم أجهزتم إذ قتلـتم! ... ولـكن قتلـتم بالسِّياط وبالسِّجن
وإني لأرجو أن أرى فيك ما ترى ... به من عقاب الله ما دونه يُغني (٣)
قطعتَ من الأرحام ما كان واشجاً ... على الشيب، وأبتعت المخافة بالأمن (٤)
وأصبحتَ تسعى قاسطاً بكتيبةٍ ... تهدّم ما حول الحطيم ولا تبني (٥)
فلا تجزعن من سُنّةٍ قد سننتها ... فما للدماء الدهر تُهرَق مِن حَقن

رثاؤه يعقوب بن طلحة :

أخبرني عمي قال : حدثني الخرّاز عن المدائني قال : قتل يعقوب بن طلحة يوم الحرّة (٦) ، وكان يعقوب بن خالة يزيد بن معاوية فقال يزيد : يا عجبا قاتلني كل أحد حتى ابن خالتي! قال : وكان الذي جاء بنعيه الى الكوفة رجل يقال له الكروّس ، فقال ابن الزّبير الأسديّ يرثيه :

لعمرك ما هـذا بعيش فيبتغى ... هنيءٍ ولا موتٍ يُريحُ سريعِ

(١) الخدن : الصديق . وخالد وعروة : أخوا عبد الله بن الزبير .

(٢) الأفن ويحرك : ضعف العقل والرأي .

(٣) ما دونه يغني ، أي ما قبله يجزئ ويكفي في الانتقام منك .

(٤) واشجاً : متداخلاً متشابكاً .

(٥) قاسطاً : ظالماً جائراً . الحطيم : حجر الكعبة أو ما بين الركن وزمزم والمقام .

(٦) كان أهل المدينة كرهوا خلافة يزيد بن معاوية وخلعوه وحصروا من كان بها من بني أمية وأخافوهم ، فوجه اليهم يزيد مسلم بن عقبة المري في جيش ، فقمع فتنتهم ، وأخمد ثورتهم ، وكانت هذه الوقعة تسمى « وقعة الحرة »؛ لان مسلماً حاصر المدينة من جهة الحرة — موضع بظاهر المدينة — وكانت في ذي الحجة سنة ٦٣ هـ .

لعمري لقد جاء الكروَّس كاظما على أمرٍ سوء حين شاع فظيعِ
نعى أسرةً يعقوب منهم فأقفرت منازلهم من رومةٍ فبقيع [١]
وكلهم غيثٌ اذا قُحط الورى ويعقوبُ منهم للأنام ربيع

وقال ابن الأعرابي: كان على ابن الزبير دين لجماعة، فلازموه ومنعوه التصرّف في حوائجه، وألحّ عليه غريم له من بني نهشل يقال له: ذئب، فقال ابن الزبير:

أحابسَ كيدِ الفيل عن بطن مكةٍ وأنت على ما شئت جم الفواضلِ [٢]
أرحني من اللائي اذا حلّ دَينهم يمشون في الدارات مشيَ الارامل [٣]
اذا دخلوا قالوا: السلام عليكم وغير السلام بالسلام يحاول [٤]
ألينُ اذا اشتدّ الغريم وألتوي اذا اشتدّ حتى يُدرك الدين قابل [٥]
عرضت على «ذئبٍ» ليأخذ بعض ما يحاوله قبل اشتغال الشواغل
تثاءب حتى قلتُ: داسع نفسه وأخرج أنياباً له كالمعاول [٦]

دخوله المدينة مع عبد الرحمن بن الحكم:

وقال ابن الاعرابي: استجار ابن الزبير بمروان بن الحكم وعبد الله بن عامر

(١) رومة: أرض بالمدينة فيها بئر رومة التي ابتاعها عثمان رضي الله عنه وتصدق بها. والبقيع: مقبرة أهل المدينة.

(٢) كيد الفيل: أي كيد أصحاب الفيل، يشير الى وقعة الفيل. الفواضل: الايادي الجسيمة.

(٣) الدارة: العرصة وهي ساحة الدار.

(٤) أي يبغي من وراء التحية مأرباً له.

(٥) الغريم: الدائن. واشتد: استقام. قابل: أي العام القابل.

(٦) داسع: فاعل من الدسع: وهو الدفع، دسعه كدفعه وزناً ومعنى، ودسع البعير بجرته: دفعها حتى أخرجها من جوفه الى فيه وأفاضها.

لما هجا عبد الرحمن بن أمّ الحكم ، فأجاراه وقاما بأمره ، ودخل مع مروان الى المدينة ، وقال في ذلك :

أجدّي الى مروان عدواً فقلّصي ... وإلّا فروحي واغتدي لابن عامر [1]
الى نفر حول النبيّ بيوتهم ... مكاريم للعافي رقاق المآزر [2]
لهم سورة في المجد قد علت لهم ... تُذَبذب باع المتعب المتقاصر [3]
لهم عامر البطحاء من بطن مكة ... وروحة تستي بالجمال القياسر [4]

وقال ابن الاعرابي : عرض قوم من أهل المدراء [5] لابن الزبير الأسدي في طريقه من الشام الى الكوفة وقد نزل بقرقيسياء [6] ، فاستعدوا [7] عليه زُفَر بن الحارث الكلابيّ وقالوا : إنه أموي الهوى ، وكانت قيس يومئذ زُبيرية ، وقرقيسياء وما والاها في يد ابن الزبير ، فحبسه زفر أياماً وقيّده ، وكان معه رفيق من بني أمية يقال له : أبو الحدراء ، فرحل وتركه في حبسه أياماً ، ثم تكلمت فيه جماعة من مضر ، فأطلق فقال في ذلك :

---

(١) أجدّ السير : أسرع فيه . وقلصت الناقة : شمرت واستمرت في مضيها .

(٢) مكاريم : جمع مكرم ، على حد قوله تعالى « ولو ألقى معاذيره » . العافي : كل طالب فضل او رزق ، والمآزر جمع مئزر بالكسر : وهو الملحفة ، ورقاق المآزر كناية عن النعيم والترف .

(٣) السورة من المجد : أثره وعلامته وارتفاعه . ذبذبه : حرّكه ، فتذبذب ، تحرك واضطرب . المتقاصر : المقصر العاجز .

(٤) البطحاء : مسيل واسع فيه دقاق الحصى . والقيسريّ من الابل : الضخم الشديد القويّ ، وجمعه : قياسر وقياسرة .

(٥) أهل المدراء : أهل الحضر .

(٦) بلد على الفرات .

(٧) استعداه عليه : استنصره .

أغادٍ أبو الحدراء أم متروّح؟ كذاك النوى مما تجدّ وتمزح [1]
لعمري لقد كانت بلادٌ عريضةٌ لي الرَّوح فيها عنك والمتسرَّح [2]
ولكنه يدنو البغيضُ ويبعد الـ ـحبيب وينأى في المزار وينزح [3]
ألا ليت شعري هل أتى أمَّ واصلٍ كبولٌ أعضُّوها بساقيَّ تجرَح [4]
اذا ما صرفتُ الكعبَ صاحت كأنها صريف خطاطيفٍ بدلوين تمتح [5]
تُبغِّي أباها في الرفاق وتنثني وألوى بـه في لجَّة البحر تمسح [6]
أمرتحلٌ وفـدُ العراق وغُودرت تحنُّ بأبواب المدينـة صَيدَح [7]
فإنكِ لا تدرين فيما أصـابني أريثك أم تعجيل سَيرِك أنجح [8]
أظنُّ أبو الحدراء سَجني تجـارةً ترَجّى وما كل التجارة تُربح!

أخبرني محمد بن عمران الصيرفيّ قال: حدثنا الحسن بن عُليل قال: حدَّثني محمد بن معاوية الاسديّ قال: لما قدم الحجاج الكوفة والياً عليها صعد المنبر، فخطبهم فقال: يا أهل العراق، يا أهل الشقاق والنفاق، ومساوئ الأخلاق، إن

---

(١) تروح: سار في الرواح، وهو العشيّ.

(٢) الروح: الراحة. المتسرح: انفراج الضيق والغم.

(٣) نزح كمنع وضرب: بعد.

(٤) كبول: جمع كبل بالفتح والكسر، وهو القيد الضخم.

(٥) صرفت: رددت، أي حركت. صاحت أي صوّتت الكبـول. صرفت البكرة صريفاً: صوّتت عند الاستقاء. والخطاطيف: جمع خطاف كرمان، وهو حديدة حجناء في جانبي البكرة فيها المحور. متح الماء كمنع: نزعه.

(٦) ألوى به: ذهب به. التمسح: التمساح.

(٧) صيدح: اسم ناقة ذي الرمة.

(٨) الريث: الابطاء.

الشيطان قد باض وفرَّخ في صدوركم، ودبَّ ودرج في حجوركم، فأنتم له دين، وهو لكم قرين، (ومَن يكن الشيطان له قريناً فساء قريناً) ثم حثّهم على اللحاق بالمهلب بن أبي صُفرة، وأقسم ألّا يجدَ منهم أحداً اسمه في جريدة المهلب بعد ثالثة بالكوفة إلّا قتله، فجاء عُمير بن ضابئ البرجمي فقال: أيها الامير، إني شيخ لا فضل فيَّ، ولي ابنٌ شابٌّ جلد، فاقبله بدلًا مني؛ فقال له عنبسة بن سعيد بن العاص: أيها الامير، هذا جاء إلى عثمان وهو مقتول، فرفسه وكسرَ ضِلعين من أضلاعه وهو يقول:

أين تركتَ ضابئاً يا نعثلُ[1]

فقال له الحجّاج: فهلّا يومئذٍ بعثتَ بديلًا، يا حرَسيّ[2]! اضرب عنقه، وسمع الحجاج ضوضاء، فقال: ما هذا؟ فقال: هذه البراجم جاءت لتنصر عميراً فيما ذكرت، فقال: أتحفوهم برأسه، فرموهم برأسه، فولوا هاربين، فازدحم الناس على الجسر للعبور إلى المهلب حتى غرق بعضهم، فقال عبد الله بن الزبير الاسدي.

أقول لإبراهيم لمّا لقيته أرى الأمر أمسى واهياً متشعّباً[3]
تخيّر فإما أن تزور ابن ضابئٍ عميراً وإما أن تزور المهلّبا
هما خُطّتا خسفٍ نجاؤك منهما ركوبك حوليّاً من الثلج أشهبا[4]

---

(١) نعثل: رجل من أهل مصر كان طويل اللحية، وكان عثمان اذا نيل منه وعيب شبه بهذا الرجل لطول لحيته، فكان أعداؤه وشانئوه يسمونه نعثلًا لذلك.

(٢) الحرسيّ: واحد حرس السلطان وهم الحرّاس.

(٣) يخاطب ابراهيم بن عامر الاسدي أحد بني غاضرة بن مالك بن ثعلبة بن دودان بن أسد.

(٤) الخسف: الذل. الحولي: ما أتى عليه حول. أشهب: أشد شهبة، والشهبة: بياض يصدعه سواد في خلاله. والثلج شف ولكنه عند تراكمه يرى خلاله ظل من السواد.

فأضحى ولو كانت خُراسان دونه رآها مكان السُّوق أو هي أقربا

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق قال: حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثني علي بن عثّام الكلابيّ قال: دخل عبد الله بن الزبير الأسديُّ على مصعب بن الزبير بالكوفة لمّا وليها وقد مدحه، فاستأذنه الإنشاد، فلم يأذن له، وقال له: ألم تُسقط السماء علينا وتمنعنا قَطرها في مديحك لأسماء بن خارجة! ثم قال لبعض من حضر: أنشدها، فأنشده:

إذا مات ابن خارجة بن حِصنٍ فلا مطرت على الارض السماء
ولا رجع الوفود بغنم جيشٍ ولا حملت على الطُّهر النساء
ليوم منك خيرٌ من أناسٍ كثيرٍ حولهم نعمٌ وشاء
فبورك في بنيك وفي أبيهم إذا ذكروا ونحن لك الفداء

فالتفت اليه مصعب وقال له: اذهب الى اسماء، فما لك عندنا شيء، فانصرف، وبلغ ذلك أسماء، فعوّضه حتى أرضاه، ثم عوّضه مصعب بعد ذلك، وخُصّ به، وسمع مديحه، وأحسن عليه ثوابه.

قال ابن الاعرابي: لما ولي بشر بن مروان الكوفة أدنى عبد الله بن الزبير الأسدي وبرّه وخصّه بأنسه، لعلمه بهواه في بني أمية، فقال يمدحه:

ألم ترَني والحمد لله أنني برئت وداواني بمعروفه بِشرُ
رعى ما رعى مروانُ مِنّيَ قبله فصحّت له مني النصيحة والشكر
ففي كل عام عاشه الدهر صالحاً عليّ لربّ العالمين له نذر
إذا ما أبو مروان خلّى مكانه فلا تهنأ الدنيا ولا يُرسَل القطر
ولا يهنئْ الناس الولادة بينهم ولا يبقَ فوق الارض من أهلها شَفر[1]

(١) يهنئْ ويهنؤ: سرني: شفر: أحد.

فليس البحور بالتي تخبرونـــني ولكن أبو مروان بشرٌ هو البحرُ

وقال فيه أيضاً فذكر أمه قُطبة بنت بشر بن مالكٍ مُلاعب الأسنَّة :

جاءت به عُجزٌ مقابـلةٌ ما هن مِن جَرم ومن عُكلِ [١]
يا بشرُ يابن الجعفريّة مـا خَلَق الإله يديك للبخـل
أنت ابن سـادات لأجمعهم في بطن مـكة عزّة الأصل
بحر من الأعياص جُدن به في مغرسٍ للجود والفضـل [٢]
متهللٌ تندى يـداه اذا ضنَّ السحاب بوابلٍ سَجل [٣]

خبره مع الحجاج :

أخبرني عمي قال : حدثنا الكراني قال : حدثنا العمري ، عن الهيثم بن عدي عن عبد الله بن عيَّاش قال : أخبرني مشيخةٌ من بني أسد أن ابن الزبير الأسديّ لمَّا قفل من قتال الأزارقة صُوّب [٤] بعثُ الى الرَّي ، قال : فكنت فيه ، وخرج الحجاج الى القنطرة يعني قنطرة الكوفة التي بُزبارة [٥] ليعرض الجيش ، فعرضهم ،

(١) عجز : جمع عجوز . المقابل : الكريم النسب من كلا طرفيه أبيه وأمه . جرم : بطنان من عرب اليمن ، بطن في قضاعة وهم بنو جرم بن زبان (كشدّاد) وبطن في طيء وهم بنو ثعلبة بن عمرو بن الغوث بن طيء ، وعكل : قبيلة فيهم غباوة وقلة فهم ، ولذلك يقال لكل من فيه غباوة ويستحمق : عكليّ .

(٢) الاعياص من قريش : أولاد أمية بن عبد شمس الاكبر ، وهم أربعة : العاص ، وأبو العاص والعيص ، وأبو العيص ؛ وبشر هو بشر بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس .

(٣) تهلل الوجه : تلألأ ، بوابـل سجل ، أي ذي سجل ، سجلت الماء سجلاً : صببته صباً متصلاً .

(٤) صوب ، أي أرسل ، من صوبت الفرس : اذا ارسلته في الجري . والري : مدينة بفارس .

(٥) جاء في معجم البلدان « زباراً : موضع » .

وجعل يسأل عن رجل رجل من هو؟ فمر به ابن الزبير، فسأله من هو؟ فأخبره، فقال أنت الذي تقول:

تخيَّرْ فإما أن تزور ابن ضابئٍ ... عُميراً، وإما أن تزور المهلّبا

قال: بلى، أنا الذي أقول:

ألم ترَ أني قد أخذتُ جعيلةً ... وكنت كمن قاد الجنيب فأسمحا (١)

فقال له الحجاج: ذلك خير لك، فقال:

وأوقدت الأعداء يا مَيَّ فاعلمي ... بكلّ َشرًى ناراً فلم أرَ مجمحا (٢)

فقال له الحجاج: قد كان بعض ذلك، فقال:

ولا يعدم الداعي الى الخـير تابعاً ... ولا يعدم الداعي الى الشرّ مجدَحا (٣)

فقال له الحجاج: إن ذلك كذلك، فامض إلى بَعثك، فمضى الى بعثه فمات بالري.

مدح ابن أم الحكم فلم يعطه فهجاه:

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء، قال: حدثنا الزبير بن بكّار قال: حدثني عمي قال: لما ولي عبد الرحمن بن أم الحكم الكوفة، مدحه عبد الله بن الزبير،

---

(١) الجعيلة: ما جعل لك على عملك، وجنبه كنصره: قاده الى جنبه، فهو جنيب. وأسمحت الدابة: لانت وانقادت بعد استصعاب.

(٢) الشرى: الطريق والناحية. مجمحاً يريد مفراً ومهرباً من لقائهم.

(٣) جدح السويق وغيره: لته. والمجدح: ما يجدح به، وهو خشبة في رأسها خشبتان معترضتان، والمعنى: لا يعدم محركاً ومجيباً له.

فلم يُشبه ، وكان قدم في هيئة رثّة ، فلما اكتسب وأثرى بالكوفة تاه وتجبّر فقال ابن الزبير فيه :

تبقّلت لما أن أتيتَ بلادكم وفي مصرنا أنت الهمام القلمّسُ[1]
ألستَ ببغل أمه عربية أبوك حمار أدبر الظهر يُنخس[2]

قال : وكان بنو أمية اذا رأوا عبد الرحمن يلقّبونه البغل ، وغلبتْ عليه حتى كان يشتم من ذكر بغلاً ، يظنّه يعرّض به .

شعره في مقتل عبد الله بن الزبير :

أخبرني عمي قال : حدثنا الكراني عن العمري عن العتبي قال : لما قتل عبد الله بن الزبير صلب الحجاج جسده ، وبعث برأسه الى عبد الملك ، فجلس على سريره وأذِن للناس فدخلوا عليه ، فقام عبد الله بن الزبير الأسدي فاستأذنه في الكلام ، فقال له : تكلّم ولا تقل إلّا خيراً ، وتوخّ الحقّ فيما تقوله ، فأنشأ يقول :

مشى ابن الزبير القهقرى فتقدمت أميـة حتى أحرزوا القصباتِ
وجئتَ المجلّي يابن مروان سابقاً أمام قريش تنفض العذرات[3]
فلا زلتَ سبّاقاً الى كل غاية من المجد نجّاء من الغمرات[4]

---

(١) القلمس : البحر ، والرجل الخير المعطاء ، والسيد العظيم ، والرجل الداهية المنكر البعيد النور . تبقل : خرج يطلب البقل .

(٢) أدبر : وصف من الدبر بالتحريك وهو الجرح الذي يكون في ظهر الدابة .

(٣) المجلي : السابق من الخيل . والعذرة : الناصية .

(٤) الغمرات : جمع غمرة : وهي الشدة .

قال : فقال له . أحسنت فسل حاجتك : فقال له : أنت أعلى عيناً بها وأرحب صدراً يا أمير المؤمنين ؛ فأمر له بعشرين ألف درهم وكسوة ، ثم قال له : كيف قلت ؟ فذهب يعيد هذه الابيات ، فقال : لا ، ولكن أبياتك في المحلّ[1] في وفي الحجّاج التي قلتها : فأنشده :

كأني بعبد الله يركب ردعه وفيه سنان زاعبيٌّ محرَّبُ[2]
وقد فرّ عنه الملحدون وحلَّقت به وبمن آساه عنقاء مُغرب[3]
تولّوا فخلّوه فشال بشاوه طويل من الأجذاع عارٍ مشذَّب[4]
بكفّيْ غلام من ثقيفٍ نمت به قريش وذو المجد التليد مُعتب

فقال له عبد الملك : لا تقل غلام ، ولكن هُمام ، وكتب له الى الحجاج بعشرة آلاف درهم أخرى ؛ والله أعلم .

هجاؤه عبد الله بن الزبير :

أخبرني أبو الحسن الأسديّ قال : حدثنا حمّاد بن اسحاق ، عن أبيه ، عن الهيثم بن عديّ ، عن مجالد قال : قتل ابن الزبير من شيعة بني أميَّة قوماً بلغه أنهم يتجسَّسون لعبد الملك ، فقال فيه عبد الله بن الزبير في ذلك يهجوه ويعيّره بفعله :

---

(١) كان عبد الله بن الزبير يدعى المحل ، لإحلاله القتال في الحرم ، وفي ذلك يقول رجل في رملة بنت الزبير :

ألا من قلب معنى غزل بذكر المحلة أخت المحل

(٢) يقال للقتيل : ركب ردعه : إذا خر لوجهه على دمه . وحرب السنان : حدّده .

(٣) يقال : عنقاء مغرب ومغربة على الوصف وعنقاء مغرب بالاضافة ، وهي التي أغربت في البلاد فنأت ولم تحس ولم ترَ .

(٤) الشلو : الجسد . شال به : رفعه ، أي أنه صلب على جذع طويل . والتشذيب : إصلاح الجذع .

أيها العائذ في مكة كم ... من دمٍ أهرقته في غير دمْ
أيدٌ عائـذةٌ معصمةٌ ... ويد تقتل مَن حل الحرمّ!

مدحه بشر بن مروان :

قال أبو الفرج : ونسخت من كتاب لإسحاق بن ابراهيم الموصليّ فيه إصلاحات بخطه ، والكتاب بخط النضر بن حديد من أخبار عبد الله بن الزبير وشعره ، قال : دخل عبد الله بن الزبير على بشر بن مروان وعليه ثياب كان بشرٌ خلعها عليه ، وكان قد بلغ بشراً عنه شيء يكرهه ، فجفاه ، فلما وصل اليه وقف بين يديه ، وجعل يتأمل مَن حَواليه من بني أمية ، ويجيل بصره فيهم كالمتعجب من جمالهم وهيئتهم ؛ فقال له بشر ، إن نظرك يابن الزبير ليدلّ أن وراءه قولا ؛ فقال : نعم ؛ قال : قل ؛ فقال :

كأن بني أميـة حول بشر ... نجومٌ وَسطهـا قمر منيرُ
هو الفرع المقدَّم من قريش ... اذا أخذت مآخذها الامور
لقد عمت نوافـله فأضحى ... غنياً من نوافـله الفقير[1]
جبرتَ مهيضنا وعدلتَ فينا ... فعاش البائس الكلُّ الكسير[2]
فأنت الغيثُ قد علمتْ قريش ... لنا ، والواكفُ الجون المطير[3]

قال : فأمر له بخمسة آلاف درهم ورضيَ عنه ، فقال ابن الزبير :

---

(١) النوافل : جمع نافلة ، وهي العطية .

(٢) هاض العظم : كسره بعد الجبور أو بعد ما كاد ينجبر فهو مهيض . الكل : من كان عيالا وثقلاً على صاحبه .

(٣) وكف الماء : سال . الجون : يطلق على الاسود والابيض ، وهو هنا الاسود اي السحاب الكثيف المتراكم .

لبشر بن مروانٍ على الناس نعمة ... تروح وتغدو لا يطاق ثوابُها
به أمّن الله النفوس من الردى ... وكانت بحال لا يقرّ ذبابها [١]
دمغتَ ذوي الاضغان يا بشر عنوةً ... بسيفك حتى ذلّ منها صِعابها [٢]
وكنت لنا كهفاً وحصناً ومَعقلاً ... اذا الفتنة الصماء طارت عُقابها [٣]
وكم لك يا بشر بن مروان من يدٍ ... مهذّبةٍ بيضاء راسٍ ظِرابها [٤]
وطدتَ لنا دين النبيّ محمدٍ ... بحلمك إذ هرّت سفاهاً كلابها [٥]
وسُدتَ ابن مروانٍ قريشاً وغيرها ... إذا السنة الشهباء قلّ سَحابُها [٦]
رأبتَ ثآنا واصطنعتَ أياديًا ... الينا ونار الحرب ذاكٍ شِهابُها [٧]

شعره لبشر بن مروان :

قال النضر بن حديد في كتابه هذا : ودخل عبد الله بن الزبير الى بشر بن مروان متعرّضاً له ويُسمعه بيتاً من شعره فيه ، فقال له بشر : أراك متعرّضاً لأن أسمع منك ، وهل أبقى أسماء بن خارجة منك او من شعرك او من ودّك شيئاً ؟

---

(١) الذباب : الشرّ ، أي لا يسكن شرها ، والذباب ايضاً : الجنون ، أي لا يهدأ اضطرابها .

(٢) دمغت : علوت وقهرت .

(٣) الكهف : الملجأ وكذا المعقل . الفتنة الصماء : هي التي لا سبيل الى تسكينها لتناهيها في ذهابها ، لان الاصم لا يسمع الاستغاثة ولا يقلع عما يفعله . وقيل : هي كالحية الصماء التي لا تقبل الرقى.

(٤) ظراب : جمع ظرب ككتف ، وهو الجبل المنبسط .

(٥) وطّد : ثبّت . هرّ الكلب هريراً ، وهو صوته دون نباحه .

(٦) سنة شهباء : اذا كانت مجدبة بيضاء من الجدب لا يرى فيها خضرة ؛ وقيل الشهباء التي ليس فيها مطر .

(٧) الثأي كالثرى : الافساد . ذكت النار : اشتد لهبها . والشهاب : شعلة من نار ساطعة .

لقد نزحتَ فيه بحوكَ يا ابن الزبير ؛ فقال : أصلح الله الأمير ؛ إن أسماء بن خارجة كان للمدح أهلاً ، وكانت له عندي أيادٍ كثيرة ، وكنتُ لمعروفه شاكراً ، وأيادي الامير عندي أجلّ ، وأملي فيه أعظم ، وإن كان قولي لا يحيط بها في فضل الامير على أوليائه ما قبل به ميسورهم ، وإن أذن لي في الإنشاد رجوتُ أن أوفق للصواب . فقال : هات ، فقال :

تداركني بشرُ بن مروان بعد ما ... تعاوتْ إلى شِلوي الذئابُ العواسلُ (١)
غياث الضعاف المُرملين وعصمة الـ ... ـيتامى ومَن تأوي اليه العباهل (٢)
قَريعُ قريشٍ والهمام الذي له ... أقرّت بنو قحطان طُراً ووائل (٣)
وقيس بن عَيلان وخِندف كلها ... أقرّت وجنّ الأرض طُراً وخابل (٤)
يداك ابن مروان يدٌ تقتل العدا ... وفي يدك الاخرى غياثٌ ونائل
إذا أمطرتنا منك يوماً سحابةٌ ... روِينا بما جادت علينا الأنامل
فلا زلت يا بشر بن مروان سيداً ... يُهلّ علينا منك طَلٌّ ووابل
فأنت المصفى يا ابن مروان والذي ... توافت اليه بالعطاء القبائل
يرُجون فضل الله عند دعائكم ... اذا جمعتكم والحجيج المنازل
ولولا بنو مروان طاشت حُلومنا ... وكنّا فراشاً أحرقتها الشعائل

شعره في أمير المؤمنين :

فأمر له بجائزة وكساه خِلعة، وقال له : إني أريد أن أوفدك على أمير المؤمنين،

(١) الشلو : الجسد . والعواسل : جمع عاسل ، عسل الذئب كفرب : اضطرب في عدوه وهز رأسه .

(٢) أرمل : نفد زاده . العباهلة : هم الذين أقروا على ملكهم لا يزالون عنه .

(٣) القريع : السيد .

(٤) الخابل : الجنّ .

فتهيأ لذلك يابن الزبير ، قال : أنا فاعل أيها الامير ، قال : فماذا تقول له إذا وفدتَ عليه ولقيته إن شاء الله . فارتجل من وقته هذه القصيدة ثم قال :

أقول : أميرَ المؤمنين عصمتنا ببشر من الدهر الكثير الزلازلِ [١]
وأطفأتَ عنا نار كل منافق بأبيض بُهلولٍ طويل الحمائل [٢]
نمته قرومٌ من أمية للعلا إذا افتخر الاقوامِ وَسط المحافل [٣]
هو القائد الميمون والعصمة التي أتى حقُّها فينا على كل باطل
أقام لنا الدين القويمَ بحلمه ورأيٍ له فضلٌ على كل قائل
أخوك أمير المؤمنين ومن به نُجادُ ونُسقى صَوبَ أسحم هاطل [٤]
إذا ما سألنا رِفده هطلت لنا سحابة كفَّيه بجودٍ ووابل [٥]
حليمٌ على الجهَّال منا ورحمةٌ على كلّ حافٍ من معدّ وناعل

فقال بشر لجلسائه : كيف تسمعون ؟ هذا والله الشعر ، وهذه القدرة عليه ! فقال له حجَّار بن أبجر العجلي ، وكان من أشراف أهل الكوفة ، وكان عظيم المنزلة عند بشر : هذا أصلح الله الأمير أشعرُ الناس وأحضرهم قولًا اذا أراد ، فقال محمد ابن عُمير بن عطارد — وكان عدوًّا لحجَّار — أيها الامير ، إنه لشاعر ، وأشعر منه الذي يقول :

---

(١) الزلازل : البلايا والشدائد .

(٢) اذا قالت العرب : فلان أبيض ، فالمعنى نقاء العرض من الدنس والعيوب ، وهو كثير في شعرهم ، لا يريدون به بياض اللون ، ولكنهم يريدون المدح بالكرم ونقاء العرض . والبهلول : السيد الجامع لكل خير . الحمائل جمع حمالة بالكسر ، وهي علاقة السيف . وطويل الحمائل كناية عن أنه طويل القامة .

(٣) يقال : نماه جده : إذا رفع اليه نسبه . وقروم جمع قرم بالفتح : وهو السيد .

(٤) الصوب : المطر ، أسحم : أي سحاب أسحم : وهو الاسود المتكاثف .

(٥) الجود : المطر الغزير ، أو ما لا مطر فوقه ، جمع جائد .

لبشر بن مروانٍ على كلّ حالة ... من الدهر فضلٌ في الرخاء وفي الجهدِ
قريع قريش والذي باع ماله ... ليكسب حمداً حين لا أحدٌ يجدي [١]
ينافس بشر في السماحة والندى ... ليحرز غاياتِ المكارم بالحمد
فكم جبرتْ كفاك يا بشرُ من فتى ... ضريكٍ ، وكم عيّلت قوماً على عمد [٢]
وصيّرت ذا فقرٍ غنياً ، ومثرياً ... فقيراً ، وكلّا قد حذوت بلا وعد [٣]

فقال بشر : من يقول هذا ؟ قال : الفرزدق ، وكان بشر مغضباً عليه ، فقال : ابعث اليه فأحضره ، فقال له : هو غائب بالبصرة ، وإنما قال هذه الابيات وبعث بها لأنشدكها ولترضى عنه ، فقال بشر : هيهات ! لست راضياً عنه حتى يأتيَني ، فكتب محمد بن عمير الى الفرزدق ، فتهيأ للقدوم على بشر ، ثم بلغه أن البصرة قد جمعتْ له مع الكوفة ، فأقام وانتظر قدومه ، فقال عبد الله بن الزبير لمحمد بن عمير في مجلسه ذاك بحضرة بشر :

بني دارمٍ هل تعرفون محمداً ... بدعوته فيكم اذا الامر حُقِّقا [٤]
وساميتمُ قوماً كراماً بجدكم ... وجاء سُكَيتاً آخر القوم مخفقا [٥]
فأصلك دُهمان بنُ نصرٍ فردَّهم ... ولا تك وَغداً في تميم معلّقا
فإن تميا لستَ منهم ولا لهم ... أخا يابن دُهمان فلا تك أحمقا
ولولا أبو مروان لاقيتَ وابلاً ... من السوط ينسيك الرّحيق المعتّقا

---

(١) أجدى : أعطى .

(٢) الضريك : الفقير السيىء الحال . عيّلهم : أهملهم .

(٣) حذوت : قدّرت .

(٤) دارم بن مالك بن حنظلة : بطن من تميم : ومحمد : هو محمد بن عمير بن عطارد بن حاجب بن زرارة التميمي سيد تميم الكوفة . والدعوة في النسب بالكسر : أن ينتسب الانسان الى غير أبيه وعشيرته .

(٥) السكيت : الذي يجيء آخر حلبة الخيل .

أحين علاك الشيبُ أصبحتَ عاهراً　　وقلت أسقني الصَّهباء صِرفاً مروّقا [1]
تركت شراب المسلمين ودينهم　　وصاحبتَ وَغداً من فزارة أزرقا [2]
تبيتان من شُرب المدامة كالذي　　أُتيح له حبلٌ فأضحى مخنَّقا

فقال بشر : أقسمتُ عليك إلّا كففتَ ، فقال : أفعلُ أصلحك الله ، والله لولا مكانك لأنفذتُ حِضنَيه [3] بالحق ، وكف ابن الزبير وأحسن بشر جائزته وكسوته ، وشمت حجَّار بن أبجر بمحمد بن عمير — وكان عدوّه — وأقبلت بنو أسد على ابن الزبير فقالوا : عليك غضب الله ، أشمتَّ حجَّاراً بمحمد ، والله لا نرضى عنك حتى تهجوَه هجاء يرضى به محمد بن عمير عنك ، أو لست تعلم أن الفرزدق أشعرُ العرب ؟ قال : بلى ، ولكن محمداً ظلمني وتعرّض لي ، ولم أكن لأحلم عنه اذا فعل ، فلم تزل به بنو أسد حتى هجا حجَّاراً ، فقال :

سليل النصارى سُدتَ عِجلاً ولم تكن　　لذلك أهلاً أن تسود بني عِجلِ [4]
ولكنهم كانوا لئاماً فسدتَهم　　ومثلك من ساد اللئام بلا عقل
وكيف بعجلٍ إن دنا الفصح واغتدت　　عليك بنو عجل ومرجلكم يغلي [5]
وعندك قِسّيس النصارى وصُلبها　　وعانيَّةٌ صَهباء مثل جنى النحل [6]

---

(١) الصهباء : الخمر . والصرف : الخالص ، ذكر الوصف حملاً على المعنى ، أي شراباً صرفاً مروقاً . الرحيق : الخمر او أطيبها .

(٢) أزرق ، أي أزرق العين ، أي شبيه بالروم ، وكان العرب يكرهون الروم وهم زرق العيون ، فكانت الزرقة أبغض شيء من ألوان العيون الى العرب ، وكذا قالوا في صفة العدو ، أزرق العين .

(٣) الحضن : الجنب .

(٤) بنو عجل : قبيلة من ربيعة ، وهو عجل بن لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل .

(٥) الفصح : عيد للنصارى .

(٦) صهباء : ذات صهبة بالفم : وهي حمرة او شقرة .

قال: فلما بلغ حجّاراً قوله شكاه الى بشر بن مروان، فقال له بشر: هجوت حجّاراً؟ فقال: لا والله أعزّ الله الأمير، ما هجوته، لكنه كذب عليّ، فأتاه ناس من بني عجل وتهدّدوه بالقتل، فقال فيهم:

تهدّدني عجلٌ، وما خِلتُ أنني خلاةٌ لعجلٍ والصليب لها بعلُ[١]
وما خِلتني والدهر فيه عجائبٌ أعمَّر حتى قد تهدّدني عِجل
وتوعدني بالقتل منهم عصابةٌ وليس لهم في العزّ فرعٌ ولا أصل
وعجلٌ أسود في الرخاء، ثعالبٌ اذا التقت الابطال واختلف النّبل
فإن تلقنا عِجل هناك فما لنا ولا لهمُ مِ الموتِ منجىً ولا وَعل[٢]

منعه عبد الرحمن من الخروج الى الشام:

وقال النضر في كتابه: لما منع عبد الرحمن بن أم الحكم عبد الله بن الزبير الخروج الى الشام، وأراد حبسه، لجأ الى سُوَيد بن مَنجوف، واستجار به، فأخرجه مع بني شيبان من بلادهم، وأجازه[٣] عمل ابن أم الحكم، فقال يمدحه:

أليس ورائي إن بلادٌ تجهّمتْ سويدُ بن منجوفٍ وبكر بن وائلِ[٤]
حصونٌ براها الله لم يُرَ مثلها طِوالٌ أعاليها شِداد الأسافل
هم أصبحوا كنزي الذي لست تاركاً ونَبلي التي أعددتها للمناضل

(١) الخلي: الرطب من النبات واحدته خلاة، وقيل: الخلاة كل بقلة قلعتها، والبعل من النخل: ما شرب بعروقه من غير سقي ولا ماء سماء.

(٢) الوعل: الملجأ.

(٣) أي يسر له أن يجتاز حدود ولايته.

(٤) تجهمه وتجهم له: استقبله بوجه كريه.

وقال أيضاً في هذا الكتاب : جاء عبد الله بن الزبير يوماً الى بشر بن مروان، فحجبه حاجبه ، وجاء حجّار بن أبجر فأذن له ، وانصرف ابن الزبير يومئذٍ ، ثم عاد بعد ذلك الى بشر وهو جالس جلوساً ، فدخل اليه ، فلمّا مثل بين يديه أنشأ يقول :

ألم ترَ ان الله أعطى فخصّنا ... بأبيض قَرمٍ من أمية أزهرا
طَلوع ثنايا المجد ، سامٍ بطرفه ... إذا سُئل المعروف ليس بأوعرا [١]
فلولا أبو مروان بشرٌ لقد غدت ... ركابيَ في فَيف من الارض أغبرا [٢]
سِراعاً الى عبد العزيز دوائباً ... تخلّل زَيتوناً بمصر وعرعرا [٣]
وحاربتُ في الاسلام بكر بن وائل ... كحرب كليب أو أمر وأمقرا [٤]
إذا قادت الإسلام بكر بن وائلٍ ... فهبْ ذاك ديناً قد تغيّر مُهترا [٥]
بأيّ بلاءٍ أم بأيّ نصيحةٍ ... تُقدّم حَجّاراً أمامي ابن أبجرا
وما زلت مذ فارقت عثمان صادياً ... ومروان مُلتاحاً عن الماء أزورا [٦]
ألا ليتني قُدّمت والله قبلهم ... وأن أخي مروان كان المؤخرا
بهم جُمع الشمل الشّتيت، وأصلح الـ ... إله ، وداوى الصّدع حتى تجبّرا

---

(١) ثنايا : جمع ثنية ، وهو الطريق في الجبل .

(٢) الفيف : المفازة كالفيفاة والفيفاء .

(٣) هو عبد العزيز بن مروان أخو بشر ، وكان والياً على مصر . العرعر : شجر السرو .

(٤) بكر بن وائل : تقدم أن حجار بن أبجر من بني عجل وهم من بكر بن وائل . وكليب : هو كليب بن ربيعة الذي قتله جساس بن مرة ، ونشبت بقتله حرب البسوس المشهورة بين بكر وتغلب . أمقر : أمر .

(٥) هب : عدّ ، أهتر الرجل وأهتر بالبناء للمجهول : ذهب عقله من كبر أو مرض او حزن فهو مهتر ، ورجل مهتر : مخطئ في كلامه ، والمعنى : فعدّه ديناً فاسداً غير قويم .

(٦) الصادي : العطشان . الملتاح : المتغير . أزور : مائل ، من الزور بالتحريك ، وهو الميل . وعن الماء متعلق به .

قضى الله : لا ينفكّ منهم خليفةٌ كريم يسوس الناس يركب منبرا

فاعتذر اليه بشرٌ ووصله وحمله ، وأنكر على حاجبه ما تشكّاه ، وأمر أن يأذن له عند إذنه لأخصّ أهله وأوليائه .

وقال النضر في كتابه هذا : كان الزبير بن الأشيم – أبو عبد الله بن الزبير – شاعراً ، وكان لعبد الله بن الزبير ابن يقال له الزبير شاعر ، فأما أبوه الزبير بن الأشيم فهو الذي يقول :

ألا يا لقومي للرّقاد المؤرّقِ وللرَّبع – بعد الغبطة[1] – المتفرّقِ
وهمّ الفتى بالأمر من دون نَيله مراتب صعباتٌ على كلّ مُرتقي
ويوم بصحراء البديدَين قِلته بمنزلة النعمان وابن محرق
وذلك عيش قد مضى كان بعده أمورٌ أشابت كلَّ شأن ومفرقِ[2]
وغيّر ما استنكرت يا أم واصلٍ حوادثُ إلّا تكسر العظم تعرق[3]
فراقُ حبيبٍ أو تغيُّر حالةٍ من الدهر أو رامٍ لشخصي مُفوّق
على أنني جَلدٌ صبورٌ مرزّأ وهل تترك الأيام شيئاً لمشفق ؟

وأمّا ابنه الزبير بن عبد الله بن الزبير ، فهو القائل يمدح محمد بن عيينة بن أسماء بن خارجة الفزاريّ .

قالت عبيدةُ مَوهناً أين اعتراك الهمُّ أينَهْ[4]

---

(١) الغبطة : حسن الحال والمسرة .

(٢) الشأن : موصل قبائل الرأس .

(٣) عرق العظم كنصر : أكل ما عليه من اللحم .

(٤) الموهن : نحو من نصف الليل أو بعد ساعة منه .

هل تبلغنّ بك المنى ما كنت تأمل في عُيينه
بدرٌ له الشِيم الكرا ئم كاملاتٌ فاعتلينـه
والجوع يَقتله النـدى منه اذا قَحطٌ ترينـه
فهناك يَحمـده الورى أخلاق غيركم اشتكينه

قال : وهو القائل في بعض بني عمه .

ومولى كداء البطن أو فوق دائه يزيد موالي الصدق خيراً وينقصُ [١]
تلوّمتُ أرجو أن يثوب فيرعَوي به الحلم حتى استيأسَ المترّبص [٢]

هروبه الى معاوية :

وقال النضر في كتابه هذا : لما هرب ابن الزبير من عبد الرحمن بن أم الحكم الى معاوية ، أحرق عبد الرحمن داره ، فتظلّم منه وقال : أحرق لي داراً قد قامت عليّ بمائة ألف درهم ، فقال معاوية : ما أعلم بالكوفة داراً أنفق عليها هذا القدر ، فمن يعرف صحة ما ادعيت ؟ قال : هذا المنذر بن الجارود حاضر ويعلم ذلك ، فقال معاوية للمنذر : ما عندك في هذا ؟ قال : إني لم آبه [٣] لنفقته على داره ومبلغها ، ولكني لما دخلت الكوفة وأردتُ الخروج عنهـا ، أعطاني عشرين ألف درهم وسألني أن أبتاع له بها ساجاً من البصرة ، ففعلت ، فقال معاوية : إن داراً اشترى لها ساج بعشرين ألف درهم لحقيق أن يكون سائر نفقتها مائة ألف درهم ! وأمر له بها ، فلما خرجا أقبل معاوية عـلى جلسائه ، ثم قال لهم : أيّ الشيخين عندكم أكذب ؟ والله إني لأعرف داره ، وما هي إلّا خصاص قصب ، ولكنهم يقولون فنسمع ، ويخادعوننا فننخدع ، فجعلوا يعجبون منه .

(١) المولى : ابن العم . يقول : إن موالي الصدق يزيدون خيراً وهو ينقص .
(٢) تلوّم في الامر : تمكث وانتظر كتربص . ينوب : يرجع . واستيأس : يئس .
(٣) أي لم أحفل .

مدحه ابراهيم بن الأشتر :

أخبرني الحسن بن علي ومحمد بن يحيي قالا : حدثنا محمد بن زكريا الغلابي عن عبد الله بن الضحاك ، عن الهيثم بن عديّ قال : أتى عبد الله بن الزبير إبراهيم ابن الأشتر النَّخعي فقال له : إني قد مدحتك بأبيات فاسمعهنّ ، فقال : إني لست أعطي الشعراء ، فقال : اسمعها مني وترى رأيك ، فقال : هات إذاً ، فأنشده قوله :

الله أعطاك المهابـة والتُّقى ... وأحلَّ بيتك في العديد الأكثرِ
وأقرّ عينك يوم وقعةِ خازرٍ ... والخيل تعثر بالقنا المتكسِّر [1]
إني مدحتك إذ نبا بي منزلي ... وذممتُ إخوان الغنى مِن مَعشر
وعرفتُ أنك لا تخيِّب مِدحتي ... ومتى أكن بسبيل خيرٍ أشكر
فهلمّ نحوي من يمينك نفحةً ... إن الزمان ألحّ يابن الأشتر

فقال : كم ترجو أن أعطيَك ؟ فقال : ألف درهم أصلح بها أمر نفسي وعيالي ، فأمر له بعشرين ألف درهم :

صوت

ما هاج شوقك من بكاء حَمامةٍ ... تَدعو الى فنن الأراك حَمـاما [2]
تدعو أخـا فرخين صادف ضارياً ... ذا مِخلبين من الصقور قطـاما [3]
إلا تذكُّرك الأوانس بعـد ما ... قطـع المطيُّ سباسباً وهُياما [4]

الشعر لثابت قُطنة ؛ وقيل إنه لكعب الأشقري ، والصحيح أنه لثابت ، والغناء ليحيى المكي ، خفيف ثقيل أوّل بالبنصر ، من رواية ابنه والهشامي أيضاً .

---

(١) خازر : نهر بين إربل والموصل .

(٢) الفنن : الغصن .

(٣) صقر قطام بفتح القاف وقطاميّ بفتحها وضمها : لحم .

(٤) سباسب : جمع سبسب كجعفر ، وهي الفلاة .

أخبار ثابت قطنة ونسبه

هو ثابت بن كعب، وقيل ابن عبد الرحمن بن كعب، ويكنى أبا العلاء، أخو بني أسد بن الحارث بن العتيك[1]، وقيل: بل هو مولى لهم، ولقب قطنة لأن سهماً أصابه في إحدى عينيه فذهب بها في بعض حروب الترك، فكان يجعل عليها قطنة، وهو شاعر فارس شجاع من شعراء الدولة الاموية، وكان في صحابة يزيد[2] بن المهلّب، وكان يولّيه أعمالًا من أعمال الثغور، فيحمد فيها مكانه لكفايته وشجاعته.

فأخبرني إبراهيم بن أَيوب قال: حدثنا عبد الله بن مُسلم بن قُتَيبة، وأخبرني علي بن سليمان الاخفش قال: حدثنا محمد بن يزيد قال: كان ثابت قطنة قد ولي عملًا من أعمال خراسان، فلما صعد المنبر يوم الجمعة رام الكلام، فتعذّر عليه وحصر، فقال: (سيجعل الله بعد عُسرٍ يُسراً)، وبعد عِيٍّ بياناً، وأنتم الى أمير فعّال، أحوج منكم الى أميرٍ قوّال:

وإلا أكن فيكم خطيباً فإنني ... بسيفي إذا جدّ الوغى لخطيبُ

فبلغت كلماته خالد بن صَفوان — ويقال الأحنف بن قيس — فقال: والله ما علا ذلك المنبر أخطب منه في كلماته هذه، ولو أن كلاماً استخفّني، فأخرجني

---

(١) العتيك كأمير: فخذ من الأزد، وهو العتيك بن الأزد.

(٢) ولي خراسان بعد وفاة أبيه المهلب بن أبي صفرة سنة ٧٢ في خلافة عبد الملك بن مروان، وعزل عنها سنة ٨٦، ولما ولي الخلافة سليمان بن عبد الملك سنة ٩٦ ولاه أمر العراق، ثم ولاه خراسان سنة ٩٧.

من بلادي الى قائله استحساناً له، لأخرجتني هذه الكلمات الى قائلها، وهذا الكلام بخالد بن صفوان أشبه منه بالاحنف.

صلاته الجمعة بالناس:

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال: حدثني أحمد بن زهير بن حرب، عن دعبل بن علي، قال: كان يزيد بن المهلّب تقدّم[1] الى ثابت قطنة في أن يصلّي بالناس يوم الجمعة، فلما صعد المنبر ولم يُطِق الكلام، قال حاجب الفيل يهجوه:

أبا العلاء لقد لُقِّيتَ معضلةً يوم العروبة من كربٍ وتخنيقِ[2]
أمّا القران فلم تخلق لمحكمه ولم تسدّد من الدنيا لتوفيق[3]
لما رمتك عيون الناس هِبتهم فكدتَ تشرَق لما قمتَ بالرّيق
تلوي اللسان وقد رُمتَ الكلام به كما هوى زلقٌ من شاهق النيق[4]

أخبرني عمي قال: حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال: حدثني علي بن الصباح قال: كان سبب هجاء حاجب بن ذبيان المازني – وهو حاجب الفيل، والفيل لقب لقبه به ثابت قطنة وكعب الاشقري – أن حاجباً دخل على يزيد بن المهلب، فلما مثل بين يديه أنشده:

اليك امتطيتُ العيسَ تسعينَ ليلة أرجّي ندى كفّيك يابن المهلّبِ[5]

---

(١) تقدّم اليه في كذا: أمره به.

(٢) يوم العروبة: يوم الجمعة.

(٣) القران: مسهل عن القرآن.

(٤) النيق: أرفع موضع في الجبل.

(٥) العيس: الابل البيض يخالط بياضها شقرة.

وأنت امرؤٌ جادت سماءُ يمينه ... على كل حيّ بين شرق ومغربِ
فجُد لي بطِرفٍ أعوجيٍّ مشهَّرٍ ... سليم الشظا عبل القوائم سَلهبِ ١
سبوحٍ طموحِ الطَّرف يستنُّ مِرجم ... أُمِرَّ كإمرار الرِّشاء المشذَّبِ ٢
طوى الضُّمرُ منه البطن حتى كأنه ... عقاب تدلّت من شماريخ كبكب ٣
تُبادر جُنحَ الليل فَرخين أقويا ... من الزاد في قفرٍ من الارض مجدِبِ ٤
فلمّا رأت صيداً تدلّت كأنها ... دلاةٌ تهاوى مَرقباً بعد مَرقب ٥
فشكّت سواد القلب من ذئب قفرةٍ ... طويل القرى عاري العظام معصَّب ٦
وسابغةٍ قد أتقن القين صنعها ... وأسمر خطّيٍّ طويلٍ مُحرَّب ٧
وأبيض من ماء الحديد كأنه ... شهابٌ متى يَلقَ الضَّريبة يَقضب ٨

---

(١) الطرف : الكريم من الخيل . أعوجيّ : نسبة الى أعوج ، وأعوج : فرس كريم سابق كان لبني هلال ، ركب صغيراً فاعوجت قوائمه ، واليه تنسب الخيل الكرام ، فيقال : الخيل الاعوجية . مشهر ومشهور : معروف المكان مذكور . والشظا : عظم لاصق بالركبة . عبل : ضخم ؛ والسلهب من الخيل : ما عظم وطالت عظامه . المنهب : الفائق في العدو .

(٢) فرس سبوح : يسبح بيديه في سيره . استن الفرس في المضمار : اذا جرى في نشاطه على سننه في جهة واحدة . وفرس مرجم : يرجم الارض بحوافره . أمر الحبل إمراراً : أحكم فتله . الرشاء : الحبل .

(٣) كبكب : جبل بعرفات ، شماريخ : جمع شمراخ ، وهو رأس الجبل .

(٤) جنح الليل : أي في جنح الليل وهو الطائفة منه . أقوى : افتقر (واستغنى أيضاً ، ضد) .

(٥) الدلاة : الدلو . تهاوى : تساقط . المرقب : الموضع المشرف يرتفع عليه الرقيب .

(٦) سواد القلب : حبته . القرا : الظهر . المعصب : الجائع .

(٧) وسابغة : معطوف على «طرف» أي بدرع سابغة وهي التامة الطويلة . القين : الحدّاد . والاسمر : الرمح . والخطي : نسبة الى الخط ، مرفأ السفن بالبحرين ، وكانت تباع به الرماح . حرب السنان : حدده .

(٨) أبيض ، أي وسيف أبيض . والشهاب : شعلة من نار ساطعة . والضريبة : ما يضرب . يقضب : يقطع .

وقل لي اذا ما شئت في حومة الوغى تقدَّم أو اركب حومة الموت أركبِ
فإني أمرؤٌ من عُصبةٍ مازِنيَّةٍ غاني أبٌ ضخمٌ كريمُ المركَّب

قال : فأمر له يزيد بدرع وسيف ورمح وفرس ، وقال له : قد عرفتَ ما شرطتَ لنا على نفسك ؟ فقال : أصلح الله الامير ، حجَّتي بيِّنة ، وهي قول الله عزّ وجل : (والشعراء يتَّبعهم الغاوون . ألم ترَ أنَّهم في كلّ وادٍ يهيمون . وأنهم يقولون ما لا يفعلون) . فقال له ثابت قطنة : ما أعجبَ ما وَفدتَ به من بلدك في تسعين ليلة ! مدحتَ الامير ببيتين ، وسألته حوائجك في عشرة أبيات ، وختمت شعرَك ببيت تفخر عليه فيه ، حتى إذا اعطاك ما أردتَ حِدتَ عمّا شرطتَ له على نفسك فأكذبتها كأنك كنت تخدعه ، فقال له يزيد : مَـه يا ثابت ، فإنّا لا نُخدع ، ولكنا نتخادع ، وسوَّغه[١] ما أعطاه ، وأمر له بألفي درهم . ولجّ حاجب يهجو ثابتاً فقال فيه :

لا يعرفُ الناسُ منه غير قُطنتِه وما سواها من الانساب مجهولُ

قال : ودخل حاجب يوماً على يزيد بن المهلّب ، وعنده ثابتُ قطنـة وكعب الاشقريّ — وكانا لا يفارقان مجلسه — فوقف بين يديه فقال له : تكلم يا حاجب ، فقال : يأذن لي الامير أن أُنشده أبياتاً ، قال : لا حتى تبدأ فتسأل حاجتك ، قال أيها الامير ، إنه ليس أحـد ولو أطنب في وصفك موفّيك حقك ، ولكنّ المجتهد محسن ، فلا تهجني بمنع الإنشاد ، وتأذن لي فيـه ، فاذا سمعتَ فجودك أوسع من مسألتي . فقال له يزيد : هات ، فما زلتَ مُجيداً محسناً مجمِـلا . فأنشده :

كم من كميّ في الهياج تركته يَهوي لِفيه مُجـدَّلا مقتولا[٢]

---

(١) سوّغه ما أعطاه : تركه له خالصاً .

(٢) الكمي : الشجاع المتكمي في سلاحه ، المتغطي به . جدّله : صرعه .

جللتَ مفرق رأسه ذا رونق عضبَ المهزّة صارماً مصقولا[١]
قُدتَ الجياد وأنت غرٌ يافعٌ حتى أكتهلتَ ولم تزل مأمولا
كم قد حربتَ وقد جبرت معاشراً وكم امتننت وكم شفيت غليلا[٢]

فقال له يزيد : سَل حاجتك ، فقال : ما على الامير بها خفاء ، فقال : قل ، قال : إذاً لا أقصر ولا أستعظم عظيماً أسأله الاميرَ أعزّه الله مع عظم قدره ، قال : أجل ، فقل يُفعل ، فلستَ بما تصير اليه أغبطَ منا ، قال : تحملني وتُخدمني[٣] وتجزل جائزتي ، فأمر بخمسة تخوتٍ[٤] ثيابٍ وغلامين وجاريتين وفرس وبغل وبِرذون وخمسة آلاف درهم ، فقال حاجب :

شِم الغيثَ وانظر وَيك أين تبعجتْ كلاه تجدْها في يدِ ابن المهلّبِ[٥]
يداه يدٌ يُجزى بها الله من عصى وفي يدِهِ الاخرى حياةُ المعصب[٦]

قال : فحسده ثابتُ قُطنة وقال : والله لو على قدر شِعرك أعطاك لما خرجت بملء كفك نوًى ، ولكنه اعطاك على قدره ، وقام مغضباً ، وقال لحاجب يزيد بن المهلب : إنما فعل الامير هذا ليضع منّا بإجزاله العطية لمثل هذا ، وإلا فلو أنا اجتهدنا في مديحه ما زادنا على هذا ، وقال ثابت قطنة يهجو حاجباً حينئذٍ :

---

(١) جللت . . . : أي علوته بسيف ذي رونق قاطع .

(٢) حربه يحربه حرباً ، كطلبه يطلبه طلباً : أخذ ماله وتركه بلا شيء .

(٣) أخدمه : أعطاه خادماً يخدمه .

(٤) تخوت : جمع تخت ، وهو وعاء تصان فيه الثياب .

(٥) شام البرق : نظر اليه أين يمطر . ويك : وي اسم فعل بمعنى أعجب ، والكاف للخطاب أو أوصله ويلك وحذفت اللام لكثرة الاستعمال . تبعج السحاب بالمطر : انفرج عن الوبل الشديد ، وكلية السحاب : أسفله ، والجمع كلى .

(٦) المعصب : الذي عصبته السنون أي اكلت ماله ، والذي يتعصب بالخرق من الجوع .

أحاجبُ لولا أنّ أصلك زَيفٌ وأنك مطبوعٌ على اللؤم والكفرِ
وأنّي لو أكثرتُ فيـك مقصرٌ رميتك رمياً لا يبيد يـدَ الدهر ١
فقل لي ولا تكذب فإني عـالمٌ بمثلكَ هل في مازنٍ لك من ظَهر ؟ ٢
فإنك منهم غيرَ شكٍ ولم يكن أبوكَ من الغرّ الجحاجحة الزُّهـر ٣
أبوكَ ديافيٌ وأُمــكَ حُرةٌ ولكنها لا شكّ وافيةُ البظر ٤
فلست بهاج بن ذُبيان إنـني سأُكرم نفسي عن سباب ذوي الُهجر ٥

هجاء حاجب له :

فقال حاجب : والله لا أرضى بهجاء ثابتٍ وحده ، ولا بهجاء الأزْد كلها ، ولا أرضى حتى أهجو اليمن طُراً ؛ فقال يهجوهم :

دعـوني وقحطاناً وقولوا لثابت تنحّ ولا تقرَب مُصاولة البُزّلِ ٦
فللزِنج خيرٌ حـين تُنسب والداً من ابناء قحطان العفاشلة الغرل ٧
أناسٌ اذا الهيجـاء شبت رأيتهم أذلّ على وطء الهوان من النعل ٨

---

(١) يد الدهر : مد زمانه .

(٢) من ظهر : أي من أنصار وقوة .

(٣) الجحجح كجعفر : السيد كالجحجاح . والجمع جحاجح وجحاجحة .

(٤) دياف : من قرى الشام ، وقيل من قرى الجزيرة . وأهلها نبط ، واذا عرضوا برجل أنه نبطي نسبوه اليها .

(٥) الهجر : القبيح من الكلام .

(٦) البزل جمع بازل : وهو الرجل الكامل في تجربته .

(٧) العفاشلة جمع عفشل كجعفر : وهو الثقيل الوخم . والتنبل : الرجل القصير . والغرل : جمع أغرل ، وهو الذي لم يختن .

(٨) الهيجاء : الحرب .

نساؤهم فوضى لمن كان عاهراً وجيرانهم نهبُ الفوارس والرَّجلِ

شعره عن نفسه :

أخبرني وكيع قال : حدّثنا أحمد بن زهير قال : وحدثني دِعبل قال : بلغني أن ثابت قطنة قال هذا البيت في نفسه وخطر بباله يوماً فقال :

لا يعرف الناسُ منه غير قطنته وما سواها من الانساب مجهولُ

وقال هذا بيت سوف أهجى به أو بمعناه ، وأنشده جماعة من أصحابه وأهل الرواية وقال : اشهدوا أني قائله ، فقالوا : ويحك ما أردت إلا أن تهجو نفسك به ، ولو بالغ عدُوك ما زاد على هذا . فقال : لا بدّ من ان يقع على خاطر غيري ، فأكون قد سبقته اليه ، فقالوا له : أما هذا فشر قد تعجلته ، ولعله لا يقع لغيرك ، فلما هجاه به حاجب الفيل استشهدهم على أنه هو قائله ، فشهدوا على ذلك ، فقال يردّ على حاجب :

هيهات ذلك بيتٌ قد سُبقت به فاطلب له ثانياً يا حاجب الفيلِ

أخبرني أحمد بن عثمان العسكري المؤدّب قال : حدثنا الحسن بنُ عُليل العنزي قال : حدثنا قُعنب بن المحرز الباهلي عن أبي عبيدة قال : كان ثابت قطنة قد جالس قوماً من الشراة[1] وقوماً من المرجئة[2] كانوا يجتمعون فيتجادلون بخراسان ، فمال الى قول المرجئة وأحبه ، فلما اجتمعوا بعد ذلك أنشدهم قصيدةً قالها في الارجاء .

---

(١) يسمي الخوارج أنفسهم « الشراة » ، جمع شار كقاض وقضاة ، من شرى كرمى بمعنى باع ، لقولهم : شرينا أنفسنا في طاعة الله أي بعناها ووهبناها .

(٢) المرجئة : فرقة من الفرق الاسلامية ؛ والإرجاء على معنيين : أحدهما التأخير ، من أرجأه إذا أخره .

يا هندُ إني أظن العيشَ قد نفدا ولا أرى الامر إلا مُدبِرا نكدا [١]
إني رهينة يومٍ لستُ سابقه إلا يكن يومُنا هذا قد أفدا [٢]
بايعتُ ربي بيعاً إن وفيتُ به جاورتُ قتلى كِراماً جاوروا أُحدا [٣]
يا هندُ فاستمعي لي إنّ سيرتنا أن نعبد الله لم نشرك به أحدا
نُرجي الامور إذا كانت مشبهة ونَصدُق القول فيمن جار أو عندا [٤]
المسلمون على الاسلام كلهم والمشركون أشتوا دينهم قِددا [٥]
ولا أرى أن ذنباً بالغٌ احداً مِ الناسِ شركا اذا ما وحدوا الصمدا [٦]
لا نسفك الدمَ إلا أن يراد بنا سفكُ الدماء طريقاً واحداً جددا [٧]
من يتق الله في الدنيا فإنّ له أجر التقي اذا وفى الحساب غدا
وما قضى الله من أمرٍ فليس له ردٌّ، وما يقضِ من شيء يكن رَشدا
كلّ الخوارج مُخطٍ في مقالته ولو تعبد فيا قالَ واجتهدا
أما عليٌّ وعثمانٌ فإنهما عبدان لم يُشركا بالله مذ عبدا
وكان بينهما شغب وقد شهدا شقّ العصا، وبعين الله ما شهدا [٨]

---

(١) نفد : فني .

(٢) أفد : دنا وأزف .

(٣) أحد : جبل بالمدينة كانت عنده غزوة أحد المشهورة .

(٤) عند عن طريق عنودا : مال .

(٥) اشتوا : فرقوا . وقدداً ، أي فرقاً مختلفة أهواؤها جمع قدة بالكسر .

(٦) بالغ أحداً ، أي بالغ من أحد .

(٧) طريق جدد : مستوٍ .

(٨) الشغب : وهو تهييج الشر . والشعب : الصدع والتفرّق . ويقال : شقوا عصا المسلمين : أي شقوا اجتماعهم وائتلافهم .

يُجزى علـيٌّ وعثمانٌ بسعيهما ولستُ ادري بحقٍّ أيةً وَرَدا
الله يعلم ماذا يحضران بـه وكلُّ عبـد سيلقى الله منفردا

قال أبو الفرج : ونسخت من كتاب بخط المُرهبي الكوفي في شعر ثابت قطنة ، قال : لما ولي سعيد بن عبد العزيز بن الحارث بن الحكم بن أبي العاص بن أمية خراسان بعد عزل عبد الرحمن بن نُعيم . جلس يعرض الناس وعنده حميد الرُّؤاسي وعُبادة المحاربي ، فلما دُعي بثابت قطنة تقدّم ، وكان تامّ السلاح ، جواد الفرس ، فارساً من الفرسان ، فسأل عنه ، فقيل : هذا ثابت قطنة ، وهو احد فرسان الثغور ، فأمضاه وأجاز على اسمه ، فلما انصرف قال له حميد وعبادة : هـذا أصلحك الله الذي يقول :

إنا لضرّابون في حَمَس الوغى رأس الخليفة إن أراد صدودا [1]

فقال سعيد : عليّ به ، فردّوه وهو يريد قتله ، فلما أتاه قال له : أنت القائل :

إنا لضرّابون في حَمَس الوغى

قال : نعم ، انا القائل :

إنا لضرّابون في حَمَس الوغى رأس المتوّج إن اراد صُدودا
عن طاعة الرحمن أو خلفائـه إن رام إفساداً وكرّ عُنـودا

فقال له سعيد : أولى لك ، لولا أنك خرجتَ منهـا لضربتُ عنقك ، قال : وبلغ ثابتاً ما قاله حُميد وعبادة ، فأتاه عبادة معتذراً ، فقال له : قد قبلت عذرك ، ولم يأته حميد ، فقال ثابت يهجوه :

وما كان الُجنيد ولا أخوه حميدٌ من رؤوس في المعالي

---

(١) حمس الامر كفرح حمساً : اشتد .

فإن يك دغفلٌ أمسى رهيناً وزيدٌ والمقيم الى زوالِ [1]
فعندكم ابن بشرٍ فاسألوه بمرو الرُّوذِ يصدُق في المقال [2]
ويخبر أنه عبدٌ زنيمٌ لئيم الجدِّ من عمٍّ وخال [3]

قال واجتاز ثابت قطنة في بعض اسفاره بمدينةٍ كان اميرُها محمد بن مالك بن بدر الهمداني ثم الخيواني ، وكان يُغمز في نسبه ، وخطب الى قوم من كندة فردّوه ، فعرف خبر ثابت في نزوله ، فلم يكرمه ، ولا أمر له بقرًى ، ولا تفقده بنزلٍ [4] ولا غيره ، فلما رحل عنه قال يهجوه ويعيّره برد من خطب اليه :

لو أنّ بكيلًا همُ قومهُ وكان أبوه أبا العاقبِ [5]
لأكرمنا إذ مررنا به كرامة ذي الحسب الثاقب
ولكنّ خيوانَ هم قومُه فبئس هم القوم للصّاحب
وأنت سنيدٌ بهم مُلصق كما ألصقتْ رُقعة الشاعب [6]
وحسبك حسبك عند الثّنا بأفعال كندة من عائب [7]
خطبتَ فجازوك لما خطبتَ جزاء يسارٍ من الكاعب [8]

---

(١) زيد : هو زيد بن الكيس النمري من ولد عوف بن سعد بن الخزرج بن تيم الله بن النمر ابن قاسط .

(٢) مرو الروذ : مدينة بخراسان ، مات بها المهلب بن أبي صفرة .

(٣) الزنيم : الدعيّ . واللئيم : المعروف بلؤمه وشره .

(٤) النزل كعنق وقفل : ما هيء للضيف أن ينزل عليه .

(٥) بكيل : حيّ من همدان ، هم بنو بكيل بن جشم بن خيوان بن نوف بن همدان : والعاقب : الذي يخلف السيد .

(٦) السنيد : الدعيّ ، شعب صدع الاناء كمنع : أصلحه ولأمه .

(٧) الثنا : ما أخبرت به عن الرجل من حسن أو سيء يقال فلان حسن الثنا ، وقبيح الثنا .

(٨) من أمثالهم : لقي ما لاقى يسار الكواعب ، والكاعب : الجارية التي كعب ثدياها أي نهدا ، ويسار : عبد أسود دميم ، وكان يقال له يسار الكواعب لان النساء إذا رأينه ضحكن منه لقبحه .

كذبتَ فزيّفتَ عقدَ النكاحِ   لِمَتِّكَ بالنسبِ الكاذبِ[1]
فلا تخطبن بعدها حُرّةً   فتثنى بوسمٍ على الشاربِ[2]

هجاؤه لقتيبة ابن مسلم :

قال أبو الفرج : ونسخت من هذا الكتاب قال : كان لثابت قطنة راوية يقال له النضر ، فهجا ثابت قطنة قتيبةَ بن مسلم وقومه ، وعيّرهم بهزيمةٍ انهزموها عن الترك ، فقال :

توافتْ تميمٌ في الطعان وعرّدت   بُهيلة لمّا عاينت معشراً غُلبا[3]
كُماة كفاة يرهَب الناس حدّهم   إذا ما مشوا في الحرب تحسبهم نُكبا[4]
تُسامون كعباً في العلا وكلابَها   وهيهات أن تلقوا كلاباً ولا كعبا

قال : فأفشى عليه راويته ما قاله ، فقال ثابت فيه وقد كان استكتمه هذه الأبيات :

يا ليت لي بأخي نضرٍ أخا ثقةٍ   لا أرهب الشرَّ منه غاب أم شهدا
اصبحتُ منك على أسباب مهلكة   وزلةٍ خائفاً منك الردى أبدا
ما كنتَ إلا كذئب السوء عارضهُ   أخوه يدمى ففرّى جلدَه قِددا

---

(١) المت : التوسل بقرابة .

(٢) تثنى : ترد . والوسم : أثر الكيّ .

(٣) عرّدت : هربت . بهيلة : تصغير باهلة ؛ قوم قتيبة تصغير ترخيم . غلب : جمع أغلب ، وهو الغليظ الرقبة .

(٤) نكبا : جمع نكباء وهي كل ريح من الرياح الاربع ، انحرفت ووقعت بين ريحين .

أو كابن آدم خلّى عن أخيه وقد أدمى حشاه ولم يبسط اليه يدا [١]
أهم بالصرف أحياناً فيمنعني حياً ربيعة والعقد الذي عقدا

رثاؤه المفضل بن المهلب :

ونسخت منه أيضاً قال : لما قتل المفضل [٢] بن المهلب دخل ثابت قطنة على هند بنت المهلب ، والناس حولها جلوس يعزّونها ، فأنشدها :

يا هند كيف بنصب بات يبكيني وعائر في سواد الليل يؤذيني [٣]
كأنّ ليليَ والأصداء هاجدةٌ ليلُ السَّليم ، وأعيا من يُداويني [٤]
لمأ حنى الدهر من قوسي وعذّرني شيبي وقاسيت أمر الغلظ واللين [٥]
إذا ذكرتُ أبا غسان أرّقني همٌّ إذا عرّس السّارون يُشجيني [٦]
كان المفضّل عِزّاً في ذوي يمن وعصمةً وثمالاً للمساكين [٧]

(١) يشير الى ابني آدم قابيل وهابيل ، إذ قربا قرباناً الى الله وهو زرع لقابيل وكبش لهابيل ، فتقبل من هابيل ، فنزلت نار من السماء فأكلت قربانه ولم يتقبل من قابيل ، فغضب وقتل أخاه .

(٢) بعد هزيمة يزيد بن المهلب وقتله – كما سيأتي بعد – اجتمع آل المهلب بالبصرة وأمّروا عليهم المفضل بن المهلب ، وخرجوا الى كرمان ، وبكرمان فلول كثيرة ، وبعث مسلمة بن عبد الملك في طلبهم ، وقد اجتمعت الفلول الى المفضل بفارس ، فأدركوهم في عقبة واشتدّ قتالهم إياه ، فقتل المفضل وجماعة من خواصه ، وقتل آل المهلب عن آخرهم إلا أبا عيينة بن المهلب وعثمان بن المفضل ، فإنهما نجوا فلحقا برتبيل ملك الترك .

(٣) النصب : الداء والبلاء . والعائر : كل ما أعل العين ، والرمد ، والقذى كالعوّار .

(٤) الاصداء : جمع صدى ، وهو الصوت . الهجود : النوم . السليم : الملدوغ . أعيا : أعجز .

(٥) عذّرني : من عذر الدار : طمس آثارها ، والمعنى : هدّني وهدمني . والغلظ بفتح اللام وخفف هنا بتسكينها للشعر .

(٦) عرّس القوم : نزلوا في آخر الليل للاستراحة . سرى : سار ليلاً . شجاه وأشجاه : أحزنه .

(٧) الثمال : الغياث الذي يقوم بأمر قومه .

ما زلتُ بعدك في همٍّ تجيش به نفسي وفي نصب قد كاد يُبليني [١]
إني تذكَّرت قتلى لو شهدتهم في حَومة الموت لم يصلَوْا بها دوني [٢]
لا خير في العيش إن لم أجن بعدهم حرباً تُبيءُ بهم قتلي فيشفوني [٣]

فقالت له هند: اجلس يا ثابت، فقد قضيتَ الحقّ، وما من المرثية بُدٌّ، وكم من مِيتةِ ميّتٍ أشرفُ من حياةِ حَيّ، وليست المصيبة في قتل مَن استشهد ذاباً عن دينه، مطيعاً لربّه، وإنما المصيبة فيمن قلَّت بصيرتُه، وخمل ذكره بعد موته، وأرجو ألّا يكون المفضَّل عند الله خاملاً، يقال: إنه ما عُزّي يومئذٍ بأحسن من كلامها.

قال أبو الفرج: ونسخت من كتابه أيضاً قال: كان ابن الكوّاء اليشكري مع الشُراة والمهلب يحاربهم، وكان بعض بني أخيه شاعراً فهجا المهلب وعمّ الأزد بالهجاء، فقال لثابت: أجبه فقال له ثابت:

كلُّ القبائل من بكرٍ نعدُّهم واليشكريّون منهم ألأمُ العربِ [٤]
أثرى لجيم وأثرى الحصن إذ قعدتْ بيشكرٍ أُمه المعرورة النسبِ [٥]
نحّاكمُ عن حياضِ المجد والدكمُ فما لكم في بني البرشاء من نسبِ [٦]

---

(١) جاشت النفس: ارتفعت من حزن او فزع.

(٢) صلي النار وبها: قاسى حرها.

(٣) تبيء: أباء القاتل بالقتيل: قتله.

(٤) بكر: هم بكر بن وائل، ومنهم بنو يشكر بن بكر.

(٥) لجيم: هو لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل. الحصن: هو ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل.

(٦) البرشاء: لقب أم ذهل وشيبان وقيس بني ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل، لقبت بذلك لبرش أصابها (والبرش: البرص).

أنتم تحلُّون من بكرٍ إذا نسبوا ... مثل القُراد حَوالَيْ عُكوة الذَّنبِ [١]
نُبِّئْت أن بني الكوّاء قد نبحوا ... فِعل الكلاب تتلّى الليث في الاشب [٢]
يكوي الأبيجر عبد الله شيخكم ... ونحن نبري الذي يكوي من الكلَب [٣]

كتابه الى يزيد بن المهلب :

ونسخت من كتابه أيضاً قال : كتب ثابت قطنة الى يزيد بن المهلب يحرّضه :

إن امرأً حدبت ربيعة حوله ... والحيُّ من يمنٍ وهاب كئودا [٤]
لضعيف ما ضمت جوانح صدره ... إن لم يلفّ الى الجنود جنودا [٥]
أيزيد كن في الحرب إذ هيَّجتها ... كأبيك لا رِعشاً ولا رعديدا [٦]
شاورت أكرم من تناول ماجد ... فرأيتُ همك في الهموم بعيدا
ما كان في أبويك قادح هُجنة ... فيكون زندك في الزِّناد صاودا [٧]
إنا لضرّابون في حَمس الوغى ... رأس المتوّج إن أراد صدودا
وقُرٌ إذا كفر العجاج ترى لنا ... في كل معركة فوارس صِيدا [٨]

---

(١) العكوة بالضم وبفتح : أصل الذنب .

(٢) الاشب : شدة التفاف الشجر وكثرته حتى لا مجاز فيه .

(٣) الابيجر : مصغر الابجر ، وهو العظيم البطن .

(٤) الكئود : المرتقى الصعب .

(٥) ما ضمت جوانح صدره : كناية عن القلب .

(٦) الرعش والرعديد : الجبان .

(٧) الهجنة كون أحد الزندين واريا والآخر صالدا . وصلد الزند : صوّت ولم يور ، فهو صالد وصلود .

(٨) العجاج : الغبار ، كفره كفرب كفراً بالفتح : ستره وغطاه . الثرى : الارض . صيد : جمع أصيد وهو رافع رأسه كبراً .

يا ليت أسرتك الذين تغيَّبوا كانوا ليومك بالعراق شهودا
وترى مواطنهم إذا اختلف القنا والمشرفيَّة يلتظين وقودا [1]

فقال يزيد لما قرأ كتابه : إن ثابتاً لغافل عمّا نحن فيه ، ولعمري لأُطيعنّه وسيرى ما يكون ، فاكتبوا اليه بذلك .

أخبرني عمي قال : حدثنا الكراني عن العمري عن الهيثم بن عديّ قال : أنشِد مسلمة بن عبد الملك بعد قتل يزيد بن المهلّب قول ثابت قطنة :

يا ليت أسرتك الذين تغيَّبوا كانوا ليومك يا يزيد شهودا

فقال مسلمة : وأنا والله لوددت أنهم كانوا شهوداً يومئذٍ ، فسقيتهم بكأسه ، قال : فكان مسلمة أحد من أجاب شعراً بكلام منثورٍ فغلبه .

خطب امرأة، فدفعه عنها جويبر بن سعيد :

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال : حدثني عبيد الله بن أحمد بن محمد الكوفي قال : حدثني محمد القحذميّ عن سليمان بن ناصح الاسدي قال : خطب ثابت قطنة أمرأةً كان يميل اليها ، فجعل السفير بينه وبينها جُويَبر بن سعيد المحدّث ، فاندسّ فخطبها لنفسه ، فتزوّجها ودفع عنها ثابتاً ، فقال ثابت حين بان له الامر :

أفشى عليّ مقالةً ما قلتها وسعى بأمرٍ كان غير سديدِ
إني دعوت الله حين ظلمتني ربّي وليس لمن دعا ببعيد

---

(١) القنا : الرماح . المشرفية : السيوف نسبة الى مشارف الشام . التظت وتلظت : تلهبت وتوقدت .

أن لا تزال متيّماً بخريـدةٍ ... تسبي الرجال بمقلتين وجيدِ [١]
حتى إذا وجب الصّداق تلبّستْ ... لك جلد أغضفَ بارزٍ بصعيد [٢]
تدعو عليـك الحاريات مبرّة [٣] ... فترى الطلاق وأنت غير حميد

قال : فلقي جُوَيبر كلَّ ما دعا عليه ثابت به، ولحقه من المرأة كلَّ شرّ وضرّ حتى طلّقها بعد أن قبضتْ صداقها منه .

رثاؤه يزيد بن المهلب :

أخبرني جعفر بن قدامة قال : حدثني حماد بن اسحاق عن أبيـه قال : كان ثابت قطنة مع يزيد بن المهلّب في يوم العُقر [٤] ، فلما خذله أهل العراق وفروا عنه فقتل ، قال ثابت قطنة يرثيه :

كل القبائل بايعوك على الذي ... تدعو اليه وتابعوك وساروا
حتى إذا حمس الوغى وجعلتهم ... نصبَ الأسنّة أسلموك وطاروا [٥]
إن يقتلوك فإنّ قتلك لم يكن ... عاراً عليك ، وبعضُ قتلٍ عار

قال أبو الفرج : ونسخت من كتاب المرهبي قال : كانت ربيعة لما حالفت

(١) تيّمه الحب : عبده وذلله . الخريدة : البكر التي لم تمس .

(٢) الاغضف : الكلب .

(٣) مبرة : غالبة قاهرة .

(٤) العقر : موضع ببابل قرب كربلاء من الكوفة ، كانت فيه الوقعة بين مسلمة بن عبد الملك وبين يزيد بن المهلب ، وفيه قتل يزيد .

(٥) أسلموك : خذلوك .

اليمن وحشدت مع يزيد بن المهلب تنزل حواليه هي والأزد ، فاستبطأته ربيعة في بعض الامر ، فشغبت عليه حتى أرضاها فيه ، فقال ثابت قطنة يهجوهم :

عصافير تنزُو في الفساد، وفي الوغى إذا راعها رَوعٌ جماميح بَروق[1]

الجماميح : ما نبت على رؤوس القصب مجتمعاً، وواحده جماح ، فإذا دُقّ تطاير . وبَروق : نبت ضعيف .

أأحلم عن ذِبَّان بكر بن وائل ويعلق من نفسي الأذى كلّ مَعلَق[2]
ألم أكُ قد قلّدتكم طوق خِزيَة وأنكلتُ عنكم فيكم كلّ مُلصق[3]
لعمرك ما استخلفتُ بكراً ليشغبوا عليّ، وما في حِلفكم من مُعلّق[4]
ضممتكم ضمّاً إليّ وأنتم شتاتٌ كفقع القاعة المتفرّق[5]
فأنتم على الأدنى أسود خفيّةٍ وأنتم على الأعداء خِزّان سملق[6]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال : حدثني أبو بكر العامري قال : قال القحذمي : دخل ثابت قطنة على بعض أمراء خراسان — أظنه قتيبة[7] بن مسلم —

---

(١) نزا : وثب . الروع : الفزع .

(٢) الذبان : الذباب .

(٣) أي كل ملصق فيكم ، وأنكلت الحجر عن مكانه : دفعته عنه .

(٤) من معلق ، أي من شيء يتعلق به ويعتمد عليه .

(٥) شتات ، أي ذوو شتات وهو الفرقة .

(٦) خفية هي أجمة في سواد الكوفة تنسب اليها الاسود ، فيقال أسود خفيـة . والسملق : الارض المستوية الجرداء التي لا شجر بها، وخزان : جمع خزز بضم ففتح وهو ذكر الارانب ، وهي معروفة بالجبن .

(٧) ولاه الحجاج خراسان بعد يزيد بن المهلب سنة ٨٦ ، وقتل سنة ٩٦ .

فدحه وسأله حاجة، فلم يقضها له، فخرج من بين يديه وقال لأصحابه: لكن يزيد بن المهلب لو سألته هذا أو أكثر منه لم يردني عنه، وأنشأ يقول:

أبا خالدٍ لم يبقَ بعدك سوقةٌ ولا ملك ممن يُعين على الرِّفدِ[1]
ولا فاعلٌ يرجو المقلُّون فضله ولا قائلٌ يَنكا العدوَّ على حقد[2]
لو أنّ المنايا سامحتْ ذا حَفيظة لأكرمنه أو عُجن عنه على عمد[3]

شعره في قومه:

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال: حدثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال: عتب ثابت قطنة على قومه من الأزد في حال استنصر عليها بعضهم فلم ينصره فقال في ذلك:

تعفّفتُ عن شتم العشيرة إنّني وجدتُ أبي قد عفّ عن شتمها قبلي
حليماً إذا ما الحلم كان مروءةً وأجهل أحياناً إذا التمسوا جهلي

أخبرني عمي قال: حدثني العنزيّ عن مسعود بن بشر قال: كان ثابت قطنة بخراسان، فوليها أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد لعبد الملك بن مروان، فأقام بها مدّة، ثم كتب الى عبد الملك: «إن خراج خُراسان لا يفي بمطبخي»، وكان أمية يحمّق، فرفع ثابتُ قطنة الى البريد[4] رقعة وقال: أوصل هذه معك، فلما أتى عبد الملك أوصل اليه كتاب أمية، ثم نثل كنانته[5] بين يديه فقرأ ما فيها، حتى أنتهى الى رقعة ثابت قطنة، فقرأها ثم عزله عن خراسان.

---

(١) أبو خالد: كنية يزيد بن المهلب الرفد: العطاء.
(٢) ينكا العدوّ: يهزمه.
(٣) عاج عنه: رجع وانصرف.
(٤) البريد: الرسول.
(٥) نثل الكنانة كفرب: استخرج نبلها فنثرها.

صوت

طربتُ وهاج لي ذاك ادّكارا بكشٍّ وقد أطلت به الحصارا[1]
وكنتُ ألذّ بعض العيش حتى كبرتُ وصار لي همي شِعارا
رأيتُ الغانيات كرهن وصلي وأبدين الصَّريمة لي جِهارا[2]

الشعر لكعب الأشقري ، ويقال إنه لثابت قطنة ، والصحيح إنه لكعب ، والغناء للهذلي ، ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو بن بانة ، وذكر في نسخته الثانية أن هذا اللحن لقَفا النَّجار .

---

(١) كش : قرية من قرى أصبهان بفارس .

(٢) الصريمة : القطيعة .

أخبار كعب الاشقرى ونسبه

هو كعب بن مَعدان الاشقريّ ، والأشاقر[١] : قبيلة من الأزد ، وأمّه من عبد القيس ، شاعر فارس خطيب معدود في الشجعان ، من أصحاب المهلب والمذكورين في حروبه للأزارقة ، وأوفده المهلب الى الحجاج ، وأوفده الحجاج الى عبد الملك .

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال : حدثنا أحمد بن أبي خيثمة قال : حدثنا أبي قال حدثنا وهب بن جرير قال : حدثنا أبي عن قتادة قال : سمعت الفرزدق يقول : شعراء الاسلام أربعة : أنا ، وجرير ، والاخطل ، وكعب الأشقريّ .

أخبرني وكيع قال : حدثني أحمد بن أبي خيثمة قال : حدثنا أبي قال : حدثنا وهب بن جرير قال : حدثنا أبي عن المتلمِّس قال : قلت للفرزدق : يا أبا فراس ، أشعرت أنه قد نبغ من عمان شاعر من الازد يقال له « كعب ؟ فقال الفرزدق : « إي والذي خلق الشعر » .

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال : حدثنا محمد بن يزيد ، وأخبرني عمي ، قال : حدثنا الكراني قال : حدثنا العمري عن العتبي – واللفظ له وخبره أتمّ – قال : أوفد المهلب بن أبي صُفرة كعباً الاشقريّ ومعه مُرّة بن التليد الازدي الى الحجاج بخبر وقعة كانت له مع الازارقة ، فلما قدما عليه ودخلا داره بدر كعب ابن مَعدان فأنشد الحجاج قوله :

---

(١) الأشاقر جمع أشقر : وهم بنو عائذ بن دوس .

يا حفصَ إني عَداني عنكمِ السَّفر وقد سهرتُ فآذى عينيَ السَّهَرُ[١]
عُلِّقتُ يا كعبُ بعد الشَّيب غانيةً والشيب فيه عن الاهواء مزدجر[٢]
أممسك أنت منها بالذي عهدتَ أم حبلها إذ نأتك اليوم منبتر[٣]
ذكرتُ خوداً بأعلى الطَّفِّ منزلها في غُرفةٍ دونها الابواب والحجر[٤]
وقد تركتُ بشطِّ الزَّابيَين لها داراً بها يسعد البادون والحضر[٥]
واخترتُ داراً بها قوم أُسرُّ بهم ما زال فيهم لمن تختارهم خِيَر
أبا سعيدٍ فإني سرتُ منتجعاً وطالبُ الخير مُرتاد ومنتظر[٦]
لولا المهلَّب ما زُرنا بلادهم ما دامت الارض فيها الماء والشجر
وما من الناس من حيٍّ علمتهم إلّا يُرى فيهم من سَيبكم أثر[٧]

وهي قصيدة طويلة قد ذكرها الرواة في الخبر، فتركتُ ذكرها لطولها[٨]، يقول فيها:

فما يجاوز باب الجسر من أحدٍ قد عضَّت الحربُ أهل المصر فانجحروا
كنَّا نهوِّن قبل اليوم شأنهم حتى تفاقم أمرٌ كان يُحتقر
لمَّا وهنَّا وقد حلُّوا بساحتنا واستنفر الناس تاراتٍ فما نفروا[٩]

---

(١) عداه عن الامر: صرفه وشغله.

(٢) علق امرأة: أحبها.

(٣) يقال نآه ونأى عنه، أي بعد. منبتر: منقطع.

(٤) الخود: الحسنة الخلق الشابة أو الناعمة. الطف: موضع قرب الكوفة.

(٥) الزابيان: نهران أسفل الفرات بين الموصل وتكريت.

(٦) أبو سعيد: كنية المهلب. وانتجع: طلب الكلأ في موضعه، وانتجعه، أتاه طالباً معروفه.

(٧) السيب: العطاء.

(٨) أوردها الطبري في تاريخه، وعدتّها ثلاثة وثمانون بيتاً.

(٩) وهنا: ضعفنا. استنفر القوم فنفروا معه، أي استنجدهم واستنصرهم فنصروه.

نادى امرؤٌ لا خلافٌ في عشيرته عنه وليس به من مثلها قِصَرُ

حتى انتهى الى قوله بعد وصفه وقائعهم مع المهلب في بلدٍ بلد، فقال:

خَبْوا كمينهم بالسَّفح إذ نزلوا بكازَرون فما عزّوا وما نصروا[١]
باتت كتائبنا تَردي مسوَّمةً حول المهلب حتى نوَّر القمر[٢]
هناك ولَّوا خزايا بعد ما هُزموا وحال دونهم الأنهار والجُدُر
تأبى علينا حزازات النفوس فما نُبقي عليهم ولا يُبقون إن قدروا

فضحك الحجاج وقال له: إنك لمنصف يا كعب، ثم قال الحجّاج: أخطيب أنت أم شاعر؟ فقال: شاعر وخطيب. فقال له: كيف كانت حالكم مع عدوكم؟ قال: كنا إذا لقيناهم بعفونا وعفوهم، فعفوهم تأنيسٌ منهم، فإذا لقيناهم بجهدنا وجهدهم طمعنا فيهم، قال: فكيف كان بنو المهلب؟ قال: حماة للحريم نهاراً، وفرسانٌ بالليل أيقاظاً، قال: فأين السماع من العيان؟ قال: السماع دون العيان، قال: صفهم رجلاً رجلاً، قال: المغيرة فارسهم وسيّدهم، نار ذاكية، وصعدة[٣] عالية، وكفى بيزيد فارساً شجاعاً، ليثُ غاب، وبحرٌ جمُّ العباب، وجوادهم قبيصة، ليث المغار، وحامي الذمار[٤] ولا يستحي الشجاع أن يفرّ من مُدرك، فكيف لا يفرّ من الموت الحاضر، والاسد الخادر[٥]، وعبد الملك سمٌّ ناقع، وسيف

---

(١) رواية الطبري «عبوا جنودهم» وكازرون: مدينة بفارس بين البحرين وشيراز.

(٢) ردى الفرس كرمى: عدا فرجم الارض بحوافره. والكتيبة: جماعة من الخيل إذا أغارت، من المائة الى الالف، الخيل المسوّمة: المرسلة وعليها ركبانها، أو المعلمة التي عليها السومة وهي العلامة.

(٣) ذكت النار: اشتد لهبها. الصعدة: القناة المستوية تنبت كذلك.

(٤) الذمار: ما يلزمك حفظه وحمايته.

(٥) أسد خادر: مقيم في عرينه داخل في الخدر.

قاطع ، وحبيب الموت الذعاف[١] ، إنما هو طود شامخ ، وفخر باذخ[٢] ، وأبو عيينة البطل الهمام ، والسيف الحسام ، وكفاك بالمفضل نجدة ، ليثٌ هدَّار ، وبحرٌ موَّار[٣] ، ومحمد ليث غاب ، وحسام ضِراب ، قال : فأيّهم أفضل ؟ قال : هم كالحلقة المفرغة لا يُعرف طرفاها ، قال : فكيف جماعة الناس ؟ قال : على أحسن حال ، أدركوا ما رَجوا ، وأمنوا مما خافوا ، وأرضاهم العدل ، وأغناهم النفل[٤] ، قال : فكيف رضاهم عن المهلب ؟ قال : أحسن رضا ، وكيف لا يكونون كذلك وهم لا يعدمون منه رضا الوالد ، ولا يعدم منهم برَّ الولد ؟ قال : فكيف فاتكم قطري[٥] ؟ قال : كدناه فتحوَّل عن منزله وظن أنه قد كادنا ، قال : فهلَّا تبعتموه ! قال : حال الليل بيننا وبينه ، فكان التحرّز[٦] — إلى أن يقع العيان ، ويعلم امرؤ ما يصنع — أحزم ، وكان الحدّ عندنا آثر من الفَلّ ، فقال له المهلب : كان أعلم بك حيث بعثك وأمر له بعشرة آلاف درهم ، وحمله على فرس ، وأوفده على عبد الملك بن مروان فأمر له بعشرة آلاف أخرى .

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال : حدثني أبو عمرو بُندار الكرجيّ قال : حدثنا أبو غسَّان التميمي عن أبي عبيدة قال : كان عبد الملك بن مروان يقول للشعراء : تشبّهوني مرَّة بالاسد ، ومرَّة بالبازي ، ومرَّة بالصقر ، ألا قلتم كما قال كعب الاشقري في المهلب وولده !

---

(١) يقال : موت ذعاف وذؤاف وزعاف وزؤاف : شديد سريع .

(٢) الطود : الجبل . الباذخ : العالي .

(٣) مار : ماج واضطرب .

(٤) النفل : الغنيمة والهبة .

(٥) هو قطري بن الفجاءة المازني ، ولاه الخوارج الازارقة عليهم ، وبايعوه بعد قتل أميرهم الزبير بن علي السليطيّ ، ودار بينه وبين المهلب قتال عنيف .

(٦) التحرز : المشاهدة .

براك الله حين براك بحراً وفجّر منك أنهاراً غِزارا
بنوك السابقون الى المعالي اذا ما أعظم الناس الخطارا [١]
كأنّهم نجومٌ حول بَدرٍ دراريٌّ تكمّل فاستدارا [٢]
ملوك ينزلون بكلّ ثغرٍ إذا ما الهامُ يوم الرّوع طارا [٣]
رزانٌ في الامور ترى عليهم مِن الشيخ الشمائل والنجارا [٤]
نجومٌ يُهتدى بهم إذا ما أخو الظلماء في الغمرات حارا

وهذه الأبيات من القصيدة التي أوّلها :

طربتُ وهاج لي ذاك ادّكارا

التي فيها الغناء :

أخبرني محمد بن الحسين الكندي قال : حدثنا غسّان بن ذكوان الأهوازي قال : ذكر العتبيّ أن زياداً الأعجم هاجى كعباً الأشقريّ ، واتصل الهجاء بينهما ، ثم غلبه زياد ، وكان سبب ذلك أن شرّاً وقع بين الأزد وبين عبد القيس ، وحرباً سكّنها المهلّب وأصلح بينهم ، وتحمّل ما أحدثه كلّ فريق على الآخر ، وأدّى دِياته ، فقال كعب يهجو عبد القيس :

إني وإن كنت فرع الأزد قد علموا أخزى إذا قيل عبد القيس أخوالي
فهمُ أبو مالكٍ بالمجد شرّفني ودنّس العبد عبد القيس سِربالي

---

(١) الخطار : المراهنة .

(٢) كوكب درّيّ : مضيء ؛ والجمع دراريّ وتقدير البيت : كأنهم نجوم دراريّ ؛ حول بدر تكمل فاستدار .

(٣) الهام : جمع هامة ، وهي الرأس .

(٤) رزان : جمع وزين . الشمائل : جمع شمال بالكسر ، وهو الطبع . والنجار : الاصل والحسب .

قال : فبلغ قوله زياداً الأعجم فغضب وقال : يا عجباً للعبد بن العبد بن الحيتان والسَّرَطان[١] ، يقول هذا في عبد القيس ، وهو يعلم موضعي فيهم ! والله لأدعنّه وقومه غرضاً لكل لسان ، ثم قال يهجوه :

نبِّئت أشقر تهجونا فقلت لهم ما كنت أحسبهم كانوا ولا خلقوا
لا يكثرون وإن طالت حياتُهم ولو يبول عليهم ثعلبٌ غَرِقوا
قومٌ من الحسب الأدنى بمنزلةٍ كالفقع بالقاع لا أصلٌ ولا ورق
إن الأشاقرَ قد أضحَوا بمنزلة لو يُرهنون بنعلَيْ عبدنا غلقوا[٢]

قال : وقال فيه أيضاً :

هل تسمع الأزد ما يقال لها في ساحة الدّار أم بها صممُ ؟
اختتنَ القومُ بعد ما هرموا واستعربوا ضلّةً وهم عجم[٣]

قال : فشكاه كعبٌ الى المهلب وأنشده هذين البيتين ، وقال : والله ما عنى بهما غيرك ، ولقد عمّ بالهجاء قومك ، فقال المهلّب : أنت أسمعتنا هذا وأطلقت لسانه فينا به ، وقد كنت غنياً عن هجاء عبد القيس وفيهم مثل زياد ، فاكفف عن ذكره ، فإنك أنت بدأته ، ثم دعا بزياد فعاتبه ، فقال : أيها الامير ، اسمع ما قال فيّ وفي قومي فإن كنتُ ظلمته فانتصر ، وإلّا فالحجة عليه ، ولا حُجة على امرئٍ انتصر لنفسه وحسبه وعشيرته ، وأنشده قول كعب فيهم :

لعلّ عُبيد القيس تحسب أنّها كتغلب في يوم الحفيظة أو بَكرِ[٤]

---

(١) السرطان : دابة تسمى عقرب الماء .

(٢) غلق الرهن كفرح : استحقه المرتهن إذا لم يفك في الوقت المشروط .

(٣) الضلة : الحيرة .

(٤) الحفيظة والحفاظ : الذب عن المحارم والمنع لها عند الحروب .

يُضعضع عبد القيس في الناس منصب دنيء وأحسابٌ جُبرن على كسر
إذا شاع أمرُ الناس وانشقَّت العصا فإنَّ لكيزاً لا تريش ولا تبري [1]

فقال المهلّب: قد قلت له أيضاً، قال: لا والله ما انتصرت، ولولاك ما قصّرت وأيّ انتصار في قولي له:

يأيها الجاهل الجاري ليدركني أقصرْ فإنك إن أدركتَ مصروعُ
يا كعب لا تك كالعنز التي بحثت عن حتفها وجَناب الارض مربوع

وقولي:

لئن نصبتَ لي الرَّوقين مُعترضاً لأرمينَّك رمياً غير ترفيعِ
إن المآثر والأحساب أورثني منها المجاجيع ذكراً غير مَوضوع

يعني مجاعة بن مرّة الحنفي، ومجاعة بن عمرو بن عبد القيس، فأقسم عليهما المهلّب أن يصطلحا، فاصطلحا وتكافّا، ومما هجا كعبٌ الأشقري عبد القيس به قوله:

ثوى عامين في الجيَف اللواتي مطَّرحة على باب الفصيلِ [2]
أَحبُّ إليَّ من ظِلٍّ وكِنٍّ لعبد القيس في أصل الفسيل [3]
إذا ثار الفساء بهم تغنَّوا ألم تربع على الدِّمن المثول
تظلّ لها ضباباتٌ علينا موانعُ من مَبيتٍ أو مقيل

قال أبو الفرج: ونسخت من كتاب للنضر بن حديد: كانت ربيعة واليمن

---

(١) هو لكيز بن أفصى بن عبد القيس. راش السهم يريشه: ركب عليه الريش.

(٢) ثوى: أقام. مطرحة، أي هي مطروحة، والفصيل: ولد الناقة إذا فصل عن أمه.

(٣) الكن: الستر. الفسيل: جمع فسيلة: وهي النخلة الصغيرة.

متحالفةً، فكان المهلّب وابنه يزيد يُنزلان هاتين القبيلتين في محلتهما، فقال كعبٌ الأشقري ليزيد:

لا ترجونّ هِنائياً لصالحةٍ ... وأجعلهمُ وهُداداً أسوةَ الحُمرِ [١]
حيّانِ ما لهما في الأزد مأثرةٌ ... غيرَ النواكة والإفراط في الهذَرِ [٢]
واجعل لُكيزاً وراء الناس كلهم ... أهل الفساء وأهل النّتن والقذر
قومٌ علينا ضَبابٌ من فُسائهم ... حتى ترانا له ميداً من السكرِ [٣]
أبلغ يزيد بأنّا ليس ينفعنا ... عيشٌ رغيدٌ ولا شيءٌ من العطر
حتى تحلَّ لكيزاً فوق مدرجةٍ ... من الرياح على الأحياء من مُضر [٤]
ليأخذوا لنزار حظَّ سُبّتها ... كما أخذنا بحظِّ الحلف والصهر

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال: حدثنا أحمد بن زهير بن حرب قال: حدثنا أبي قال: كتب الحجاج بن يوسف الى المهلّب يأمره بمناجزة الأزارقة ويستبطئه ويضعّفه، ويعجّزه في تأخيره أمرهم ومطاولتهم، فقال المهلّب لرسوله: قل له: إنّما البلاء أنّ الأمر الى من يملكه لا الى من يعرفه، فإن كنت نصبتني لحرب هؤلاء القوم عليّ أن أدبّرها كما أرى، فإن أمكنتني الفرصة انتهزتها، وإن لم تمكنّي توقّفت، فأنا أدبر ذلك بما يُصلحه، وإن أردت مني أن أعمل وأنا حاضر برأيك وأنت غائب، فإن كان صواباً فلك، وإن كان خطأ فعليّ، فابعث من رأيت مكاني، وكتب من فوره بذلك الى عبد الملك، فكتب اليه عبد الملك:

---

(١) هنائي: نسبة الى هناء، وهم بنو هناء بن عمرو بن النوث بن طيء. وهداد: حي من اليمن.

(٢) المأثرة بفتح الثاء وضمها: المكرمة المتوارثة، والنواكة: الحماقة. الهذر: سقط الكلام.

(٣) الميد: ما يصيب الانسان من الدوار من السكر أو الغثيان أو ركوب البحر. وقد ماد فهو مائد من قوم ميدى كسكرى.

(٤) لكيز: من عبد القيس، من سلالة ربيعة بن نزار أخي مضر بن نزار. المدرجة: الطريق يدرج فيها أي يمشى.

لا تعارض المهلّب فيما يراه ولا تُعجله، ودَعه يدبّر أمره، وقام الاشقري الى المهلّب فأنشده بحضرة رسول الحجاج :

إن ابن يوسف غرّه من غزوكم خفض المقام بجانب الأمصارِ
لو شاهد الصفّين حين تلاقيا ضاقت عليه رحيبة الأقطار
من أرض سابور الجنود، وخَيلنا مِثل القِداح بريتها بشفار [1]
من كلّ خنذيذ يُرى بلبانه وَقعُ الظُّباة مع القنا الخطّار [2]
ورأى معاودة الرّباع غنيمةً أزمان كان مخالف الإقتار
فدع الحروب لشيبها وشبابها وعليك كلّ خريدةٍ مِعطار [3]

فبلغت أبياتُه الحجاج، فكتب الى المهلب يأمره بإشخاص كعب الأشقري اليه، فأعلم المهلب كعباً بذلك، وأوفده الى عبد الملك من تحت ليلته، وكتب اليه يستوهبه منه، فقدم كعب على عبد الملك، واستنشده فأعجبه ما سمع منه، فأوفده الى الحجاج، وكتب اليه يُقسم عليه أن يعفوَ عنه ويُعرض عمّا بلغه من شعره، فلما وصل اليه ودخل عليه قال : إيه يا كعب.

ورأى معاودة الرّباع غنيمةً

فقال له : أيها الأمير، والله لقد وددت في بعض ما شاهدته في تلك الحروب وأزماتها، وما يُوردناه المهلّب من خطرها، أن أنجوَ منها وأكون حجّاماً أو حائكاً، فقال له الحجّاج : أولى لك، لولا قسمُ أمير المؤمنين لما نفعك ما أسمع، فالحقْ بصاحبك، وردّه من وقته.

---

(١) سابور : كورة بفارس.

(٢) اللبان : الصدر أو وسطه. والظباة : جمع ظبة، وهي حد السيف. ورمح خطار : ذو اهتزاز شديد.

(٣) امرأة معطار : اعتادت أن تتعهد نفسها بالطيب وتكثر منه.

هروبه الى عمان :

قال أبو الفرج : ونسخت من كتاب النضر بن حديد : لمّا عُزِل يزيد ابن المهلّب عن خراسان ووليها قتيبة بن مسلم ، مدحه كعب الأشقريّ ، ونال من يزيد وثلبه ، ثم بلغته ولاية يزيد على خراسان ، فهرب الى عُمان على طريق الطَّبَسَين وقال :

وإني تاركٌ مَرواً ورائي[1] إلى الطَّبَسين معتامٌ عُمانا
لأوي معقلاً فيها وحِرزاً فكنّا أهل ثروتها زمانا[2]

فأقام بعمان مدّة ثم اجتواها[3] ، وساءت حاله بها ، فكتب إلى المهلّب معتذراً :

بئس التبدّل من مَروٍ وساكنها أرضُ عمان وسُكنى تحت أطوادِ[4]
يُضحي السحاب مطيراً دون منصفها كأنّ أجبالها عُلّت بفرصاد[5]
يا لهف نفسي على أمرٍ خطلت به وما شفَيت بـه غِمري وأحقادي[6]
أفنيتُ خمسين عاماً في مديحكم ثم اغتررت بقول الظالم العادي

(١) مرو هي مرو الشاهجان قصبة خراسان واشهر مدنها . والطبسان : طبس العناب، والاخرى طبس التمر ، والعرب تسميها باب خراسان لانهم لما قصدوا فتح خراسان في خلافة عثمان كانت أول فتوحهم . اعتام : اختار .

(٢) الثروة : كثرة العدد من الناس والمال .

(٣) اجتواها : كرهها .

(٤) السكنى : الاقامة . الطود : الجبل .

(٥) المنصف من الطريق ومن كل شيء : وسطه . علت : سقيت مرة بعد مرة . الفرصاد : صبغ أحمر .

(٦) خطل كفرح فهو خطل ، أي أحمق عجل . الغمر : الحقد والغل .

أبلغ يزيد قرين الجود مألكةً بأنّ كعباً أسيرٌ بين أصفادِ (١)
فإن عفوت فبيتُ الجود بيتكم والدهر طوران من غيٍّ وإرشاد
وإن مننت بصفحٍ أو سمحت به نزعتُ نحوك أطنابي وأوتادي (٢)

وذكر المدائني أن يزيد بن المهلّب حبسه ودسّ اليه ابن أخ له فقتله :

شعره في مقتل بني الاهتم :

قال أبو الفرج : ونسخت من كتاب النضر أيضاً أن الحجاج كتب الى يزيد ابن المهلب يأمره بقتل بني الأهتم ، فكتب اليه يزيد : إن بني الأهتم أصحاب مقال وليسوا بأصحاب فعال ، فلا تقدر أن تحدث فيهم ضرراً ، وفي قتلهم عار وسُبة؛ واستوهبهم منه، فتغافل عنهم، ثم أنضوا إلى المفضل بن المهلّب ، فكتب اليه الحجّاج يأمره بقتلهم ، فكتب اليه بمثل ما كتب به أخوه ، فأعفاهم ، ثم ولى قتيبة بن مسلم ، فخرجوا اليه والتقوا معه ، وذكروا بني المهلّب فعابوهم ؛ فقبلهم قتيبة واحتوى عليهم (٣) ، فكانوا يُغرون الجند عليه ويحملونهم على سوء الطاعة ، فكتب يشكوهم إلى الحجّاج ، فكتب اليه يأمره بقتلهم ، فقتلهم جميعاً ، فقال كعب الأشقريّ في ذلك :

قل للأهاتم من يعود بفضله بعد المفضّل والأغرّ يزيدِ
ردّا صحائف حتفكم بمعاذرٍ رجعتْ أشائمَ طيركم بسعود
ردّا على الحجّاج فيكم أمره فجزيتم إحسانه بجحود
فاليوم فاعتبروا فعال أخيكم إن القياس لجاهل ورشيد

(١) المألكة بضم اللام وتفتح : الرسالة . الاصفاد : جمع صفد كسبب ، وهو القيد .

(٢) الاطناب : جمع طنب كعنق ، وهو حبل طويل يشد به الخباء .

(٣) احتوى عليهم : جمعهم .

قال أبو الفرج : ونسخت من كتابه أيضاً قال : ولّى يزيد بن المهلّب رجلا من اليحمد[١] يقال له عمر بن عُمير الزّمّ، فلقيه كعب الأشقري فقال له : أنت شيخ من الأزد يولّيك الزّمّ . ويولّي ربيعة الأعمال السنية ، وأنشده :

لقد فازت ربيعة بالمعالي ... وفاز اليحمديُّ بعهد زمِّ
فإن تكُ راضياً منهم بهذا ... فزادك ربُّنا غمّاً بغمِّ
إذا الأزديُّ وضّح عارضاه ... وكانت أمّه من حيّ جرمِ[٢]
فثمّ حماقةٌ لا شكّ فيها ... مُقابلةٌ فمن خالٍ وعمِّ[٣]

فردّ اليحمدي عهد يزيد عليه ، لحلف لا يستعمله سنة ، فلما أجحفت[٤] به المئونة قال لكعب :

لو كنت خلّيتني يا كعب متّكئاً ... في دور زمّ لما أقفرتُ من علفِ
ومن نبيذٍ ومن لحمٍ أعلُّ به ... لكنّ شعرك أمرٌ كان من حرفي
إنّ الشقي بمرو من أقام بها ... يُقارع السوق من بيع ومن حلف

أخبرني أبو الحسن الأسديّ قال : حدثني الرياشي عن الأصمعي قال : قال كعب الأشقري يهجو زياداً الأعجم :

وأقلفَ صلّى بعد ما ناك أمّه ... يرى ذاك في دين المجوس حلالا[٥]

---

(١) يحمد : أبو بطن من الازد . الزم : بلد بشط جيحون .

(٢) الوضح كسبب : الشيب ، أتى بالفعل منه مضعفاً لتكثير المعنى . والعارضان : جانبا الوجه .

(٣) من قولهم ، رجل مقابل : اي كريم من كلا طرفيه أبيه وأمه ، والحماقة المقابلة التي يقابل أحد طرفيها الآخر ، أي حماقة من طرفي الأب والأم .

(٤) أجحفت به المئونة : دنت منه .

(٥) الاقلف : من لم يختن .

فقال له زياد : يأبن النامة أهي أخبرتك أني أقلف ؟ فغلبه زياد .

والقصيدة التي أولها :

طربتُ وهاج لي ذاك ادّكارا

شعر له فيه غناء:

وفيه الغناء المذكور بذكره خبر كعبٍ الاشقريّ، يمدح بها المهلّب بن أبي صفرة ويذكر قتاله الأزارقة، وفيها يقول بعد الأبيات الأربعة التي فيها الغناء:

غَرِضن بمجلسي وكرهن وصلي ... أوان كسيتُ من شمطٍ عِذارا [1]
زرَين عليّ حين بدا مشيبي ... وصارت ساحتي للهمّ دارا [2]
أتاني والحديث له نماء ... مقالة جائر أحنى وجارا
سلوا أهل الاباطح من قريشٍ ... عن العزّ المؤبّد أين صارا [3]
ومن يحمي الثغور اذا استحرّت ... حروبٌ لا ينون لها غِرارا [4]
لقومي الأزد في الغمرات أمضى ... وأوفى ذمّةً وأعزّ جارا
همُ قادوا الجياد على وجاها ... من الأمصار يقذفن المهارا [5]
بكلّ مفازة وبكلّ سهبٍ ... بسابس لا يرونَ لها مَنارا [6]

(١) غرضن بمجلسي أي مللنه وضجرن منه . الشمط : بياض بالرأس يخالط سواده . العذار : جانبا اللحية .

(٢) زرى عليه : عابه .

(٣) المؤبد : المخلد .

(٤) لا ينون لها : لا يتوانون ولا يفترون عنها . غراراً : غافلين ، جمع غارّ ، وهو الغافل .

(٥) الوجى : الحفا . المهار جمع مهر : وهو ولد الفرس .

(٦) المفازة والسهب : الفلاة . والبسابس : جمع بسبس كجعفر ، وهي الفلاة . منارا ، أي علما يهدي الى الطريق .

إلى كرمان يحملن المنايا بكلّ ثنيَّة يوقدن نارا[١]
شوازب لم يصبن الثار حتى رددناها مكلَّمة مرارا[٢]
ويشجرن العوالي السمر حتى ترى فيها عن الأسل ازورارا[٣]
غداة تركن مصرع عبد ربٍّ يُثرن عليه من رهجٍ عصارا[٤]
ويوم الزحف بالأهواز ظِلنا نروّي منهم الأسل الحرارا[٥]
فقرّت أعينٌ كانت حديثاً ولم يك نومها إلا غِرارا
صنائعنا السّوابغ والمذاكي ومَن بالمصر يحتلب العشارا[٦]
فهنّ يبحن كلَّ حمىً عزيزٍ ويحمين الحقائق والذّمارا[٧]
طُوالاتُ المتون يصنَّ إلّا إذا سار المهلّب حيث سارا
فلولا الشيخ بالمصرَين ينفي عدوَّهم لقد تركوا الديارا[٨]

---

(١) كرمان : بلد بفارس . الثنية : الطريق في الجبل .

(٢) خيول شوازب ، أي ضوامر ، جمع شازب . مكلمة : مجرّحة .

(٣) السمر والأسل : الرماح . العوالي : جمع عالية ، وهي القناة المستقيمة . ازورّ عنه : انحرف ومال .

(٤) ولي عبد ربه الصغير أمر الازارقة بعد خلع قطري ، ونشبت الحرب بينه وبين المهلب فأجلت الوقعة عنه قتيلاً ، وبذا خمدت حروب الأزارقة . الرهج ويحرك : الغبار . العصار : الغبار الشديد .

(٥) الحرار : جمع حرّان ، وهو العطشان .

(٦) صنائع : جمع صنيعة ، وهي المعروف والاحسان . السوابغ : جمع سابغة ، وهي الدرع التامة الطويلة . والمذاكي : الخيل التي أتى عليها بعد قروحها سنة او سنتان . العشار : جمع عشراء ، وهي من النوق التي مضى لحملها عشرة أشهر . او هي من الابل كالنفساء من النساء .

(٧) فهن ، اي السوابغ والمذاكي . الذمار : ما يلزمك حفظه وحمايته .

(٨) المصران : الكوفة والبصرة . تركوا الديار : أي ترك الديار أهلوها .

ولكن قارع الأبطال حتى أصابوا الأمن واجتنبوا الفرارا
إذا وهنوا وحلّ بهم عظيم يدقّ العظم كان لهم جبارا
ومُبهمة يحيد الناس عنها تشبُّ الموت شدّ لها الإزارا
شهابٌ تنجلي الظلماء عنه يرى في كل مبهمة منارا
بل الرحمان جارك إذ وهنا بدفعك عن محارمنا اختيارا
براك الله حين براك بحراً وفجّر منك أنهاراً غِزارا

وقد مضت هذه الأبيات متقدّمةً فيما سلف من أخبار كعبٍ وشعره.

شعره في المهلب وولده:

أخبرني عمي قال: حدثنا محمد بن سعد الكراني قال: حدثني العمري عن العتبي قال: قال عبد الملك بن مروان: يا معشر الشعراء، تشبّهوننا بالأسد الأبخر، والجبل الوعر، والملح الأجاج؟ ألا قلتم كما قال كعبٌ الأشقري في المهلب وولده:

لقد خاب أقوامٌ سرَوْا ظُلمَ الدجى يؤمّون عمراً ذا الشعير وذا البرِّ
يؤمّون مَن نال الغنى بعد شيبه وقاسى وليداً ما يقاسي ذوو الفقر
فقل للجيم يا لبكر بن وائل مقالة من يلحى أخاه ومن يُزري [1]
فلو كنتم حيّاً صميماً نفيتم بخيلكم بالرّغم منه وبالصُّغر [2]
ولكنكم يا آل بكر بن وائلٍ يسودكم من كان في المال ذا وفر

(١) يلحى: يلوم. زرى عليه عابه.

(٢) الصغر والصغار: الذل.

هو المانع الكلب النباح وضيفه خميص الحشا يرعى النجوم التي تسري[1]

هجاؤه لأخيه وخبر ذلك:

قال: وكان بين كعب وبين ابن أخيه هذا[2] تباعد وعداوة، وكانت أمه سوداء فقال يهجوه:

إنّ السواد الذي سُربلتَ تعرفه ميراث جدّك عن آبائه النُّوبِ[3]
أشبهتَ خالك خال اللؤم مؤتسياً بهديه سالكاً في شرّ أسلوب[4]

مقتله:

قال المدائني في خبره: وكان ابن أخي كعب هذا عدواً له يسعى عليه، فلما سأل مجزأةُ بن زياد بن المهلب أباه في كعب فخلّاه، دسّ اليه زياد بن المهلّب بن أخيه الشاعر، وجعل له مالاً على قتله، فجاءه يوماً وهو نائم تحت شجرة، فضرب رأسه بفأس فقتله، وذلك في فتنة يزيد بن المهلّب وهو بعمان يومئذٍ، وكان لكعب أخ غير أخيه الذي قتله ابنه، فلما قتل يزيد بن المهلّب فرّق مسلمة بن عبد الملك أعماله على عمّالٍ شتى فولّى البصرة وعمان عبد الرحمن بن سليمان الكلبي، فاستخلف عبد الرحمن على عمان محمد بن جابر الراسبي، فأخذ أخو كعب الباقي ابن

---

(١) خميص الحشا: ضامر البطن.

(٢) الاشارة الى ابن أخيه الذي قتله.

(٣) النوب: سكان بلاد النوبة جنوبي مصر، واحده نوبي.

(٤) ائتسى به: جعله أسوة وقدوة. الاسلوب: الطريق.

أخيه الذي قتل كعباً ، فقدّمه إلى محمد بن جابر ، وطلب القوَد[١] منه بكعب ، فقيل له : قُتل أخوك بالأمس ، وتقتل قاتله وهو ابن أخيك اليوم! وقد مضى أخوك وانقضى ، فتبقى فرداً كقرن الأعضب[٢]! فقال : نعم إن أخي كعباً كان سيدنا وعظيمنا ووجهنا ، فقتله هذا ، وليس فيه خير ، ولا في بقائه عزّ ، ولا هو خلفٌ من كعب فأنا أقتله به ، فلا خير في بقائه بعد كعب ، فقدّمه محمد بن جابر فضرب عنقه والله أعلم .

أخبرنا أبو بكر محمد بن خلف بن المرزبان قال : حدثنا أحمد بن الهيثم قال : حدثنا العمري ، عن الهيثم بن عدي ولقيط وغيرهما ، قالوا : حاصر يزيد بن المهلّب مدينة خُوارزم في أيام ولايته ، فلم يقدر على فتحها ، واستصعب عليه ، ثم عُزِل ووُلّي قتيبة بن مسلم ، فزحف اليها ، فحاصرها[٣] ففتحها ، فقال كعب الأشقري يمدحه ويهجو يزيد بن المهلّب بقوله :

رمتك فيلٌ بما فيهــا وما ظلمت من بعد ما رامها الفجفاجة الصَّلِفُ[٤]
قيسٌ صريحٌ وبعض الناس يجمعهم قرًى وريفٌ ومنسوبٌ ومقترف[٥]
منهم شُناسٌ ومرداذاء نعرفــه وفسخراء ، قبورٌ حشوُها القلف
لم يركبوا الخيل إلّا بعدما هرِموا فهم ثقالٌ على أكتافهــا عنف

قال : الفيل الذي ذكره هو حصن خُوارَزم يقال له الكهندر ، والكهندر :

(١) القود : القصاص وقتل القاتل بدل القتيل .

(٢) الأعضب : المكسور أحد قرنيه .

(٣) كان ذلك سنة ٩٣ ﻫ .

(٤) كانت مدينة ولاية خوارزم يقال لهــا «فيل» قديماً ، ثم سميت المنصورة . ويعني بالفجفاجة الصاف بديه .

(٥) مقترف : قرفه بسوء : رماه به .

الحصن العتيق، والفجفاجة: الكثير الكلام. وشُناس: اسم أبي صُفرة، فغيّره، وتسمى ظالماً، ومرداذاء: أبو أبي صُفرة، وسموه بسراق لمّا تعرّبوا، وفسخراء: جدّه، وهم قوم من الخوز[1] من أهل عُمان، نزلوا الأزد، ثم ادّعوا أنهم صليبةٌ صُرَحاء منهم.

صوت

لأسماء رسمٌ أصبح اليوم دارسا وقفت به يوماً الى الليل حابسا
فجئنا بهيتٍ لا نرى غير منزلٍ قليل به الآثار إلّا الروامسا[2]
يدورون بي في ظلّ كلّ كنيسةٍ فينسونني قومي وأهوى الكنائسا

البيت الاول من الشعر للعباس بن مرداس السُّلمي، وبيت العباس مصراعه الثاني:

توهّمتُ منه رحرحان فراكسا[3]

وغيّره يزيد بن معاوية فقال: مكان هذا المصراع:

وقفتُ به يوماً إلى الليل حابسا

والبيت الثاني للعباس بن مرداس، والثالث ليزيد بن معاوية، ذكر بعض الرُّواة أنه قاله على هذا الترتيب وأمر بُدَيحاً أن يغنّيَ فيه، ففعل؛ ولم يأتِ ذلك من جهة يوثَق بها، والصحيح أن الغناء لمالك، خفيف ثقيل بالبنصر عن الهشامي ويحيي المكيّ، وهذا صوت زعموا أن مالكاً صنعه على لحن سمعه من الرُّهبان.

---

(١) الخوز: جيل من الناس، أعجمي معرب.

(٢) هيت: بلدة على الفرات. الروامس: الرياح التي تثير التراب وتدفن الآثار.

(٣) رحرحان: جبل قريب من عكاظ خلف عرفات. وراكس: واد.

أخبرني الحسين بن يحيي ، عن حماد بن إسحاق ، عن أحمد المكي ، عن أبيه ، عن سياط ، أن مالكاً دخل مع الوليد بن يزيد دَيراً ، فسمع لحناً من بعض الرهبان فاستحسنه ، فصنع عليه :

ليس رسمٌ على الدَّفين ببالي

فلما غنّاه الوليد قال له : الأول أحسن فعد اليه . اللحن الثاني الذي لمالك ، ثقيل بالبنصر عن الهشامي وعمرو ، وأوله :

درَّ درُّ الشباب والشعر الأسـ ـود والضامرات تحت الرحالِ [1]
والخناذيذ كالقداح من الشو حط يحملن شكّة الأبطـال [2]

---

(١) يقولون لمن يمدح ويتعجب من عمله : لله دره : أي لله عمله ، وربما استعملوه من غير ان يقولوا : لله ، فيقولون : درّ درّ فلان ؛ فاذا شتموه وذموا عمله قالوا لا درّ درّه ، أي لا زكا عمله ولا كثر خيره .

(٢) الخناذيذ : جياد الخيل أو طوالها جمع خنذيذ بالكسر . والشوحط : شجر تتخذ منه القسي . والشكة : السلاح .

اخبار العباس بن مرداس ونسبه

نسبه :

العباس بن مرداس بن أبي عامر بن حارثة بن عبد قيس بن رفاعة بن بهثة بن سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار، ويكنى أبا الهيثم ، وإياه يعني أخوه سُراقة بقوله يرثيه :

أعين ألا أبكي أبا الهيثم وأذري الدموع ولا تسأمي

وهي أبيات تذكر في أخباره ، وأمه الخنساء الشاعرة بنت عمرو بن الشريد ، وكان العباس فارساً شاعراً شديد العارضة[1] والبيان ، سيّداً في قومه من كلا طرفيه، وهو مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام ، ووفد إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فلما أعطى المؤلّفة قلوبهم فضّل عليه عيينة بن حِصن والأقرع بن حابس ، فقام وأنشده شعراً قاله في ذلك ، فأمر بلالاً فأعطاه حتى رضي ، وخبره في ذلك يأتي بعد هذا الموضع ؛ والله أعلم .

أخبرني محمد بن جرير الطبريّ قال : حدثنا محمد بن حميد قال : حدثنا سلمة ابن الفضل ، عن محمد بن إسحاق عن منصور بن المعتمر ، عن قبيصة ، عن عمرو والخزاعي عن العباس بن مِرداس بن أبي عامر أنه قال : كان لأبي صنم اسمه ضمار[2]،

---

(١) العارضة : القدرة على الكلام ؛ والرأي الجيد .

(٢) ضمار : صنم عبده العباس بن مرداس ورهطه .

فلما حضره الموت أوصاني به وبعبادته والقيام عليه ، فعمدت إلى ذلك الصنم فجعلته في بيت ، وجعلت آتيه في كلّ يوم وليلة مرّة ، فلما ظهر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعتُ صوتاً في جوف الليل راعني ، فوثبتُ إلى ضِمار ، فإذا الصوت في جوفه يقول :

قل للقبائل من سليمٍ كلِّها هلك الأنيس وعاش أهل المسجدِ
إن الذي ورث النبوّة والهدى بعد ابن مريم من قريشٍ مهتدي
أودى الضمار وكان يعبد مرّةً قبل الكتاب إلى النبيّ محمد

قال : فكتمتُ الناس ذلك ، فلم أحدّث به أحداً حتى انقضت غزوة الاحزاب ، فبينا أنا في إبلي في طرف العقيق وأنا نائم ، إذ سمعت صوتاً شديداً ، فرفعت رأسي فإذا أنا برجل على حياليّ[1] بعمامة يقول : إن النور الذي وقع بين الاثنين وليلة الثلاثاء ، مع صاحب الناقة العضباء[2] ، في ديار بني أخي العنقاء[3] ، فأجابه طائف عن شماله لا أبصر فقال : بشّر الجنّ وأجناسها ، أن وضعت المطيّ أحلاسها[4] ، وكفّت السماء أحراسها ، وأن يغصّ السّوق أنفاسها ، قال : فوثبت مذعوراً وعرفت أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم مصطفى ، فركبت فرسي وسرت حتى انتهيت اليه فبايعته وأسلمت ، وانصرفت إلى ضمار فأحرقته بالنار .

خروجه الى النبي صلى الله عليه وسلم وإسلامه :

وقال أبو عبيدة : كانت تحت العباس بن مرداس حبيبة بنت الضحّاك بن

---

(١) يقال . وقف حياله وبحياله : بإزائه .

(٢) العضباء : اسم ناقة النبي صلى الله عليه وسلم .

(٣) العنقاء : لقب ثعلبة بن عمر مزيقياء بن عامر ماء السماء . والأوس والخزرج : ابنا حارثة بن ثعلبة العنقاء ومن بطون الخزرج بنو عدي بن النجار أخواله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تزوج منهم جده هاشم سلمى بنت عمرو والنجارية أم عبد المطلب .

(٤) أحلاس : جمع حلس بالكسر ، وهو كساء على ظهر البعير تحت البردعة .

سفيان السُّلَمي أحد بني رِعل[1] بن مالك ، فخرج عباس حتى انتهى إلى إبله وهو يريد النبي صلى الله عليه وسلم ، فبات بها ، فلمّا أصبح دعا براعيه فأوصاه بإبله ، وقال له : من سألك عني فحدّثه أني لحقتُ بيثرب ، ولا أحسبني إن شاء الله تعالى إلّا آتياً محمداً وكائناً معه ، فإني أرجو أن نكون برحمة من الله ونور ، فإن كان خيراً لم أُسبق اليه ، وإن كان شرّاً نصرته لخئولته ، على أني قد رأيت الفضل البيّن وكرامة الدنيا والآخرة في طاعته ومؤازرته ، واتّباعه ومبايعته ، وإيثار أمره على جميع الامور ، فإن مناهج سبيله واضحة ، وأعلام ما يجيء به من الحق نيّرة ، ولا أرى أحداً من العرب ينصب[2] له إلا أُعطيَ عليه الظفر والعلوّ ، وأراني قد أُلقيتْ عليّ محبّةٌ له ، وأنا باذلٌ نفسي دون نفسه أريد بذلك رضا إله السماء والارض ، قال : ثم سار نحو النبي صلى الله عليه وسلم ، وانتهى الراعي نحو إبله ، فأتى امرأته فأخبرها بالذي كان من أمره ومسيره الى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقامت فقوّضت بيتها ، ولحقت بأهلها ، فذلك حيث يقول عباس بن مرداس ، حين أحرق ضماراً ولحق بالنبي صلى الله عليه وسلم :

لعمري إني يوم أجعل جاهداً ضِماراً لربّ العالمين مُشاركا
وتركي رسول الله والأوس حوله أولئك أنصار له ، ما أولئكا[3] ؟
كتاركِ سهل الارض ، والحزن يبتغي ليسلك في غيب الامور المسالكا
فآمنتُ بالله الذي أنا عبده وخالفت من أمسى يريد المهالكا
ووجّهتُ وجهي نحو مكة قاصداً وتابعت بين الأخشبين المباركا[4]

---

(١) رعل : قبيلة من سليم .

(٢) نصب له : عاداه .

(٣) ما أولئكا : استفهام للتعظيم والتهويل .

(٤) الأخشبان : جبلان مطيفان بمكة ، وهما قبيس والاحمر .

نبيٌّ أتانا بعد عيسى بناطق ... من الحق فيه الفصل منه كذلكا
أميناً على الفرقان أوّل شافع ... وآخر مبعوث يجيب الملائكا
تلافى عُرا الإسلام بعد انفصامها ... فأحكمها حتى أقام المناسكا
رأيتك يا خير البريّة كلها ... توسّطتَ في القربى من المجد مالكا[١]
سبقتهمُ بالمجد والجود والعلا ... وبالغاية القصوى تفوت السّنابكا[٢]
فأنت المصفى من قريش إذا سمتْ ... غلاصمها تبغي القروم الفواركا[٣]

قال: فقدم عباس على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة حيث أراد المسير الى مكة عام الفتح، فواعد رسول الله صلى الله عليه وسلم قُديداً[٤]، وقال، القنى أنت وقومك بقديد، فلما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم قُديداً وهو ذاهب، لقيه عباس في ألف من بني سُليم، ففي ذلك يقول عباس بن مرداس:

بلّغ عباد الله أن محمداً ... رسول الاله راشد أين يمما[٥]
دعا قومه واستنصر اللهَ ربّه ... فأصبح قد وافى الاله وأنعما[٦]
عشيّة واعدنا قُديداً محمدا ... يؤم بنا أمراً من الله محكما

---

(١) يعني مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار.

(٢) السنابك: جمع سنبك كقنفذ، وهو طرف الحافر. والمعنى: لا تبلغنها سنابك الخيول المتسابقة اليها.

(٣) غلاصم: جمع غلصمة، وهي أصل اللسان او الجماعة او السادة. القروم: جمع قرم بالفتح، وهو السيد، وأصله الفحل الذي يترك من الركوب والعمل ويودع للفحلة والضراب. الفوارك: جمع فارك، من فرك الرجل امرأته فركاً: أبغضها، يعني أنهم ليسوا ممن تليهم النساء عن عظائم الامور.

(٤) قديد: موضع قرب مكة.

(٥) في هذا البيت خرم. ويمم: طلب.

(٦) وافى الله حقه ووفاه: أداه، ويقال: فعل كذا وأنعم: أي زاد.

حلفت يميناً برّةً لمحمد فأوفيته ألفاً من الخيل معلما
سرايا يراها الله وهو أميرها يؤم بها في الدين من كان أظلما [1]
على الخيل مشدوداً علينا دروعنا وخيلاً كدُفّاع الأتيّ عرمرما [2]
أطعناك حتى أسلم الناس كلهم وحتى صبحنا الخيل أهل يلملما [3]

وهي قصيدة طويلة .

زوجته تؤنبه على إسلامه :

قال : ولما عرّف راعي العبّاس بن مرداس زوجته بنت الضحّاك بن سفيان خبره وإسلامه قوّضت بيتها ، وارتحلت الى قومها ، وقالت تؤنّبه :

ألم ينه عباس بن مرداس أنني رأيت الورى مخصوصةً بالفجائع
أتاهم من الأنصار كلُّ سميذعٍ من القوم يحمي قومه في الوقائع [4]
بكلّ شديد الوَقع عضبٍ يقوده الى الموت هام المقربات البرائع [5]
لعمري لئن تابعت دين محمد وفارقت إخوان الصفا والصنائع [6]

(١) يراها الله ، أي بعين رعايته . وأظلم هنا بمعنى ظالم .

(٢) الخيل : الفرسان . والدفاع : كثرة الماء وشدته وتدافع جريه . وجيش عرمرم : كثير شديد .

(٣) يلملم : ميقات اليمن ، جبل على مرحلتين من مكة .

(٤) السميذع : السيد الكريم والشجاع .

(٥) المقربات : جمع مقربة ، وهي الفرس التي تدنى وتقرب وتكرم ، ولا تترك أن ترود لئلا يقرعها فحل لئيم ، أو هي التي ضمرت للركوب . البرائع : جمع بريعة ، وهي المرأة الفائقة في الجمال والعقل ؛ جعلها هنا وصفاً للأفراس .

(٦) الصنائع : جمع صنيعة ، وهي الاحسان .

لبدّلت تلك النفس ذلاً بعزّة غداة اختلاف المرهفات القواطع (١)
وقوم هم الرأس المقدّم في الوغى وأهل الحجا فينا وأهل الدّسائع (٢)
سيوفهم عزّ الذّليل وخيلهم سهام الأعادي في الأمور الفظائع

فأخبرني أحمد بن محمد بن الجعد قال : حدثنا محمد بن إسحاق المسيَّبي قال : حدثنا محمد بن فُليح عن موسى بن عقبة ، عن ابن شهاب، وأخبرني عمر بن إسماعيل ابن أبي غَيلان الثقفيّ قال : حدثنا داود بن عمرو الضبيّ قال : حدثنا محمد بن راشد عن ابن اسحاق ، وحدّثنيه محمد بن جرير قال : حدثنا محمد بن حميد قال : حدثنا سلمة عن ابن إسحاق — وقد دخل حديث بعضهم في حديث بعض — أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قسّم غنائم هوازن ، فأكثر العطايا لأهل مكة ، وأجزل القسم لهم ولغيرهم ممن خرج الى حُنين ، حتى إنه كان يعطي الرجل الواحد مائة ناقة ، والآخر ألف شاة ، وزوى كثيراً من القسم عن أصحابه ، فأعطى الاقرع بن حابس وعيينة بن حصن والعباس بن مرداس عطايا فضَّل فيها عيينة والاقرع على العباس ، فجاءه العباس فأنشده :

وكانت نِهابا تلافيتها بكرّي على المهر في الأجرعِ (٣)
وإيقاظيَ الحيّ أن يرقدوا إذا هجع القوم لم أهجع
فأصبح نهبي ونهب العبيـدِ بين عُيينة والأقرع (٤)
وقد كنت في الحرب ذا تُدرإٍ فلم أعطَ شيئاً ولم أمنع (٥)

---

(١) المرهفات : السيوف المرققة .

(٢) الدسائع : جمع دسيعة ، وهي العطيّة .

(٣) النهاب : الغنائم .

(٤) العبيد : اسم فرس العباس بن مرداس .

(٥) رجل ذو تدرأ وتدرأة : مدافع ذو عز ومنعة .

وما كان حصنٌ ولا حابسٌ يفوقان مرداسَ في مجمعِ
وما كنت دون امرئٍ منهما ومن تضع اليوم لا يُرفع

فبلغ قوله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدعاه فقال له : أنت القائل : « أصبح نهبي ونهب العبيد بين الاقرع وعيينة ؟ » فقال أبو بكر : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، لم يقل كذلك ، ولا والله ما أنت بشاعر ، ولا ينبغي لك الشعر ، وما أنت براوية ، قال : فكيف قال ؟ فأنشده أبو بكر رضي الله عنه ، فقال : هما سواء ، لا يضرُّك بأيّهما بدأت : بالأقرع أم بعيينة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اقطعوا عني لسانه ، وأمر بأن يعطوه من الشاء والنَّعم ما يرضيه ليمسك ، فأُعطيَ ، قال : فوجدت[1] الانصار في أنفسها ، وقالوا : نحن أصحاب موطن[2] وشدّة ، فآثر قومه علينا ، وقسم قسماً لم يقسمه لنا ، وما نراه فعل هذا إلّا وهو يريد الإقامة بين أظهرهم ، فلما بلغ قولهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاهم في منزلهم فجمعهم ، وقال : من كان ها هنا من غير الانصار فليرجع الى أهله ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : يا معشر الأنصار ، قد بلغتني مقالةٌ قلتموها ، وموجدة وجدتموها في أنفسكم ، ألم آتكم ضلّالاً فهداكم الله ؟ قالوا : بلى . قال : ألم آتكم قليلاً فكثّركم الله ؟ قالوا : بلى . قال : ألم آتكم أعداء فألّف الله بين قلوبكم ؟ قالوا : بلى .

قال محمد بن اسحاق : وحدثني يعقوب بن عيينة أنه قال : ألم آتكم وأنتم لا تركبون الخيل فركبتموها ؟ قالوا : بلى . قال : أفلا تجيبون يا معشر الانصار ؟ قالوا : لله ولرسوله علينا المنّ والفضل ، جئتنا يا رسول الله ونحن في الظلمات ، فأخرجنا الله بك الى النور ، وجئتنا يا رسول الله ونحن على شفا حُفرة من النار ،

---

(١) وجد عليه يجد : غضب .

(٢) الموطن : المشهد من مشاهد الحرب .

فأنقذنا الله ، وجئتنا يا رسول الله ونحن أذلّة قليلون فأعزّنا الله بك ، فرضينا بالله ربًّا ، وبالاسلام ديناً ، وبمحمد رسولًا . فقال صلى الله عليه وسلم : أما والله لو شئتم لأجبتموني بغير هذا ، فقلتم : جئتنا طريداً فآويناك ، ومخذولًا فنصرناك ، وعائلًا فأغنيناك ، ومكذّباً فصدّقناك ، وقبلنا منك ما ردّه عليك الناس ، لقد صدقتم . فقال الانصار : لله ولرسوله علينا المنّ والفضل .

ثم بكوا حتى كثر بكاؤهم ، وبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال : يا معشر الانصار وجدتم في أنفسكم في الغنائم أن آثرت بها ناساً أتألّفهم على الاسلام ، ليسلموا ، ووكلتكم الى الاسلام ، أو لا ترضون أن يذهب الناسُ بالشاء والابل ، وترجعوا برسول الله الى رحالكم ؟ والذي نفس محمد بيده لو سلك الناسُ شِعباً[1] وسلك الانصار شِعباً لسلكت شِعبَ الانصار ، ولولا الهجرة لكنت أمرأ من الانصار ، ثم بكى القوم ثانيةً حتى أخضلوا[2] لحاهم ، وقالوا : رضينا يا رسول الله بالله وبرسوله حظًّا وقَسماً ، وتفرّق القوم راضين ، وكانوا بما قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أشدّ أغتباطاً من المال .

وقال أبو عمر الشيباني في هذا الخبر : أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم جماعةً من أشراف العرب عطايا يتألف بها قلوبهم وقومهم على الاسلام ، فأعطى كلَّ رجل من هؤلاء النفر – وهم : أبو سفيان بن حرب ، وابنه معاوية ، وحكيم ابن حزام ، والحرث بن هشام ، وسُهيل بن عمرو ، وحُويَطب بن عبد العزّى ، وصفوان بن أمية ، والعلاء بن حارثة الثقفي حليف بني زُهرة ، وعيينة بن حِصن ، والاقرع بن حابس – مائةً من الابل ، وأعطى كل واحد من مخرمة بن نوفل وعمير بن وهب أحد بني عامر بن لؤي وسعيد بن يربوع ، ورجلا من بني سهم

(١) الشعب : الطريق في الجبل .

(٢) أخضله : بله .

دون ذلك ما بين الخمسين وأكثر وأقلّ، وأعطى العبّاس بن مرداس أباعر، فتسخّطها وقال الابيات المذكورة، فأعطاه حتى رضي .

كتب عبد الملك كتاباً فيه شعر للعباس يتوعّده :

حدثنا وكيع قال : حدثنا الكراني قال : حدثنا عطاء بن مصعب، عن عاصم ابن الحدثان قال : كتب عبد الملك بن مروان الى عبد الله بن الزبير كتاباً يتوعّده فيه وكتب فيه :

إني لعند الحرب تحمل شكّتي   إلى الرَّوع جرداء السَّيالة ضامر[١]

والشعر للعبّاس بن مرداس . فقال ابن الزبير : أبالشعر يقوى عليّ ؟ والله لا أجيبه إلّا بشعر هذا الرجل ؛ فكتب اليه :

إذا فُرِس العوالي لم يخالج   هُمومي غير نصرٍ واقترابِ[٢]
وإنّا والسوابح يوم جُمْع   وما يتلو الرسول من الكتاب[٣]
هزمنا الجمع جمع بني قسيّ   وحكّت بَرْكها ببني رِئاب[٤]

هذه الابيات من قصيدة يفخر فيها العبّاس برسول الله صلى الله عليه وسلم ونصره له، وفيها يقول :

---

(١) الشكة : السلاح . السيالة : واحدة السيال، وهو شجر سبط الاغصان له شوك أبيض وأراد بها المتن .

(٢) فرسه فرساً : دقه وكسره . والعوالي : جمع عالية، وهي رأس الرمح .

(٣) السوابح : جمع سابح، وهو من الخيل ما مدّ يديه في الجري سبحاً .

(٤) قسي هو ثقيف . والبرك : كلكل البعير وصدره الذي يدوك به الشيء تحته .

بذي لجب رسول الله فيه كتيبته تعرّض للضِراب [١]
ولو أدركن صِرم بني هلالٍ لآمَ نساؤهم والنَّقع كابي [٢]

خبر قتل أخيه هريم :

قال أبو عبيدة : وكان هُرَيم بن مرداس مجاوراً في خُزاعة في جوار رجل منهم يقال له عامر ، فقتله رجل من خزاعة يقال له خُوَيلد ، وبلغ ذلك أخاه العباس بن مرداس ، فقال يحضّ عامراً على الطلب بثأر جاره ، فقال :

إذا كان باغٍ منك نال ظلامةً فإنّ شفاء البغي سيفك فافصلِ
ونبّئت أن قد عوّضوك أباعراً وذلك للجيران غزل بمغزل
فخذها فليست للعزيز بنصرةٍ وفيها متاعٌ لأمرئٍ متذلّل

وهذا البيت الاخير كتب به الوليد بن عقبة الى معاوية لما دعاه عليّ عليه السلام الى البيعة ، وتحدّث الناس أنه وعده أن يولّيه الشأم إذا بايعه . قال : فلما بلغته هذه الابيات آلى لا يصيب رأسه ولا جسده ماء بغسل حتى يثأر بهرَيم ، ثم إن أبا حُلَيس النصريّ لقي خويلداً قاتل هُرَيم فقتله ، فقال بنو نصر : بُؤْ بدم فلان النصريّ — رجل كانت خزاعة قتلته — فقال أبو الحليس : لا ، بل هو بُؤْ بدم هُرَيم بن مرداس ، وبلغ العباس ، فقال يمدحه بقوله :

أتاني من الانباء أنّ ابن مالكٍ كفى ثائراً من قومه مَن تغيّبا [٤]

(١) بذي لجب ، أي بجيش ذي لجب ، واللجب : الجلبة والصياح .

(٢) الصرم : الفرقة من الناس ليسوا بالكثير . والنقع : الغبار . والكابي : المرتفع الضخم .

(٣) أي خويلد بؤ . يقال : باء دمه بدمه بوءاً وبواء : عدله .

(٤) ثائراً ، أي آخذاً بالثأر .

ويَلقاك ما بين الخميس خُويلدٌ أرى عجباً بل قتله كان أعجبا
فدًى لك أمي إذ ظفرتَ بقتله وأقسم أبغي عنك أماً ولا أبا [١]
فمثلك أدّى نُصرة القوم عنوةً ومثلك أعيا ذا السلاح المجرّبا

خروجه لحرب بني نصر :

قال أبو عبيدة : أغارت بنو نصر [٢] بن معاوية على ناحية من أرض بني سُليم ، فبلغ ذلك العباس بن مرداس ، فخرج اليهم في جمع من قومه ، فقاتلهم حتى أكثر فيهم القتل ، وظهرت عليهم بنو سليم ، وأسروا ثلاثين رجلاً منهم ، وأخذت بنو نصر فرساً للعباس عائرة [٣] يقال لها زِرّة ، فانطلق بها عطية بن سفيان النصري — وهو يومئذ رئيس القوم — فقال في ذلك العباس :

أبى قومنا إلا الفرار ومن تكن هوازنُ مولاه من الناس يُظلمِ [٤]
أغار علينا جمعهم بين ظالمٍ وبين ابن عمٍ كاذب الودّ أيهمِ [٥]
كلاب وما تفعل كلابٌ فإنها وكعب سراة البيت ما لم تهدّمِ [٦]

---

(١) أبغي : لا أبغي .

(٢) هم بنو نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة . . . فهم وبنو سليم أبناء عم .

(٣) يريد : شاردة وضالة ، من قولهم : أصابه سهم عائر أي لا يدرى من رماه .

(٤) أبى قومنا : يريد بني عمهم بني نصر . يظلم ، أي يتعرّض للظلم والعدوان عليه لضعفهم عن نصرته والذود عنه .

(٥) الأيهم : من لا عقل له ولا فهم .

(٦) كلاب وكعب : هما ابنا ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن . وسراة كل شيء : أعلاه وظهره ووسطه .

فإن كان هذا صُنعكم فتجرّدوا ... لألفين منّا حاسرٍ ومُلأّم[١]
وحربٍ اذا المرء السّمين تمرّست ... بأعطافه بالسيف لم يترمرم[٢]
ولم أحتسبْ سُفيان حتى لقيته ... على مأقط إذ بيننا عِطر مَنشم[٣]
فقلت وقد صاح النساء خلالهم ... لخيليَ شُدّي إنهم قوم لَهذَم[٤]
فما كان تهليلٌ لدن أن رميتهم ... بزرّة ركضاً حاسراً غير مُلجم
إذا هي صدّت نحرها عن رماحهم ... أقدّمها حتى تنعّل بالدم
وما زال منهم رائغٌ عن سبيلها ... وآخر يَهوي لليدين وللفم[٥]
لدُن غُدوةً حتى أستبيحوا عشيّةً ... وذلّوا فكانوا لحمة المتلحِّم[٦]
فآبوا بها عُرفاً وألقيتُ كَلكلي ... على بطل شاكي السلاح مكلَّم[٧]
ولن يمنع الاقوام إلّا مُشايحٌ ... يُطارد في الارض الفضاء ويرتمي[٨]

قال : ثم إن العباس بن مرداس جمع الاسارى من بني نصر – وكانوا ثلاثين

(١) رجل حاسر : لا درع عليه ولا بيضة على رأسه . وملأّم : عليه لأمة، وهي الدرع، والسلاح وأداة الحرب .

(٢) تمرّس به : احتك به . وترمرم : حرّك فاه للكلام .

(٣) المأقط : المضيق الذي يقتتلون فيه . ومنشم : امرأة كانت عطارة بمكة ، وكانوا اذا ارادوا القتال وتطيبوا بطيبها كثرت فيهم القتلى .

(٤) الهذم : القاطع من الاسنة أي قوم ذوو لهاذم .

(٥) راغ : مال وحاد .

(٦) المتلحم : يريد طالب اللحم ومشتهيه .

(٧) العرف : اسم من الاعتراف ، أي آبوا معترفين بالهزيمة . والكلكل : الصدر . شاكي السلاح : ذو شوكة وحد في سلاحه ، مكلم : مجرّح .

(٨) شايح : قاتل ، وجدّ في الامر . ارتموا : تراموا .

رجلًا – فأطلقهم، وظنّ أنهم سيثيبونه بفعله، وأن سفيان سيردّ عليه فرسه زِرّة، فلم يفعلوا، فقال في ذلك :

أزِرّةُ خيرٌ أم ثلاثون منكم طليقاً رددناه اليكم مسلّما

قال : وجعل العباس يهجو بني نصر، فبلغه أن سفيان بن عبد يغوث يتوعّده في ذلك، فلقيه عبّاس في المواسم، فقال له سفيان : والله لتنتهينّ أو لأصرمنّك، فقال عباس :

أتوعدني بالصَّرم إن قلت أوفني فأوفِ وزِد في الصرم لهزمة النتنِ [1]

وقال العباس أيضاً فيه :

ألا مَن مُبلغ سُفيان عني وظني أن سيبلغه الرسولُ
ومولاه عطيّة أنّ قِيلا خلا مني وأن قد بات قيل [2]
سئمتم ربّكم وكفرتموه وذلكم بأرضكم جميل
ألا توفي كما أوفى شبيبٌ تحلّ له الولاية والشمول
أبوه كان خيركم وفاء وخيركم إذا حُمِد الجميل
ألام على الهجاء وكلّ يوم تلاقيني من الجيران غول [3]
سأجعلها لأجمعكم شعاراً وقد يمضي اللسان بما يقول

وهذه الابيات من شعر العباس بن مرداس التي ذكرنا أخباره بذكرها، وفيه الغناء المنسوب من قصيدة قالها في غزاة غزاها بني زُبيد باليمن.

---

(١) اللهزمتان : عظمان ناتئان في اللحيين تحت الاذنين، يريد يا رأس النتن واصله.

(٢) القيل : النول، او القول في الشر. خلا : مضى.

(٣) الغول : الهلكة والداهية.

حربه مع بني زبيد :

قال أبو عمرو وأبو عبيدة : جمع العباس بن مرداس بن أبي عامر – وكان يقال للعباس : مقطِّع الاوتاد – جمعاً من بني سُليم فيه من جميع بطونها، ثم خرج بهم حتى صبّح بني زبيد بتثليث من أرض اليمن بعد تسع وعشرين ليلة، فقتل فيها عدداً كثيراً، وغنم حتى ملأ يديه، فقال في ذلك :

لأسماء رسمٌ أصبح اليوم دارسا وقفتُ به يوماً الى الليل حابسا

يقول فيها :

فدع ذا ولكن هل أتاك مقادنا لأعدائنا نزجي الثقال الكوادسا [١]
سمونا لهم تسعاً وعشرين ليلةً نُجيز من الاعراض وحشا بسابسا [٢]
فلم أرَ مثل الحيّ حيّاً مصبّحاً ولا مثلنا يوم التقينا فوارسا
اذا ما شددنا شدّةً نصبوا لنا صدور المذاكي والرماح المداعسا [٣]
وأحصننا منهم فما يبلغوننا فوارس منّاً يحبسون المحابسا
وجُردٌ كأن الأُسد فوق مُتونها من القوم مرؤساً كميّاً ورائسا
وكنتُ امام القوم أولَ ضاربٍ وطاعنتُ اذ كان الطِعان مُخالسا [٤]
ولو مات منهم من جرحنا لاصبحت ضباعٌ بأكناف الاراك عرائسا

(١) كدست الدواب : أسرعت وركب بعضها بعضاً في سيرها .

(٢) الاعراض : قرى بين الحجاز واليمن . والبسابس : جمع بسبس كجعفر، وهو القفر الخالي.

(٣) المذاكي : الخيل التي أتى عليها بعد قروحها سنة او سنتان . والمداعس : جمع مدعس كمنبر وهو من الرماح الغليظ الشديد الذي لا ينثني ، ودعسه بالرمح : طعنه .

(٤) تخالس القرنان : رام كل واحد منهما اختلاس الآخر .

فأجابه عمرو بن معد يكرب عن هذه القصيدة بقصيدة أوّلها :

لِمَن طللٌ بالخَيف أصبحَ دارسا تبدَّل آراما وعِينا كوانسا [١]

وهي طويلة ، لم يكن في ذكرها مع أخبار العباس فائدة ، وإنما ذكرت هذه الابيات من قصيدة العباس لان الغناء المذكور في أولها .

شعره في جلاء بني النضير وجواب خوّات له :

أخبرني الحَرَمي بن أبي العلاء قال : حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثنا أبو غزيّة عن فُليح بن سليمان قال : قال العباس يذكر جلاء بني النضير ويبكيهم بقوله :

لو أن قطينَ الدّار لم يتحملوا وجدت خلال الدار مَلها وملعبا [٢]
فإنك عَمري هل رأيتَ ظعائنا سلَكن على رُكن الشظاة فَيثبا [٣]
عليهنّ عينٌ من ظِباء تبالةٍ أوانس يُصبين الحليم المجرَّبا
اذا جاء باغي الخير قلن بشاشةً له بوجوهٍ كالدنانير : مرحبا
وأهلًا فلا ممنوع خيرٍ طلبتَه ولا أنت تخشى عندنا أن تؤنّبا
فلا تحسبَنّي كنتُ مولى ابن مِشكمٍ سلامٍ ولا مولى حُيي بن أخطبا [٤]

---

(١) آرام : جمع رئم ، وهو الظبي الخالص البياض . والعين : بقر الوحش . وكنس الظبي كفرب : دخل في كناسه ، وهو ما يستره من الشجر .

(٢) القطين : أهل الدار . تحملوا : ارتحلوا .

(٣) الشظاة بفتح أوله : موضع قبل خيبر ، وميثب : من خيبر هو موضع صدقات رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٤) المولى : الحليف والصاحب . وحيي بن أخطب : سيد بني النضير .

فقال خوّات بنُ جُبير يجيب العبّاس :

أتبكي على قتلى يهودَ وقد ترى ... من الشّجو لو تبكي أحقَّ وأقربا
فهلّا على قتلى ببطن أوارةٍ ... بكيتَ وما تبكي من الشجو مغضبا
اذا السِّلم دارت في الصديق رددتها ... وفي الدين صدّاداً وفي الحرب ثعلبا
وإنك لما أن كلِفت بمدحةٍ ... لِمن كان َميناً مدُحه وتكذُبا
وجئتَ بأمرٍ كنت أهلاً لمثله ... ولم ُتلفِ فيهم قائلاً لك مرحبا
فهلّا الى قوم ملوكٍ مدحتهم ... بنوا من ذُرا المجد المقدّم منصبا
الى معشر سادوا الملوكَ وكُرّموا ... ولم يُلف فيهم طالبُ الحق مُجدبا
أولئك أولى من يهود بمدحةٍ ... تراهم وفيهم عزّة المجد تُرتبا (١)

فقال عباس بن مُرداس يجيبه :

هجوتَ صريحَ الكاهنين وفيكم ... لهم نِعم كانت من الدهر تُرتبا (٢)
أولئك أحرى إن بكيتَ عليهمُ ... وقومُك لو أدّوا من الحق موجبا
من الشكر إن الشكر خيرُ مغبّةٍ ... وأوفقُ فعلاً للذي كان أصوبا
فصرتَ كمن أمسى يقطِّع رأسه ... ليبلغ عزّاً كان فيه مركبا
فبكِّ بني هارون واذكر فعالهمْ ... وقتلهمُ للجوع إذ كنتَ مُسغبا (٣)

قال الزبير : فحدثني محمد بن الحسن عن مُحرز بن جعفر قال : التقى عباس بن مرداس وخوّات بن جبير يوماً عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فقال خوّات : يا عباس أأنت الذي رثيت اليهود : وقد كان منهم في عداوة رسول الله صلى الله

---

(١) الترتب (بضم التاء الاولى وضم الثانية وفتحها) : الشيء المقيم الثابت .

(٢) الصريح : الخالص النسب . والكاهنان : يطلقان على قريظة والنضير .

(٣) أسغب : دخل في المجاعة فهو مسغب ، كما يقال : أقحط : دخل في القحط .

عليه وسلم ما كان! فقال عباس : إنهم كانوا أخلائي في الجاهلية ، وكانوا أقواماً أنزل بهم فيكرمونني ، ومثلي يشكر ما صنع اليه من الجميل ، وكان بينهما قول حتى تجاذبا ، فقال له خوّات : أما والله لئن استقبلت غَرب[1] شبابي ، وشبا أنيابي ، وخشن جوابي ، لتكرهنّ عتابي . فقال عباس : والله يا خوّات ، لئن استقبلت عني وفنّي[2] وذكاء سني ، لتفرنّ مني ، إياي تتوعد يا خوّات ، يا عاني[3] السوآت ! والله لقد استقبلك اللؤم فردَعك[4] ، واستدبرك فكسعك[5] ، وعلاك فوضعك ، فما أنت بمهجوم عليك من ناحية إلا عن فضل لؤم ؛ إيّاي – ثكلتك أمك – تروم ؟ وعليّ تقوم ؟ والله ما نُصبت سُوقُك ، ولأظهرنّ عليك بعدُ ؛ فقال عمر لهما : إما أن تسكتا وإما أن أوجعكما ضرباً ، فصمتا وكفّا ، أخبرني بذلك علي بن نصر قال : حدثني الحسن بن محمد بن جرير ، وحدثني الحرمي بن أبي العلاء ، قال حدثنا عبد الرحمن بن الحسن عن أبيه مثل ذلك . وللعباس مع خوّات مناقضات أخر في هذا المعنى ، كرهتُ الإطالة بذكرها .

رثاه أخوه بشعر :

قال أبو عبيدة : وكان العباس وسراقة وحزن وعمرو بنو مرداس كلهم من الخنساء بنت عمرو بن الشريد ، وكلهم كان شاعراً ، وعباس أشعرهم ، وأشهرهم وأفرسهم وأسودهم ، ومات في الاسلام ، فقال أخوه سراقة يرثيه :

---

(١) الغرب : الحدّة . والشبا جمع شباة ، وهي حد كل شيء .

(٢) العنّ : الاعتراض . والفنّ : الامر العجب ، رجل معنّ مفنّ (كمقص) . معنّ : أي يعن ويعترض في كل شيء ، مفن : يأتي بالعجائب ، ومفن أيضاً ذو فنون من الكلام . والذكاء : شدّة وهج النار .

(٣) أي يا أسير السوآت .

(٤) ردعه بالشيء كفتح : لطخه به .

(٥) كسعه بالسيف كمنع . ضرب دبره به .

أعينِ ألا ابكي أبا الهيثم ... وأذري الدموعَ ولا تسأمي
وأثني عليه بآلائه ... بقول امرئ موجع مؤلم
فما كنتُ بائعه بأمرئ ... أراهُ ببدوٍ ولا موسم
أشد على رجل ظالم ... وأدهى لداهية رِميَم[1]

وقالت أخته عمرة ترثيه :

لتبكِ ابن مرداسٍ على ما عراهم ... عشيرتُه إذ حُمّ أمس زوالُها
لدى الخصم إذ عند الامير كفاهمُ ... فكان اليه فصلها وجدالُها[2]
ومُعضلة للحاملين كفيتها ... اذا أنهلت هُوج الرياح طِلالُها[3]

دعاء النبي عليه السلام لأمته :

وقد روى العباسُ بن مرداس عن النبيّ صلى الله عليه وسلم، ونقل عنه الحديث.

حدثنا الحسين بن الطيّب الشجاعي البلخي بالكوفة قال : حدثنا أيوب بن محمد الطلحي قال : حدثنا عبد القاهر بن السري السلمي قال : حدثنا عبد الله بن كنانة بن عباس بن مرداس السلمي أن أباه حدثه عن جدّه عباس بن مرداس أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا لامته عشيّة عَرَفة قال : فأجيبَ لهم بالمغفرة إلا ما كان من مظالم العباد بعضهم لبعض، قال فإني آخذ للمظلوم من الظالم، قال : أي ربّ ان شئت أعطيتَ للمظلوم من الجنة، وغفرتَ للظالم، فلم يجب في حينه، فلما أصبح في المزدلفة أعاد الدعاء، فأجيب لهم بما سأل، فضحك النبي صلى الله عليه

---

(١) ميثم : شديد الوطء .

(٢) فصلها أي في الخصومات والمشاكل .

(٣) النهل (كسبب) : أوّل الشرب . هوج الرياح : الشديدة الهبوب . طلال : جمع طل وهو أخف المطر واضعفه . يقول، إنه غياث لقومه وقت الجدب حين تهب الرياح الهوجاء حاملة طلالاً لا تغني ولا تسد حاجة .

وسلم أو تبسم ، فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه : بأبي أنت وأمي ! إن هذه لساعة ما كنتَ تضحك فيها أو تبسم ، فقال : إن ابليس لما علم أن الله غفر لامتي جعل يحثو التراب على رأسه ، ويدعو بالويل والثبور ، فضحكتُ من جَزَعه.

تمت أخبار العباس.

صوت

أرجوكَ بعد أبي العباس إذ بانا ... يا أكرم الناس أعراقاً وعيدانا
أرجوك من بعده إذ بان سيّدنا ... عنا ولولاك لاستسلمت اذ بانا
فأنت أكرم من يمشي على قدم ... وأنضرُ الناس عند المحل أغصانا
لو مَجَّ عودٌ على قومٍ عُصارته ... لمجّ عودك فينا المسك والبانا

الشعر لحمّاد عجرد ، والغناء لحكم الوادي ، ولحنه من القدر الاوسط من الثقيل الاول بالبنصر في مجراها .

أخبار حماد عجرد ونسبه

هو حمّاد بن يحيي بن عمر بن كليب ، ويكنى أبا عمر ، مولى بني عامر بن صعصعة ، وذكر ابن النطّاح أنه مولى بني سَراة ، وذكر سليمان بن أبي شيخ عن صالح بن سليمان أنه مولى بني عُقيل ، وأصله ومنشؤه بالكوفة ، وكان يبري النَّبل ، وقيل : بل أبوه كان نبّالاً ، ولم يتكسب هو بصناعة غير الشعر .

وقال صالح بن سليمان : كان عمٌّ لحمّاد عجرد يقال له مؤنس بن كليب ، وكانت له هيئة — وابن عمه عمارة بن حمزة بن كليب — انتقلوا عن الكوفة ونزلوا واسطاً ، فكانوا بها ، وحمّاد من مخضرمي الدولتين الاموية والعباسية ، إلّا أنه لم يشتهر في أيام بني أمية شهرته في أيام بني العباس ، وكان خليعاً ماجناً ، متّهماً في دينه ، مرمياً بالزندقة .

كان أبوه مولى لبني هند ، وهجاء بشار له :

أخبرني عمي قال : حدثنا أحمد بن أبي طاهر قال : قال أبو دعامة : حدثني عاصم بن أفلح بن مالك بن أسماء قال : كان يحيي أبو حمّاد عجرد مولًى لبني هند بنت أسماء بن خارجة ، وكان وكيلًا لها في ضَيعتها بالسواد[1] ، فولدتْ هندٌ من بشر بن مروان عبد الملك بن بشر ، فجرّ عبد الملك ولاء مَوالي أمّه فصاروا مواليه . قال : ولما كان والدُ حمّاد عجرد بالسواد في ضَيعتها نبَطه[2] بشّارٌ لمّا هجاه بقوله :

---

(١) أي سواد العراق .

(٢) نبطه : نسبه الى النبط .

وَاشْدُدْ يديك بحمَّاد أبي عُمرٍ فإنّه نبطيٌّ من زنابيرِ [١]

قال : وإنما لقبه بعجرد عمرو بن سِنديّ مولى ثقيف لقوله فيه :

سبحتْ بغلةٌ ركبتَ عليها عجباً منك خيبةٌ للمسيرِ [٢]

زعمت أنها تراه كبيراً حملها عجرد الزّنا والفجور [٣]

إن دهراً ركبتَ فيه على بغلٍ وأوقفته بباب الأميرِ

لجديرٌ ألّا نرى فيه خيراً لصغيرٍ منّا ولا لكبيرِ

ما أمرؤ ينتقيك يا عُقدة الكلـ ـب لأسراره بجدٍّ بصيرِ [٤]

لا ولا مجلسٌ أجنَّك للذا ت يا عجرد الخنا بستيرِ [٥]

يعني بهذا القول محمد بن أبي العباس السفّاح ، وكان عجرد في ندمائه ، فبلغ هذا الشعر أبا جعفر ، فقال لمحمد : ما لي ولعجرد يدخل عليك ؟ لا يبلغني أنك أذنت له ، قال : وعجرد مأخوذٌ من المعجرد ، وهو العريان في اللغة ، يقال : تعجرد الرجل إذا تعرّى فهو يتعجرد تعجرداً : وعجردتُ الرجل أعجرده عجردةً إذا عرّيته .

أخبرني إسماعيل بن يونس قال : حدثنا عمرو بن شبَّة ، وأخبرني ابراهيم بن أيّوب عن ابن قتيبة ، ونسخت من كتاب عبد الله بن المعتزّ ، حدثني الثقفيّ عن ابراهيم بن عمر العامريّ قال : كان بالكوفة ثلاثة نفر يقال لهم الحمّادون : حمّاد عجرد وحمّاد الراوية ، وحماد بن الزّبرقان ، يتنادمون على الشراب ، ويتناشدون

---

(١) زنابير : أرض باليمن .

(٢) سبح الفرس : مدّ يديه في العدو ، شبهه بالسابح في الماء .

(٣) حملها : بدل من الهاء في تراه .

(٤) عقدة الكلب : قضيبه .

(٥) أجنك : سترك . الخنا : الفحش . ستير : مستور .

الاشعار ويتعاشرون معاشرةً جميلة ، وكانوا كأنهم نفس واحدة ، يُرمون بالزندقة جميعاً وأشهرهم بها حمّاد عجرد .

أخبرنا الفضل بن الحباب الجمحيّ أبو خليفة إجازةً عن التوَّزيّ : أن حمّاداً لقِّب بعجرد لأن أعرابياً مرَّ به في يوم شديد البرد وهو عُريان يلعب مع الصبيان فقال له : تعجردتَ يا غلام ؛ فسمّيَ عجرداً .

قال أبو خليفة : المتعجرد : المتعرّي ؛ والعجرد أيضاً : الذهب .

سبب مهاجاة بشار :

أخبرني أحمد بن يحيى بن علي بن يحيى ، عن علي بن مهدي ، عن عبد الله بن عطية ، عن عبّاد بن الممزّق ، وأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ ، قال : حدثنا عمر بن شبة قال : كان السبب في مهاجاة حمّاد عجردٍ بشّاراً أن حمّاداً كان نديماً لنافع بن عُقبة ، فسأله بشّار تنجّز حاجة له من نافع ، فأبطأ عنها ، فقال بشارٌ فيه :

مواعيد حمّاد سماءٌ مُخيلةٌ تكشف عن رعد ولكن ستبرُقُ (١)
إذا جئته يوماً أحال على غدٍ كما وعد الكمّون ما ليس يصدُقُ (٢)
وفي نافع عني جفاءٌ ، وإنني لأطرق أحياناً، وذو اللبّ يُطرق
وللنَّقَرى قومٌ فلو كنت منهمُ دُعيتُ ولكن دونيَ الباب مغلق (٣)

---

(١) السحابة المخيلة : التي تحسبها ماطرة .

(٢) يعني انه كلما تطلب السعي تمهل وسوّف وقال : غداً غداً .

(٣) يقال : دعاهم النقرى ، اي دعوة خاصة ، وهو ان يدعو بعضاً دون بعض ينقّر باسم الواحد بعد الواحد.

أبا عُمرٍ خلّفتُ خلفك حاجتي وحاجةُ غيري بين عينيك تبرُقُ
وما زلتُ أستأنيك حتى حسرتني بوعدٍ كجاري الآل يخفى ويخفق [١]

قال: فغضب حمّاد وأنشد نافعاً الشِعر، فمنعه من «صلة» بشّار، فقال بشّار:

أبا عُمرٍ ما في طِلابيك حاجةٌ ولا في الذي منّيتنا ثم أصحرا
وعدتَ فلم تصدُق وقلتَ غداً غداً كما وُعد الكمُّون شرباً مؤخّراً

قال: فكان ذلك السبب في التهاجي بين بشّار وحمّاد.

كان من كبار الزنادقة:

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عمّار قال: حدثني أبو اسحاق الطّلحي قال: حدثني أبو سُهيل قال: حدثني أبو نواس قال: كنت أتوهم أن حمّاد عجرد انما رمي بالزندقة لمجونه في شعره، حتى حُبستُ في حبس الزنادقة، فاذا حمّاد عجرد إمامٌ من أئمتهم، واذا له شعر مزاوج بيتين بيتين يقرأون به في صلاتهم، قال: وكان له صاحب يقال له حريث [٢] على مذهبه، وله يقول بشّارٌ حين مات حمّاد عجردٍ على سبيل التعزية له:

بكى حُريثٌ فوقّره بتعزيةٍ مات ابن نِهيا وقد كانا شريكين
تفاوضا حين شابا في نسائهما وحلّلا كلَّ شيء بين رِجلين [٣]

(١) استأنى به: انتظر به ولم يعجله. حسره: كشفه. الآل: السراب، وقيل: الآل هو الذي يكون ضحىً كالماء بين السماء والارض، وأما السراب فهو الذي يكون نصف النهار لاطئاً بالارض كأنه ماء جارٍ.

(٢) وأراد ها هنا: حريث بن أبي الصلت الحنفي كما سيأتي بعد.

(٣) التفاوض والمفاوضة: الاشتراك في كل شيء.

أمسى حُريثٌ بما سدّى له غيراً   كراكب اثنين يرجو قوّة اثنين
حتى اذا أخذا في غير وجههما   تفرّقا وهوى بين الطريقين

يعني أنه كان يقول بقول الثّنوية[1] في عبادة اثنين، فتفرّقا وبقي بينهما حائراً، قال: وفي حمّاد يقول بشّار أيضاً وينسبه الى انه ابن نِهيا:

يابن نِهياً رأسٌ عليَّ ثقيلُ   واحتمالُ الرؤوس خطبٌ جليلُ
أُدع غيري الى عبادة الاثنين   فإني بواحدٍ مشغول
يابن نِهيا برئتُ منك الى الله   جهاراً، وذاك مني قليل

قال: فأشاع حمّاد هذه الابيات لبشار في الناس، وجعل فيها مكان «فإني بواحد مشغول»: «فإني عن واحد مشغول» ليصحح عليه الزندقة والكفر بالله تعالى، فما زالت الابيات تدور في أيدي الناس حتى انتهت الى بشّار، فاضطرب منها وتغيّر وجزع وقال: أشاطَ ابن الزانية بدمي[2]، والله ما قلت إلا «فإني بواحد مشغولُ» فغيّرها حتى شهرني في الناس بما يهلكني.

هجاء بشار له:

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال: حدثنا سليمان بن أبي شيخ قال: حدثني صالح بن سليمان الخثعميّ قال: قيل لعبد الله بن ياسين: ان بشّاراً المرعّث[3] هجا حمّاداً فنبّطه، فقال عبد الله: قد رأيت جدّ حمّاد، وكان يسمّى كليباً، وكانت

(١) الثنوية: فرقة يقولون باثنينية الاله، أي إله الخير وإله الشر.

(٢) يقال: أشاط دمه وبدمه: أذهبه، أو عمل في هلاكه، أو عرّضه للقتل.

(٣) كان بشار بن برد يلقب بالمرعّث، لرعاث كانت له في صغره في أذنه؛ ورعاث بالكسر: جمع رعثة بالفتح، وهو ما علق بالاذن من قرط ونحوه.

صناعته صناعة لا يكون فيها نبطيّ ، كان يبري النبال ويريشها ، وكان يقال له : كليب النبّال ، مولى بني عامر بن صعصعة .

هجاء بشار له ولصديقه سليم :

أخبرني أحمد بن العباس العسكريّ المؤدّب ، قال : حدثنا الحسن بن عُليل العنزيّ قال : حدثني أحمد بن خلّاد قال : كان بشّار صديقاً لسلَيم بن سالم مولى بني سعد ، وكان المنصور أيام استتر بالبصرة نزل على سلَيم بن سالم ، فولّاه أبو جعفر حين أفضى الامر اليه السُّوس وجُندَيسابور ، فانضمّ اليه حماد عجرد ، فأفسده على بشار ، وكان له صديقاً ، فقال بشار يهجوهما :

أمسى سُلَيم بأرض السوس مُرتفقاً   في خزّها بعد غربالٍ وأمدادِ [1]
ليس النعيم وإن كنّا نُزَنّ به   إلّا نعيم سُلَيم ثمّ حمّادِ [2]
نِيكا وناكا ولم يشعر بذا أحدٌ   في غفلةٍ من نبيّ الرحمة الهادي

فنشب الشرُّ بين حمّاد وبشار .

دخل بينه وبين بشار رجل بصري :

أخبرني عمي قال : حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه ، عن عمر بن شبة ، عن أبي أيّوب الزبالي ، قال : كان رجل من أهل البصرة يدخل بين حمّاد وبشار على اتفاق منهما ورِضاً بأن يَنقل إلى كل واحد منهما وعنه الشِعر ، فدخل يوماً الى بشار فقال له : إيهِ يا فلان ، ما قال ابن الزانية فيّ ؟ فأنشده :

---

(١) ارتفق : اتكأ على مرفقة : وهي المتكأ والمخدة ، يكنى بذلك عن أنه صار منعماً مترفاً بعد أن كان ممتهناً . أمداد ، جمع مدّ بالضم ، وهو مكيال ، ويفهم من هذا أنه كان قبل الولاية كيّالاً .

(٢) أزننته بكذا : اتهمته به .

إن تاهَ بشَّارٌ عليكم فقد   أمكنتُ بشَّاراً من التِّيهِ

فقال بشَّار : بأيِّ شيء ويحك ؟ فقال :

وذاك إذ سَمَّيته باسمه   ولم يكن حرٌّ يسمّيهِ

فقال : سخنتْ عينه[1] ، فبأي شيء كنت أعرَف ؟ إيهٍ ، فقال :

فصار إنساناً بذكري له   ما يبتغي من بعد ذِكريهِ ؟

فقال : ما صنع شيئاً ، إيهٍ ويحك ؟ فقال :

لم أهجُ بشَّاراً ولكنني   هجوتُ نفسي بهجائيهِ

فقال : على هذا المعنى دار ، وحوله حام ، إيهٍ أيضاً ، وأي شيء قال ؟ فأنشده :

أنت ابن برد مثلُ بُرْ   دٍ في النَّذالة والرَّذالهْ
من كان مثل أبيك يا   أعمى أبوه فلا أبا لَه

فقال : جوَّد ابن الزانية ، وتمام الأبيات الأُوَل :

لم آتِ شيئاً قطُّ فيما مضى   ولست فيما عشتُ آتيهِ
أسوأ لي في الناس أحدوثةً   من خطإٍ أخطأتُه فيه
فأصبح اليوم بسبِّي له   أعظم شأناً من مواليه

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال : حدثنا عمر بن شبة ، عن خلَّاد الأرقط قال : أنشد بشَّاراً راويته قولَ عجرد فيه :

دُعيتَ الى بُرد وأنت لغيره   فهبكَ ابن بُردٍ نكتَ أمّكَ من بُرْدُ ؟

---

(١) سخنت عينه : نقيض قرّت ، دعاء عليه .

فقال بشّار لراويته : ها هنا أحد ؟ قال : لا ، فقال : أحسن والله ما شاء ابن الزانية .

أخبرني أحمد بن العباس العسكري قال : حدثنا الحسن بن عُليل العنزي قال : حدثني محمد بن يزيد المهلّبي قال : حدثني محمد بن عبد الله بن أبي عُيَينة قال : قال حماد عجرد لمّا أنشد قول بشار فيه :

يابنَ نِهيا رأسُ عليّ ثقيل   واحتمال الرأسين أمرٌ جليلُ
فادعُ غيري الى عبادة ربّين   فإني بواحد مشغول

والله ما أبالي بهذا من قوله ، وإنما يغيظني منه تجاهله بالزندقة ، يوهم الناس أنه يظن أن الزنادقة تعبد رأساً ليظنّ الجهّال أنه لا يعرفها ، لان هذا قولٌ تقوله العامّة لا حقيقة له ، وهو والله أعلم بالزندقة من ماني .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز وأحمد بن عبيد الله بن عمّار وحبيب بن نصر المهلّبي ، قالوا : حدثنا عمر بن شبة ، قال : حدثنا أبو أيوب الزبالّي قال : قال بشار لراوية حماد : ما هجاني به اليوم حماد ؟ فأنشده :

ألا من مُبلغٌ عني الّذي والدُه بُردُ

فقال : صدق ابن الفاعلة ، فما يكون ؟ فقال :

إذا ما نُسب الناسُ فلا قبلٌ ولا بَعدُ

فقال : كذب ابن الفاعلة، وأين هذه العرصات من عُقيل ؟ فما يكون ؟ فقال :

وأعمى قَلطبانٌ ما على قاذفه حَدٌّ

فقال : كذب ابن الفاعلة ، بل عليه ثمانون جَلدةً ، هيه ، فقال :

وأعمى يشبه القرد إذا ما عميَ القردُ

فقال: والله ما أخطأ ابن الزانية حين شبَّهني بقرد، حسبك حسبك، ثم صفّق بيديه، وقال: ما حيلتي؟ يراني فيشبِّهني ولا أراه فأشبِّهه.

وقال: أخبرني بهذا الخبر هاشم بن محمد الخزاعي قال: حدثنا أبو غسَّان دماذ فذكر مثله، وقال فيه: لمَّا قال حمَّاد عجردٍ في بشَّار:

شبيه الوجه بالقردِ إذا ما عميَ القردُ

بكى بشَّار، فقال له قائل: أتبكي من هجاء حمَّاد؟ فقال: والله ما أبكي من هجائه ولكن أبكي لأنه يراني ولا أراه، فيصفني ولا أصفُه، قال: وتمام هذه الأبيات:

ولو يَنكه في صَلدٍ صَفاً لانصدع الصَّلدُ
دنيٌّ لم يرُح يوماً الى مجدٍ ولم يَغدُ
ولم يحضر مع الحضاً رِ في خيرٍ ولم يَبدُ
ولم يُخشَ له ذمٌّ ولم يُرجَ له حَمدُ
جرى بالنحس مذ كان ولم يجرِ له سعدُ
هو الكلب إذا ما ما تَ لم يوجد له فَقدُ

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال: حدثنا عمرو بن شبة قال: حدثني خلَّاد الأرقط قال: أشاع بشار في الناس أن حماد عجردٍ كان يُنشد شعراً ورجلٌ بإزائه يقرأ القرآن وقد اجتمع الناس عليه، فقال حماد: علامَ اجتمعوا؟ فوالله لما أقول أحسن ممَّا يقول.

قال: وكان بشَّار يقول: لمَّا سمعتُ هذا من حماد مَقتُّه عليه.

هجاء بشار له:

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عمَّار قال: أخبرني أبو إسحاق الطَّلحي قال:

حدثني أبو سُهيل عبد الله بن ياسين أن بشّاراً قال في حماد عجرد وسُهيل بن سالم، وكان سُهيلٌ من أشراف أهل البصرة، وكان من عمّال المنصور، ثم قتله بعد ذلك بالعذاب، وكان حمّادٌ وسهيلٌ نديمين:

ليس النعيمُ وإن كنّا نُزَنّ به ... إلّا نعيم سُهيلٍ ثمّ حمّادِ
ناكا ونيكا إلى أن لاحَ شيبهما ... في غفلةٍ عن نبيّ الرحمة الهادي
فَهدَين طوراً وفهّادين آونةً ... ما كان قبلهما فَهدٌ بفهّاد[1]
سبحانك الله لو شئتَ امتسختهما ... قِردَين فاعتلجا في بيت قرّاد[2]

قال: يعني بقوله * ما كان قبلهما فهدٌ بفهّاد * أي لم يكن الفهد فهّاداً، كما تقول: لم يكن زيد بظريف، ولم يكن زيدٌ ظريفاً، قال ابن ياسين: وفيه يقول بشار أيضاً:

ما لُمتُ حمّاداً على فِسقه ... يلومه الجاهل والمائق[3]
وما هما من أيره وأسته؟ ... مَلَّكه إيّاهما الخالق
ما بات إلّا فوقه فاسقٌ ... يَنيكه أو تحته فاسق

هجاؤه لبشار:

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال: أنشدني ابن أبي سعد لحمّاد عجرد في بشار — قال وهو من أغلظ ما هجاه به عليه —:

نهارُه أخبثُ من ليله ... ويومُه أخبثُ من أمسهِ

(١) الفهّاد: صاحب الفهود الذي يعلّمها الصيد.

(٢) اعتلجا: تصارعا وتقاتلا.

(٣) المائق: الاحمق.

وليس بالمقلع عن غيّه حتى يُوارى في ثرى رَمسِهِ [1]

قال : وكان أغلظ على بشار من ذلك كله وأوجعه له قوله فيه :

لو طُليتْ جلدُته عنبراً لأفسدتْ جلدُته العنبرا
أو طُليتْ مسكاً ذكيّاً إذاً تحوّل المسك عليه خرا

قال ابن أبي سعد : وقد بالغ بشارٌ في هجاء حماد ، ولكن حكم الناسُ عليه لحماد بهذه الابيات .

اتصاله بالربيع :

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال : حدثني عمر بن محمد بن عبد الملك الزيات قال : حدثني أحمد بن إسحاق قال : حدثني عثمان بن سفيان العطار قال : اتصل حمّاد عجرد بالربيع [2] يؤدّب ولده ، فكتب اليه بشارٌ رقعةً ، فأوصلت الى الربيع ، فطرده لمّا قرأها ، وفيها مكتوب :

يا أبا الفضل لا تنمْ وقعَ الذئبُ في الغنمْ
أن حماد عجردٍ إن رأى غفلةً هجم
بين فخذيه حربةٌ في غلافٍ من الأدَم [3]
إن خلا البيتُ ساعةً مجمجَ الميمَ بالقلم

فلما قرأها الربيع قال : صيّرني حماد دريئة الشعراء ، أخرجوا عني حماداً ، فأُخرج .

---

(١) الرمس : القبر .

(٢) هو الربيع بن يونس وزير المنصور ، وتوفي سنة ١٧٠ هـ .

(٣) الأدم : الجلد .

أخبرني يحيي بن علي بن يحيي إجازة، عن علي بن مهدي، عن عبد الله بن عطية، عن عبّاد بن الممزّق أن حماد عجردٍ كان يؤدب ولد العباس بن محمداً الهاشمي، فكتب اليه بشارٌ بهذه الابيات المذكورة، فقال العباس: ما لي ولبشّار؟ أخرجوا عني حمّاداً، فأُخرج.

هجاؤه لبشار:

أخبرني يحيي بن علي قال: حدثني محمد بن القاسم قال: حدثني عبد الله بن طاهر بن أبي أحمد الزُّبيريّ قال: لما أخرج العباس بن محمد حماداً عن خدمته، وانقطع عنه ما كان يصل اليه منه، أوجعه ذلك، فقال يهجو بشاراً:

لقد صار بشار بصيراً بدُبره وناظره بين الأنام ضريرُ
له مُقلةٌ عمياء واستٌ بصيرةٌ الى الأيْر من تحت الثياب تشير
على ودّه أن الحمير تنيكه وأن جميع العالمين حمير

شعره في قطرب:

قال أبو الفرج الأصفهاني: وقد فعل مثل هذا بعينه حماد عجردٍ بقطرُب[١].

أخبرني عمي عن عبد الله بن المعتز قال: حدثني أبو حفص الأعمى المؤدّب، عن الزُّبالي قال: اتخذ قطرب النحويُ مؤدّباً لبعض ولد المهدي، وكان حماد عجرد يطمع في أن يجعل هو مؤدّبه، فلم يتمّ له ذلك، لتهتُّكه وشهرته في الناس بما قاله فيه بشار، فلما تمكن قطرب في موضعه صار حماد عجرد كالمُلقى على الرَّضْف[٢]، فجعل يقوم ويقعد بقطرب في الناس، ثم أخذ رقعةً فكتب فيها:

---

(١) هو أبو علي محمد بن المستنير البصري النحوي، أخذ عن سيبويه، ولقبه سيبويه بقطرب، لانه كان يخرج فيراه بالاسحار على بابه فيقول له: ما أنت إلا قطرب ليل؛ والقطرب: ذكر الغيلان أو الذئب الامعط أو صغار الجن أو الخفيف أو طائر او دابة صغيرة لا تستريح من الحركة وتوفي سنة ٢٠٦ ﻫ.

(٢) الرضف: الحجارة المحماة بالشمس أو النار.

قـل للإمام جزاك الله صالحةً لا تجمع الدهر بين السَّخل والذيبِ[1]
السَّخل غِرٌّ وهمُّ الذئب فُرصتـه والذئب يعلم ما في السخل من طيب

فلما قرأ هذين البيتين قال: انظروا لا يكون هذا المؤدّب لوطياً، ثم قال: أنفوه عن الدار، فأُخرج عنها، وجيء بمؤدّب غيره، ووكل به تسعون خادماً يتناوبون، يحفظون الصبيّ، فخرج قطرب هارباً مما شهر به الى عيسى بن إدريس العجلي ابن أبي دلف فأقام معه بالكرج الى أن مات.

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا أحمد بن الحارث، عن المدائني قال: لما قال حماد عجردٍ في بشار:

ويا أقبح من قردٍ إذا ما عميَ القردُ

قال بشار: لا إله إلا الله، قد والله كنت أخاف أن يأتيَ به، والله لقد وقع لي هذا البيت منذ أكثر من عشرين سنة، فما نطقت بـه خوفاً من أن يسمع فأُهجى به، حتى وقع عليه النبطيُّ ابن الزانية.

كان ابو حنيفة صديقاً له:

قال أبو الفرج: نسخت من كتاب عبد الله بن المعتز، حدثني العجلي قال: حدثني أبو دُهمان قال: كان أبو حنيفة الفقيه صديقاً لحماد عجرد، فنسك أبو حنيفة وطلب الفقه، فبلغ فيه ما بلغ، ورفض حماداً وبسط لسانه فيـه، فجعل حماد يلاطفه حتى يكفّ عن ذكره، وأبو حنيفة يذكره، فكتب اليه حمادٌ بهذه الابيات:

إن كان نسكك لا يتـمّ بغير شتمي وانتقاصي

(١) السخل والسخال: جمع سخلة: وهو ولد الشاة عند ولادته ذكراً او أنثى.

أو لم تكن إلّا بـه ترجو النجـاة من القصاصِ
فاْقعـد وقم بي كيف شئـتَ مع الأداني والأقاصي
فلطالمـا زكّيتـني وأنا المقيم على المعاصي
أيّام تأخذهـا وتُعـطي في أباريق الرّصـاص

قال: فأمسك أبو حنيفة رحمه الله بعد ذلك عن ذكره خوفاً من لسانه.

وقد أخبرني بهذا الخبر محمد بن خلف وكيع قال: حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن النضر بن حديد قال: كان حمـاد عجرد صديقاً ليحيي بن زياد، وكانا يتنادمان ويجتمعان على ما يجتمع عليه مثلهما، ثم إن يحيي بن زياد أظهر تورّعاً وقراءةً ونزوعاً عما كان عليه، وهجر حماداً وأشباهه، فكان إذا ذكر عنده ثلبه وذكر تهتّكه ومجونه، فبلغ ذلك حماداً، فكتب اليه:

هل تذكرنْ دَلجي اليـك على المضمّرة القلاصِ[1]
أيام تعطيـني وتأ خذُ من أباريق الرّصاص
إن كان نسكك لا يتـمّ بغير شتمي وانتقـاصي
أو كنت لست بغير ذا ك تنال منزلة الخـلاص
فعليـك فاْشتم آمناً كلّ الأمان من القصاص
واْقعـد وقم بي ما بـدا لك في الأداني والأقاصي
فلطالمـا زكّيتـني وأنا المقيم على المعـاصي
أيام أنت إذا ذُكرْ تُ مناضـلٌ عني مُناصي[2]
وأنا وأنت عـلى ارتكا ب المُوبقـات من الحِراص
وبنـا مواطنُ مـا يُنا في البرّ آهـلةُ العراص[3]

(١) الدلج: السير من أوّل الليل. والمضمّرة: المكتنزة اللحم. والقلوص من الابل: الشابة أو الباقية على السير، والجمع قلائص وقلص، وجمع الجمع قلاص.

(٢) ناصاه مناصاة: جاذبه فأخذ كل واحد منها بناصية صاحبه.

(٣) العراص: جمع عرصة وهي البقعة الواسعة بين الدار التي ليس فيها بناء.

فاتّصل هذا الشعر بيحيي بن زياد، فنسب حماداً الى الزندقة ورماه بالخروج على الاسلام، فقال حمّاد فيه:

لا مؤمنٌ يُعرَف إيمانه وليس يحيي بالفتى الكافرِ
منافقٌ ظاهره ناسكٌ مخالف الباطن للظاهر

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال: حدثنا ابن أبي سعد، عن النضر بن عمرو قال: كان لحماد عجردٍ إخوانٌ ينادمونه، فانقطع عنه الشراب، فقطعوه، فقال لبعضهم:

لستَ بغضبان ولكنني أعرف ما شأنك يا صاحِ
أن فقدتُ الرّاح جانبتني ما كان حبّيك على الراح
قد كنت من قبل وأنت الذي يعنيك إمسائي وإصباحي
وما أرى فعلك إلّا وقد أفسدني من بعد إصلاحي
أنت من الناس وإن عبتهم دونكها مني بإفصاح

كان من ندماء الوليد بن يزيد:

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق قال: حدثني ميمون بن هارون عن أبي محلّم أن الوليد[٢] بن يزيد أمر شراعة بن الزّندبوذ أن يسمي له جماعةً ينادمهم من ظرفاء أهل الكوفة، فسمّى له مطيع بن إياس وحماد عجردٍ والمطيعيّ المغني، فكتب في إشخاصهم اليه، فأشخصوا، فلم يزالوا في ندمائه الى أن قُتل، ثم عادوا الى أوطانهم.

أخبرني عيسى بن الحسين قال: حدثني حماد عن أبيه عن محمد بن الفضل

(١) أي خذها كلمة فصيحة صريحة.

(٢) هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان، ولي الخلافة سنة ١٢٥ وقتل سنة ١٢٦.

السكوني قال: تزوّج حمّاد عجردٍ امرأة، فدخلنا اليه صبيحة بنائه بها نهنّئه ونسأله عن خبره، فقال لنا: كنت البارحة جالساً مع أصحابي أشرب، وأنا منتظرٌ لامرأتي أن يؤتى بها، حتى قيل لي: قد دخلتْ، فقمت اليها فوالله ما لبثتها حتى افتضضتها، وكتبت من وقتي الى أصحابي:

قد فتحتُ الحصن بعد امتناع بمشيحٍ فاتحٍ للقلاعِ
ظفرتْ كفّي بتفريق شملٍ جاءنا تفريقه باجتماع
فإذا شعبي وشعب حبيبي إنما يلتام بعد انصداع

اجتماعه بوجوه البصرة:

أخبرني محمد بن القاسم الانباري عن أبيه، وأخبرني الحسن بن علي عن القاسم ابن محمد الانباري، قال: حدثنا الحسن بن عبد الرحمن عن أحمد بن الاسود بن الهيثم، عن ابراهيم بن محمد بن عبد الحميد، قال: اجتمع عمي سهم بن عبد الحميد وجماعة من وجوه أهل البصرة عند يحيي بن حُميد الطويل، ومعهم حماد عجرد، وهو يومئذ هاربٌ من محمد بن سليمان، ونازلٌ على عُقبة بن سَلم وقد أُمِن، وحضر الغداء، فقيل له: سهمُ بن عبد الحميد يصلي الضحى، فانتظر، وأطال سهمٌ الصلاة، فقال حماد:

ألا أيهذا القانتُ المتهجّدُ صلاتك للرّحمن أم ليَ تسجدُ(١)؟
أما والذي نادى من الطُّور عبده لمن غير ما برٍّ تقوم وتقعد
فهلّا اتقيتَ الله إذ كنت والياً بصنعاء تبري من وليتَ وتجرُدُ
ويشهد لي أني بذلك صادقٌ حُرَيثٌ ويحيي لي بذلك يشهد
وعند أبي صفوان فيك شهادةٌ وبَكرٍ، وبكرٌ مُسلمٌ متهجّد
فإن قلتَ زِدني في الشهود فإنه سيشهد لي أيضاً بذاك محمد

(١) القانت: الطائع. المتهجد: المصلي بالليل.

قال: فلما سمعها قطع الصلاة وجاء مبادراً، فقال له: قبحك الله يا زنديق، فعلتَ بي هذا كله لشرهك في تقديم أكلٍ وتأخيره! هاتوا طعامكم فأطعموه لا أطعمه الله تعالى، فقدّمت المائدة.

أخبرني يحيى بن علي بن يحيى، عن أبيه، عن إسحاق الموصلي، عن محمد بن الفضل السّكوني قال: لقيت حماد عجردٍ بواسط وهو يمشي وأنا راكب، فقلت له: انطلق بنا الى المنزل، فإني الساعة فارغ لنتحدّث، وحبست عليه الدّابة، فقطعني شُغلٌ عرض لي لم أقدر على تركه، فمضيتُ وأُنسيته، فلما بلغتُ المنزل خفتُ شرّه، فكتبت اليه:

أبا عُمرٍ اغفِر هُديتَ فإنني قد اذنبتُ ذنباً مخطئاً غيرَ عامدِ
فلا تجدن فيه عليَّ فإنني أُقِرُّ بإجرامي ولستُ بعائد[1]
وهبه لنا تفديك نفسي فإنني أرى نعمةً إن كنت لست بواجد
وعُد منك بالفضل الذي أنت أهله فإنك ذو فضل طريفٍ وتالد

فكتب إليّ مع رسولي:

محمدُ يابن الفضل يا ذا المحامد ويا بهجة النادي وزينَ المشاهدِ
وحقّك ما أذنبت منذ عرفتني على خطإٍ يوماً ولا عمدِ عامد
ولو كان، ما ألفيتني متسرّعاً اليك به يوماً تسرُّع واجد

أي لو كان لك ذنب ما صادفتني مسرعاً اليك بالمكافأة[2]:

ولو كان ذو فضل يسمّى لفضله بغير اسمه سُمّيتَ أمّ القلائد

---

(١) وجد عليه يجد بكسر الجيم وضمها موجدة ووجداً: غضب.

(٢) المكافأة: المجازاة.

قال: فبينا رقعته في يدي وأنا أقرؤها إذ جاءني رسوله برقعة فيها:

قد غفرنا الذنب يابن الـــفضل والذنب عظيمُ
ومسيءٌ أنت يابن الـــفضل في ذاك مُليمُ[1]
حين تخشاني على الذنـــب كما يُخشى اللئيم
ليس لي إن كان ما خِفــت من الامر حريم
أنا والله – ولا أفـــخرُ – للغيـظ كظوم
ولأصحابي ولاء ربه بَرٌّ رحيم
وبما يرضيهم عـــني ويرضيني عليم

مديحه لجلة من أبناء ملوك فارس:

أخبرني يحيى بن علي، عن أبيه عن إسحاق قال: خرج حماد عجرد مع بعض الامراء الى فارس، وبها جِلَّةٌ من ابناء الملوك، فعاشر قوماً من رؤسائها، فأحمد معاشرتهم، وسُرَّ بمعرفتهم، فقال فيهم:

ربَّ يوم بفساء[2] ليس عندي بذميمِ
قد قرعتُ العيش فيــه مع ندمانٍ كريم
من بني صهيون في البيـــت المعلى والصميم
في جنانٍ بين أنهـا رٍ وتعريش كُروم
نتعاطى قهوةً تُشـــخص يقظانَ الهموم[3]

(١) ألام: أتى ما يلام عليه.

(٢) فسا (بالقصر): أنزه مدينة بفارس فيا قيل، بينها وبين شيراز أربع مراحــل، مدّه هنا للشعر.

(٣) القهوة: الخمر. وشخص كمنع: خرج من موضع الى غيره، وأشخصه: أخرجه.

بنتَ عشرٍ تترك المُكـثر منهـا كالأميم[١]
فيها دأباً أحيي ويحييـني نديمي
في إناء كِسرويٍ مستخفٍ للحلـيم
شربةٌ تعدِل منـه شربتي أمّ حكيم
عندنا دِهقانةٌ حُسـانةٌ ذاتُ هميم[٢]
جُمعتْ ما شئتَ من حُسـنٍ ومن دلٍّ رخيم[٣]
في اعتدال من قَوامٍ وصفاء مـن أديم
وبنـانٍ كالمداري وثنـايا كالنجوم[٤]
لم أنل منهـا سوى غمـزةِ كفٍّ أو شميم[٥]
غير أن أقرُص منهـا عُكنةَ الكشح الهضيم[٦]
وبلى أطـم منها خدَّها لطمَ رَحيم
وبنفسي ذاك يا أسـودُ من خـدٍّ لطيم

يعني الاسودَ بن خلف كاتب عيسى بن موسى .

حريث بن أبي الصلت يعيبه بالبخل :

أَخبرني محمد بن مزيد بن أبي الازهر قال : حدثنا حماد بن إسحاق ، عن أبيه

(١) يقال : رجل أميم ومأموم ، أي يهذي من أم رأسه .

(٢) دهقانة : مؤنث دهقان بالكسر والضم : وهو التاجر وزعيم فلاحي العجم ورئيس الاقليم ، معرّب . الهميم : الدبيب .

(٣) الدل : الدلال ، ورخم الكلام ككرم ونصر فهو رخيم : لان وسهل .

(٤) المداري : جمع مدرى بكسر الميم ، وهو المشط .

(٥) الشميم : الشم .

(٦) العكنة : ما انطوى وتثنى من لحم البطن سمناً .

عن أبي النضر قال: كان حريث بن أبي الصلت الحنفي صديقاً لحمّاد عجرد، وكان يعابثه بالشعر، ويعيبه بالبخل، وفيه يقول:

حُريثُ أبو الفضل ذو خبرةٍ ... بما يُصلح المعد الفاسده
تخوّف تُخمةَ أضيافه ... فعوّدهم أكلة واحده

أخبرني هاشم بنُ محمد الخزاعي قال: حدثنا عيسى بن اسماعيل تينة، عن ابن عائشة قال: ضرّط رجل في مجلس فيه حمّاد عجرد ومطيع بن إياس، فتجلد، ثم ضرط أخرى متعمداً، ثم ثلّث، ليظنوا أن ذلك كله تعمد، فقال له حماد: حسبك يا أخي فلو ضرطت ألفاً لعُلم بأن الخلف الاول مُفلت[1].

حدثنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا سليان بن أبي شيخ قال: حدثني مُعاذ بن عيسى مولى بني تميم قال: كان سليان بن الفرات على كسكر[2]، ولّاه أبو جعفر المنصور، وكان قريشٌ مولى صاحب المصلى بواسط في ضِياع صالح — وهو سندي[3] — فحدثني مُعاذ بن عيسى قال: كنا في دار قريش، فحضرت الصلاةُ، فتقدّم قريشٌ فصلى بنا وحمّاد عجرد الى جنبي، فقال لي حماد حين سلم: اسمع ما قلتُ: وأنشدني:

قد لقيتُ العام جهداً ... من هناتٍ وهناتٍ[4]
من هموم تعتريني ... وبلايا مطبقات[5]

(١) الخلف: الكريه الرائحة.

(٢) كسكر: كورة واسعة كانت قصبتها واسط التي بين الكوفة والبصرة.

(٣) نسبة الى السند، وهي من بلاد الهند.

(٤) هنات وهنات، أي شدائد وأمور عظام.

(٥) مطبقات، أي مغطية.

وجوى شيّب رأسي وحنى مـني قناتي
وغُدوي ورواحي نحو سَلم بن الفرات
وائتـمامي بالقماري قـريشٍ في صلاتي [1]

خبره مع غلام أمرد :

أخبرني محمد بنُ خلف وكيع قال : حدثنا أبو أيوب المديـنيُّ عن مصعبٍ الزبيري قال : حدثني أبو يعقوب الخُريمي قال : كنت في مجلس فيـه حماد عجرد ، ومعنا غلام أمرد ، فوضع حمّاد عينه عليه وعلى الموضع الذي ينام فيه ، فلما كان الليل اختلفت مواضعُ نومنا ، فقمت فنمتُ في موضع الغلام ، قال : ودبّ حمّاد اليّ يظنني الغلام ، فلما أحسستُ بـه أخذتُ يدهُ فوضعتها على عيني العوراء — لأعلمه أني أبو يعقوب — قال : فنتر يده ومضى في شأنه وهو يقول : (وفديناهُ بذبحٍ عظيمٍ) .

شعره في جوهر :

أخبرني عمي قال : حدثـني مصعب قال : كان حمّاد عجرد ومطيع بن إياس يختلفان الى جوهر جارية أبي عون نافع بن عون بن المُقعد ، وكان حماد يحبها ويُجن بها ، وفيها يقول :

إني لأهوى جوهراً ويُحبّ قلبي قلبها
وأحبُّ من حبي لها من ودّها وأحبها
وأحبُّ جاريةً لهـا تُخفي وتكتمُ ذنبها
وأحبُّ جـيراناً لها وابن الخبيثة ربّها

---

(١) القماريّ : نسبة الى قمار ، وهو موضع ببلاد الهند ينسب اليه العود .

رثاؤه للاسود بن خلف :

أخبرني عمي قال : حدثني محمد بن سعد الكرانيّ قال : حدثني أبيض بن عمرو قال : كان حماد عجرد يعاشر الاسود بن خلف ولا يكادان يفترقان ، فمات الاسود قبله ، فقال يرثيه – وفي هذا الشعر غناء – :

صوت

قلتُ لحنانةٍ دلوحٍ تسحُّ من وابلٍ سفوحِ[١]
جادت علينا لها ربابٌ بواكفٍ هاطلٍ نضوحِ[٢]
أمي الضريح الذي أسمي ثم استهلي على الضريحِ[٣]
على صدى أسودَ المُوارى في اللحد والترب والصفيحِ[٤]
فاسقيه ريّاً وأوطنيه ثم اغتدي نحوه وروحي[٥]
اغدي بسُقياي[٦] فاصبحيه ثم اغبقيه مع الصبوحِ
ليس من العدل أن تشحي على امرئ ليس بالشحيحِ

(١) سحابة حنانة : لها حنين كحنين الابل ، أي صوت يشبه صوتها عند الحنين . وسحابة دلوح : كثيرة الماء . سفوح مبالغة في سافح : أي منصب ، من سفح .

(٢) الرباب : جمع ربابة ، وهي السحابة التي قد ركب بعضها بعضاً . بواكف ، أي بمطر واكف أي سائل . نضوح ، أي ينضح بالماء .

(٣) أمي : اقصدي . استهلي ، اي ارفعي الصوت بالبكاء .

(٤) الصدى : جثة الميت . الصفيح : واحد الصفائح ، وهي الحجارة العريضة .

(٥) أوطنه : اتخذ وطناً .

(٦) صبحه كمنع : سقاه الصبوح وهو شرب الغداة ، وغبقه كنصر وضرب : سقاه الغبوق وهو شرب العشي . يريد اتصال هطلها عليه ودوامه صباحاً ومساء .

الغناء ليونس الكاتب ذكره في كتابه ولم يجنسه :

هجا أبا عون مولى جوهر بشعر :

أخبرني عمي قال : أنشدنا الكراني قال : أنشد مصعبٌ لحماد عجردٍ يهجو أبا عون مولى جوهر ، وكان يُقيّنُ عليها ، وكان حماد عجردٍ يميل اليها ، فإذا جاءهم ثقل ، ولم يمكن أحداً من أصدقائها أن يخلو بها ، فيضرّ ذلك بأبي عون ، فجاءه يوماً وعنده أصدقاء لجاريته ، فحجبها عنه ، فقال فيه :

إن أبا عـون ولن يرعوي ما رقّصت رمضاؤها جُندُبا[١]
ليس يرى كسباً اذا لم يكن من كسب شُفري جوهر طيبا[٢]
فسلط الله على مـا حوى مئزرُهـا الأفعى أو العقربا[٣]
يُنسب بالكشخ ولا يشتهي بغـير ذاك الإسم أن يُنسبا[٤]

وقال فيه أيضاً :

إن تكن أغلقتَ دوني باباً فلقـد فتحتَ للكشخ بابا

وقال فيه أيضاً :

قد تخرطمت علينا لأنّا لم نكن نأتيك نبغي الصوابا[٥]

(١) الرمضاء : الارض الشديدة الحرارة . الجندب بفتح الدال وضمهـا : ضرب من الجراد ، والجندب إذا رمض في شدّة الحر لا يقر على الارض ، بل يطير فيسمع لرجليه صرير ، والمعنى : ولن يرعوي ما دامت الرمضاء ترقص الجندب .

(٢) الشفر : حرف الفرج .

(٣) المئزر : الإزار .

(٤) ينسب بالكشخ ، أي يسمى بالكشخان ، وسيأتي في شعره بعد .

فقد أصبحت في الناس إذا سميت كشخـانا

والكشخان : الديوث .

(٥) تخرطم : يريد اخرنطم .

إنما تُكرِم من كان منا لسنان الحقو منها قرابا[1]

وقال فيه أيضاً :

يا نافعُ ابن الفاجره يا سيد المؤاجره[2]
يا حِلف كلّ داعرٍ وزوجَ كل عاهره
ما أمةٌ تملكها أو حُرّة بطاهره
تجارةٌ أحدثتها في الكشخ غير بائره
لو دخلت عفيفةٌ بيتك صارت فاجره
حتى متى ترتع في الخسران يابن الخاسره
تجمع في بيتك بين العرس والبرابره[3]

وقال يهجوه :

أنتَ انسان تسمى داره دار الزواني
قد جرى ذلك بالكرخ على كل لسان[4]
لك في دارِ حُرُيز ني وفي دارِ حِران

وقال فيه :

تفرح إن نيكت، وان لم تُنك بتّ حزين القلب مستعبرا[5]
أسكركَ القومُ فساهلتهم وكنتَ سهلاً قبل أن تسكرا[6]

---

(١) الحقو بالفتح ويكسر : الخصر ، ومعقد الإزار من الجنب . لسنان الحقو ، أي لحقوها الشبيه بالسنان في الرقة والضمور .

(٢) آجر المملوك إيجاراً ومؤاجرة : أكراه .

(٣) العرس : امرأة الرجل .

(٤) الكرخ : محلة ببغداد .

(٥) استعبر : بكى .

(٦) ساهله : ياسره .

وقال فيه :

قل للشقي الجدّ غير الاسعدِ أتحبُّ أنك فقحةُ ابن المُقعد ؟[١]
لو لم يجد شيئاً يسكنها بـه يوماً لسكنهـا بزُب المسجد

وقال فيه :

أبا عون لقد صَفَّـــر زُوّارُك أذنيكا ؟
وعيناك ترى ذاك فأعمى الله عينيكا

هجا بشاراً ببيت من الشعر :

أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال : حدثنا عمر بن شبة قال : لمـا قال حمّاد عجردٍ في بشار :

نُسبتَ الى بُرد وأنت لغـيره وهبكَ لبُردٍ نكتَ أمك من بُردُ ؟

قال بشّار : تهيأ له علي في هذا البيت خمسةُ معان من الهجاء ، قوله « نُسبتَ الى بُرد » معنًى ؛ ثم قوله : « وأنت لغيره » معنًى آخر ، ثم قوله : « فهبك لبرد » معنًى ثالث ، وقوله : « نكت أمك » شتمٌ مفرد ، واستخفافٌ مجدّد ، وهو معنًى رابع ، ثم ختمها بقوله : مَن بُرْدُ ؟ ولقد طلب جرير في هجائه للفرزدق تكثير المعاني ، ونحا هذا النحوَ ، فما تهيأ له أكثر من ثلاثة معانٍ في بيت ، وهو قوله :

لمَّا وضعتُ عـلى الفرزدق مِيسمي وضغَا البعيثُ جدعتُ أنفَ الاخطلِ[٢]

---

(١) الفقحة : حلقة الدبر .

(٢) قبل هذا البيت :

أعددت للشعراء سمّـاً ناقعاً فسقيت آخرهم بكأس الأوّل

والميسم : المكواة ، يريد به أهاجيه التي يكويه بها . وضغا ضغواً : استخذى ، وضغا : صاح وضجّ ، وضغا السنور والكلب : صوّت وصاح ، ثم كثر حتى قيل للانسان اذا ضرب فاستغاث .

فلم يُدرك أكثر من هذا .

أخبرني حبيب بن نصر قال : حدثنا عمر بن شبة قال : قال أبو عبيدة : ما زال بشار يهجو حماداً ولا يرفث[١] في هجائه إياه حتى قال حماد :

من كان مثل أبيك يا أعمى أبوه فلا أبا لهْ
أنت ابن بُرد مثلُ بُر دٍ في النذالة والرذاله
زَحرتك من جحر استها في الحش خارئةً غزاله[٢]
من حيث يخرج جعرُ مُنْـتنة مدنَّسة مُذاله[٣]
أعمى كست عينيه مِن وذَح استها وكست قذاله[٤]
خنزيرةٌ بظراء منتنةُ البداهة والعُلاله[٥]
رسحاء خضراء المغا بن ريحها ريحُ الإهاله[٦]
عذراء حبلى يا لقو مي للمجانة والضلاله
مرقت فصارت قحبةً بجعالةٍ وبلا جِعاله[٧]
ولقد أقلتك يابن بُر دٍ فاجترأتَ فلا إقاله

(١) رفث في منطقه كطلب وضرب وأرفث : أفحش فيه أو صرح بما يكنى عنه .

(٢) يقال : زحرت به امه وتزحرت عنه : ولدته ، والحش : المتوضأ ، سمي به لانهم كانوا يذهبون عند قضاء الحاجة الى البساتين .

(٣) الجعر : ما يبس من العذرة في الدبر . والمذالة : الأمة .

(٤) الوذح : ما تعلق بأصواف الغنم من البعل والبول . والقذال : جماع مؤخر الرأس .

(٥) البداهة والعلالة : يقال لأوّل جري الفرس : بداهته ، وللذي يكون بعده : علالته ، قال الاعشى :

إلا بداهة أو علا لة سابح نهد الجزاره

والمعنى : أنها منتنة أوّل ما تلقاها وبعد لقائها .

(٦) رسحاء : قليلة لحم العجز والفخذين والقبيحة . والمغابن : جمع مغبن كمنزل وهو الرفغ بالضم ، أي الإبط وما حول فرج المرأة . ويعني بخضراء المغابن : أنها طويلة العانة . والاهالة : الشحم والزيت .

(٧) مرقت ، أي خرجت عن عفافها . قحبة : فاجرة . الجعالة مثلثة : الجعل وهو الاجر .

فلما بلغتْ هذه الابياتُ بشاراً أطرق طويلاً ، ثم قال : جزى الله ابن نِهيا خيراً ، فقيل له : علامَ تجزيه الخيرَ ؟ أعلى ما تسمع ؟ فقال : نعم ، والله لقد كنت أردّ على شيطاني أشياء من هجائه إبقاء على المودّة ، ولقد أطلق من لساني ما كان مقيداً عنه ، وأهدفني عورةً ممكنةً منه ، فلم يزل بعد ذلك يذكُرُ أمّ حماد في هجائه إياه ، ويذكُرُ أباه أقبحَ ذكر ، حتى ماتت أم حماد ، فقال فيها يخاطب جاراً لحمَّاد :

أبا حامدٍ إن كنتَ ترني فأسعِدِ ... وبكِّ حِراً ولّت به أم عجردِ[1]
حِراً كان للغُرَّاب سهلاً ولم يكن ... أبيّاً على ذي الزَّوجة المتودّد
أصيبَ زُناةُ القوم لما توجهتْ ... به أمُّ حمادٍ الى المضجع الرّدي
لقد كان للأدنى وللجار والعدا ... وللقاعد المعترّ والمتزّيد

راوية بشَّار ينشده شعراً لحماد :

أخبرنا محمد بن الحسن بن دُرَيد قال : حدّثنا أبو حاتم قال : قال يحيى بن الجون العبدي راوية بشّار : أنشدتُ بشاراً يوماً قولَ حمَّاد :

ألا قل لعبد الله إنك واحدُ ... ومثلك في هذا الزمان كثيرُ
قطعتَ إخائي ظالماً وهجرتني ... وليس أخي من في الإخاء يجور
أديمُ لاهل الود ودي ، وإنني ... لمن رام هجري ظالماً لهجور
ولو أن بعضي رابني لقطعته ... وإني بقطع الرائبين جدير
فلا تحسبن منحي لك الودّ خالصاً ... لعزّ ولا أني اليك فقير
ودونك حظي منك لستُ أريده ... طوالَ الليالي ما أقامَ ثبيرُ[2]

---

(١) أي فأسعدني وأعني بالبكاء .

(٢) ثبير : جبل بظاهر مكة .

فقال بشار : ما قال حمادٌ شعراً قطّ هو أشد علي من هـذا ، قلتُ : كيف ذاك ولم يهجك فيه ؟ وقد هجاك في شعر كثير فلم تجزع . قال : لأن هذا شعر جيد ومثله يُروى ، وأنا أنفس[1] عليه أن يقول شعراً جيداً .

أخبرني علي بن سليمانَ الاخفشُ قال : حدّثني هارون بن علي بن يحيي المنجم قال : حدثني علي بن مهدي قال : حدثني محمد بن النطاح قال : كنت شديد الحبّ لشعر حمّاد عجرد ، فأنشدتُ يوماً أخي بكر بن النطاح قوله في بشّار :

أسأتُ في ردّي على ابن استها إساءةً لم تُبق إحسانا
فصار إنساناً بذكري له ولم يكن من قبلُ إنسانا
قرعتُ سني ندماً سادماً لو كان يغني ندمي الآنا[2]
يا ضيعةَ الشعر ويا سوءتا لي ولأزمانيَ أزمانا
من بعد شتمي القردَ لا والذي أنزلَ توراةً وقرآنا
ما أحدٌ من بعد شتمي له أنذلُ مني ، كانَ من كانا

قال : فقال لي : لمن هذا الشعرُ ؟ فقلتُ : لحمّاد عجردٍ في بشّار ، فأنشأ يتمثل بقول الشاعر :

ما يضرّ البحر أمسى زاخراً أن رمى فيه غلامٌ بحجرْ

ثم قال : يا أخي ، إنسَ هذا الشعر فنسيانه أزين بك ، والخرسُ كان أستر على قائله .

هجاه بشار أكثر مما هجاه هو :

أخبرني علي بن سليمان قال : حدثني هرون بن يحيى قال : حدثني علي بن مهدي

(١) نفس عليه الشيء كفرح نفاسة : لم يره اهلاً له .

(٢) السدم محرّكة : الهمّ أو مع ندم أو غيظ مع حزن ، سدم كفرح فهو سادم وسدمان .

قال : أجمعَ العلماء بالبصرة أنه ليس في هجاء حماد عجرد لبشّار شيء جيد إلا أربعين بيتاً معدودةً ، ولبشّار فيه من الهجاء أكثرُ من ألف بيت جيد، قال : وكل واحد منهما هو الذي هتكَ صاحبه بالزندقة وأظهرها عليه ، وكانا يجتمعان عليها ، فسقط حمّاد عجردٍ وتهتك بفضل بلاغةِ بشّار وجودة معانيه ، وبقي بشّارٌ على حاله لم يسقط ، وعُرف مذهبهُ في الزندقة فقتل به .

أخبرني محمد بنُ العباس اليزيديّ قال : حدثني عمي الفضلُ عن اسحاق الموصلي أن مُجاشع بنَ مسعدة أخا عمرو بن مسعدة هجا حمّاد عجردٍ وهو صبي حينئذٍ ليرتفع بهجائه حمّاداً ، فترك حمّاداً وشبب بأمه ، فقال :

راعتك أمُّ مُجاشع بالصدّ بعد وصالها[1]
واستبدلتْ بك والبلا ءُ عليك في استبدالها
جِنيةٌ من بربرٍ مشهورةٌ بجمالها
فحرامُها أشهى لنا ولها من استحلالها

فبلغ الشعر عمرو بن مسعدة ، فبعث الى حمّاد بصلة ، وسأله الصفحَ عن أخيه ، ونال أخاه بكل مكروه ، وقال له : ثكلتك أمك ، أتتعرّض لحماد وهو يُناقف[2] بشاراً ويقاومه ، والله لو قاومته لما كان لك في ذلك فخر ، ولئن تعرّضت له ليهتكنك وسائر أهلك ، وليفضحنا فضيحة لانغسلها أبداً عنا .

شعره في جارية :

أخبرني عمي قال : حدثنا محمد بنُ سعد الكراني قال : حدثني أبو علي بن

(١) راعتك : أفزعتك بالصد .

(٢) المناقفة والنقاف : المضاربة بالسيوف على الرؤوس .

عمـار قال : كان حماد عجرد عند أبي عمرو بن العلاء ، وكانت لابي عمرو جارية يقال لها منيعة ، وكانت رسحاء[1] عظيمة البطن ، وكانت تسخر بحماد ، فقال حماد لابي عمرو : أغن عني[2] جاريتك فإنها حمقاء ، وقد استغلقت[3] لي ، فنهاها أبو عمرو فلم تنته فقال لها حماد عجرد :

لو تأتي لك التحوُّلُ حـتى   تجعلي خلفكِ اللطيفَ أماما
ويكونُ القدّامُ ذو الخلقة الجز   لة خلقاً مؤثّـلاً مستكاما[4]
لاذاً كنتِ يا منيعةُ خيرَ النـــاس خلفاً وخيرَهم قدّاما

شعره في محمد بن طلحة :

أخبرني عمي قال : حدثني الكراني قال : حدثني الحسن بن عُمارة قال : نزل حماد عجرد على محمد بن طلحة ، فأبطأ عليه بالطعام ، فاشتد جوعه ، فقال فيه حماد :

زرتُ امرأً في بيته مرّةً   له حيـاء وله خـيرُ[5]
يـكرَه أن يُتخم أضيافه   إن أذى التخمة محذور
ويشتهي أن يؤجَروا عنده   بالصوم والصالحُ مأجـور

قال : فلما سمعها محمد قال له : عليك لعنة الله ، أي شيء حملك عـلى هجائي ، وإنما انتظرتُ أن يُفرغ لك من الطعام ؟ قال : الجوعُ وحياتك حملني عليه ، وإن زدت في الإبطاء زدتُ في القول ، فمضى مبادراً حتى جاء بالمائدة .

(١) رسحاء : وصف من الرسح بالتحريك ، وهو قلة لحم العجز والفخذين .

(٢) أغنها عني : أصرفها وكفها ، قال تعالى : (لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه) أي يكفيه .

(٣) من قولهم : استغلقت عليّ بيعته : اذا لم يكن لي خيار في ردها .

(٤) المؤثل : المجتمع . والمستكام : اسم مفعول من استكام الرجل المرأة : اذا جامعها .

(٥) الخير : الكرم والشرف والاصل .

أخبرني الحسين بن يحيى وعيسى بن الحسين ووكيع وابن أبي الازهر قالوا : حدثنا حماد بن اسحاق عن ابيه قال : كان حفص بن أبي وزّة صديقاً لحماد عجرد ، وكان حفص مرمياً بالزندقة ، وكان أعمشَ أفطسَ أغضفَ[١] مقبّح الوجه ، فاجتمعوا يوماً على شراب ، وجعلوا يتحدثون ويتناشدون ، فأخذ حفص بن أبي وزّة يطعن على مرقّش ويعيب شعره ويلحنهُ ، فقال له حمّاد :

لقد كان في عينيك يا حفص شاغلٌ وأنفٌ كثيل العَود عمّا تتبّعُ[٢]
تتبّعُ لحناً في كلامِ مرقّشٍ ووجهك مبني على اللحنِ أجمع
فأذناك إقواءٌ وأنفك مُكفأٌ وعيناك إيطاءٌ فأنت المرقّع[٣]

أخبرني عمي قال : حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال : ذكر أبو دعامةَ عن عاصم بن الحارث بن أفلح ، قال : رأى حماد عجردٍ على بعض الكتاب جُبة خزّ دكناء فكتب اليه :

إنني عاشق لجبتك الدكناء عشقاً قد هاج لي اطرابي
فبحقِّ الامير إلا أتتني في سراحٍ مقرونة بالجواب
ولك الله والامانة أن أجعلها أشهراً أميرَ ثيابي

فوجه اليه بها ، وقال للرسول : قل له وأي شيء لي من المنفعة في أن تجعلها أمير ثيابك ؟ وأي شيء عليّ من الضرر في غير ذلك من فعلك ، لو جعلتَ مكان هذا مدحاً لكان أحسن ، ولكنك رذّلتَ لنا شعرك فاحتملناك .

---

(١) الاغضف : المتدلي الاذنين كالكلب على التشبيه .

(٢) الثيل : بالكسر والفتح : القضيب . والعود : الجمل المسن .

(٣) الإقواء ، هو اختلاف حركة الروي كأن يكون في آخر البيت كلمة « المحمود » مرفوعاً وفي آخر البيت الثاني « المعدود » مجروراً . والإكفاء : هو أن يخالف الشاعر بين قوافيه فيجعل بعضها ميماً وبعضها نوناً وبعضها دالاً وبعضها طاء وبعضها حاء ونحو ذلك . والايطاء ، هو إعادة كلمة الروي لفظاً ومعنى ، وهو عيب .

أخبرني أحمد بن العباس العسكري والحسن بن عليّ الخفّاف، قالا: حدثنا الحسن بن عليل العنزي عن علي بن منصور قال: مرض حماد عجرد فلم يعده مطيع بن إياس، فكتب اليه:

كفاكَ عيادتي من كان يرجو ثوابَ الله في صلةِ المريضِ
فإن تُحدث لك الايام سُقماً يحولُ جريضه دون القريض[1]
يكن طولُ التأوُّه منك عندي بمنزلة الطنين من البعوض

أخبرني عمي قال: حدثنا ابن أبي سعد قال: زعم أبو دعامة أن التَّيَّحان[2] ابن أبي التيّحان قال: كنت عند حماد عجرد فأتاه والبة بن الحباب[3]، فقال له: ما صنعت في حاجتي؟ فقال: ما صنعت شيئاً، فدعا والبة بدواة وقرطاس وأملى عليّ:

عثمانُ ما كانت عِدا تُكَ بالعدات الكاذبه
فعلامَ يا ذا المكرُما تِ وذا الغيوث الصائبه[4]
أخرتَ وهي يسيرةٌ في الرُّزْء حاجةَ والبه؟
فأبو أسامةَ حقُّه أحدُ الحقوق الواجبه
فاستحي من ترداده في حاجةٍ متقاربه
ليست بكاذبةٍ، ولو والله كانت كاذبة
فقضيتها أحمدتَ رغبً قضائها في العاقبه
إني وما رأيي بعا دم عاتبٍ او عاتبه

(١) يقال: جرض بريقه، أي ابتلع ريقه على هم وحزن بجهد ومشقة. القريض: الشعر.

(٢) يقال: رجل تيحان يتعرض لكل مكرمة وأمر شديد.

(٣) هو استاذ أبي نواس، من شعراء الكوفة.

(٤) صاب المطر صوباً: انصب.

لأرى لِمثلك كلما نابت عليه نائبه
ألا يَرُدّ يدَ امرىء بسطت اليه خائبه

قال: فلقيتُ والبةَ بعد ذلك فقلت له: ما صنعتَ؟ فقال: قضى حاجتي وزاد.

أخبرني عمي قال: حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه عن الزبالي قال: بلغ حماد عجردٍ أن المفضل بن بلالٍ أعان بشاراً عليه وقدّمه وقرّضه، فقال فيه:

عجباً للمفضَّل بن بلالٍ ما له يا أبا الزُّبير ومالي
عربيٌّ لا شكّ فيه ولا مِرْ يةَ ما باله وبالُ الموالي

قال: وأبو الزبير هذا الذي خاطبه هو قبيس بن الزبير، وكان قبيس ويونُس ابن أبي فروة كاتبُ عيسى بن موسى صديقين له، وكانوا جميعاً زنادقة، وفي يونس يقول حماد عجردٍ وقد قدم من غيبة كان غابها:

كيف بعدي كنتَ يا يو نُسُ لا زلتَ بخيرِ
وبغير الخير لا زا لَ قُبيسُ بنُ الزبير
أنت مطبوعٌ على ما شئتَ من خيرٍ وميرٍ[1]
وهو انسانٌ شبيهٌ بكسيرٍ وعُوَيرِ
رغمه أهوَنُ عند الناس من ضرطة عيرِ[2]

خبره مع سعاد الجارية:

أخبرني علي بن سليمان الاخفش ووكيع قالا: حدثنا الفضلُ بنُ محمد اليزيدي قال: حدثني إسحاق الموصلي عن السكوني قال: ذكر محمد بنُ سنان أن حماد

---

(١) مار عياله: جلب لهم الميرة بالكسر، أي الطعام؛ ويقال: ما عنده خير ولا مير.

(٢) العير: الحمار، وغلب على الوحشيّ.

عجردٍ حضر جاريةً مغنية يقال لها سُعاد – وكان مولاها ظريفاً – ومعه مطيع بن إياس ، فقال مطيع :

قبليني سعادُ بالله قُبله واسأليني لها فديتكِ نِحله[١]
فوربِّ السماء لو قلتِ لي صِلْ لوجهي جعلتهُ الدهرَ قِبله

فقالت لحماد : اكفنيه يا عمّ : فقال حماد :

إن لي صاحباً سواكَ وفياً لا مَلولاً لنا كما انتَ مَلَّه[٢]
لا يباع التقبيل بيعاً ولا يُشرى فلا تجعل التعشقَ عِله

فقال مطيع : يا حماد ، هذا هجاء : وقد تعدّيتَ وتعرّضتَ ، ولم تأمرك بهذا ؛ فقالت الجارية – وكانت بارعة ظريفة – أجل ؛ ما أردنا هذا كله ، فقال حماد :

أنا واللهِ اشتهي مِثلها منك بنحل ، والنحل في ذاك حله[٣]
فأجيبي وأنعمي وُخذي البذلَ وأطفي بقبلةٍ منكِ غُله[٤]

فرضيَ مطيع ، وخجلت الجارية ، وقالت : اكفياني شركما اليوم ، وخذا فيما جئنا له .

خبره مع غلام بعث به اليه مطيع :

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال : حدثنا أبو أيوب المديني ، عن مصعب

---

(١) النحلة : العطية .

(٢) رجل ملة : اذا كان يمل إخوانه سريعاً .

(٣) النحل (بضم النون) : الهبة ابتداء من غير عوض ولا استحقاق . حلة : حلال .

(٤) وخذي البذل ، اي ما بذله لك مطيع .

الزبيري عن أبي يعقوب الخُرَيمي قال: أهدى مطيع بن إياس الى حماد عجرد غلاماً وكتب اليه: قد بعثت اليك بغلامٍ تتعلّم عليه كظم الغيظ.

أخبرني وكيع قال: حدثنا أبو أيوب المديني قال: ذكر محمد بن سنانٍ أنّ مطيع بن إياس خرج هو وحماد عجردٍ ويحيى بن زياد في سفر، فلما نزلوا في بعض القرى عُرِفوا، ففرّغ لهم منزل، وأُتوا بطعامٍ وشراب وغناء، فبينا هم على حالهم يشربون في صحن الدار، إذ أشرفت بنت دِهقان من سطح لها بوجه مشرق رائق، فقال مطيع لحماد: ما عندك؟ فقال حماد: «خذ فيما شئت» فقال مطيع:

ألا يا بأبي الناظـــر من بينهم نحوي

فقال حماد عجردٍ:

ألا يا ليتَ فوق الحلق ومنها لاصقاً حَقوي

فقال مطيع:

وأنّ البُضـع يا حمّا دُ منها شوبك المُروي[١]

فقال يحيي بن زياد:

ويا سَقياً لسطـح أشـ ـرقت من بينهم حَذوي[٢]

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق قال: حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه: أنّ حماد عجردٍ قال في جوهر جارية أبي عَون: — قال: وفيه غناء —:

---

(١) البضع: الفرج. والشوب: العسل، واللبن، يقال: سقاه الشوب بالروب، اي العسل باللبن، وسقاه الشوب بالذوب، أي اللبن بالعسل.

(٢) الحذو والحذاء: الازاء والمقابل.

صوت

إنّي أحبُّك فاعلمي إن لم تكوني تعلمينا
حبّاً أقلُّ قليله كجميع حُبِّ العالمينا

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق قال : حدثنا حماد بن اسحاق عن أبيه قال : كان حماد عجردٍ صديقاً لأبي خالد الأحول أبي أحمد بن أبي خالد ، فأراد الخروج الى واسط ، وأراد وداع أبي خالد ، فلما جاءه لذلك حجبه الغلام وقال له : هو مشغول في هذا الوقت ، فكتب اليه يقول :

عليك السلام أبا خالدٍ وما للوداع ذكرت السلاما
ولكن تحيّة مستطربٍ يحبُّك حبَّ الغويِّ المداما [1]
أردت الشخوص الى واسطٍ ولست أطيل هناك المقاما
فإن كنتَ مكتفياً بالكتا ب دون اللمام تركت اللماما [2]
وإلا فأوصِ هداك المليـ ـك بوّابكم بي وأوصِ الغلاما
فإن جئتُ أدخلت في الداخليـ ـن إمّاً قعوداً وإما قياما
فإن لم أكن منك أهلاً لذاك فلا لوم لستُ أحبُّ الملاما
لأني أذمُّ اليك الأنا م أخزاهم الله طرّاً أناما
فإني وجدتُهم كلّهم يُميتون حمداً ويُحيون ذاما [3]
سوى عُصبةٍ لستُ أعنيهم كرامٍ فإني أحبّ الكراما

(١) استطرب : طلب الطرب .

(٢) ألم به : زاره غبا ، وهو يزورنا لماماً ، أي في بعض الاحايين .

(٣) الذام : العيب .

وأقلِل عديدهم إن عــددت فما أكثر الأرذلين اللئــاما

أخبرني عيسى بن الحسين قال: حدثني أبو أيوب المديني قال: قال ابن عبد الاعلى الشيباني: حضر حماد عجردٍ ومطيع بن إياس مجلس محمد بن خالد وهو أمير الكوفة لأبي العباس، فتمازحا، فقال حماد:

يا مطيعٌ يا مطيعُ أنت إنسانٌ رقيعُ
وعن الخــير بطيءٌ وإلى الشرّ سريع

فقال مطيع:

إنّ حمّاداً لئــيمٌ سِفلة الأصل عديمُ
لا تراه الدهر إلّا بِهَنِ العَير يَهيم (١)

فقال له حماد: ويلك، أترميني بدائك، والله لولا كراهتي لتمادي الشرّ ولجاج الهجاء لقلتُ لك قولًا يَبقى، ولكني لا أفسد مودّتك، ولا أكافئك إلا بالمديح، ثم قال:

كل شيء لي فداء لمطيــع بن إياسِ
رجــلٌ مستملحٌ في كلّ لينٍ وشمــاس (٢)
عِدلُ روحي بين جَنْ بَيّ وعيــنيّ براسي (٣)
غرس الله له في كبدي أحلى غِراس
لست دهري لمطيع بـ ن إياسٍ ذا تنـاس

(١) الهن. كناية عما يستفحش ذكره من الرجل والمرأة.

(٢) الشماس: النفور والاباء، شمس الفرس شموساً وشماساً: منع ظهره.

(٣) العدل: النظير.

ذاك إنسانٌ له فضـ ... لٌ على كل أناسِ
فإذا ما الكأس دارت ... وأحتساها مَن أحاسي[1]
كان ذكرانا مُطيعاً ... عندها رَيحان كاسي

هجاؤه عيسى بن عمرو :

أخبرني أحمد بن العباس العسكري ومحمد بن عمران الصَّيرفي قالا : حدثنا الحسن بن عُليل العنزيّ قال : حدثنا التوزيّ قال : كان عيسى بن عمرو بن يزيد صديقاً لحمّاد عجرد ، وكان يواصله أيام خدمته للربيع ، فلما طرده الربيع وأختلّت حاله جفاه عيسى ، وإنما كان يصله لحوائجَ يسأل له الربيع فيها ، فقال حماد عجرد فيه :

أوصل الناس إذا كانت له ... حاجةٌ عيسى وأقضاهم لحقْ
ولعيسى إن أتى في حاجة ... ملَقٌ يُنسى به كلَّ مَلق
فإن أستغنى فما يعدله ... نخوة كسرى على بعض السُّوَق
إن تكن كنت بعيسى واثقاً ... فبهذا الخُلق من عيسى فثِق

قال العنزيّ : وأنشدني بعض أصحابنا لحمّاد في عيسى بن عمر أيضاً :

كم من أخٍ لك لستَ تنكره ... ما دمتَ من دنياك في يُسْرِ
متصنِّع لك في مودّته ... يلقاك بالترحيب والبشر
يُطري الوفاء وذا الوفاء ويَلـ ... حى الغدر مجتهداً وذا الغدر
فإذا عدا والدهر ذو غِيَرٍ ... دهرٌ عليك عدا مع الدهر
فأرفض بإجمالٍ مودّةَ مَن ... يَقلي المُقِلَّ ويعشق المُثري
وعليك من حالاه واحدةٌ ... في العُسر إمّا كنتَ واليسر

---

(١) أحلي : أساقي .

لا تخلطنهم بغيرهم من يخلط العِقيان بالصُّفرِ[١]

هجا حشيشاً الكوفي :

أخبرني يحيى بن علي بن يحيى إجازةً قال : حدثني ابن أبي فنن قال : حدثني العتّأبي ، وأخبرني عمي عن أحمد بن أبي طاهر قال : قال العتّأبي : وحديث ابن أبي طاهر أتمّ ، قال : كان رجل من أهل الكوفة من الأشاعثة يقال له حُشَيش وكانت أمه حارثيّة ، فمدحه حماد عجردٍ فلم يثبه ، وتهاون به ، فقال يهجوه :

يا لقومي للبلاء ومَعاريض الشَّقاء
قسمتْ ألويةً بين رجالٍ ونساء
ظفرت أخت بني الحا رث منها بلواء
حادثٌ في الارض يرتا عُ له أهل السماء

قال : فعُرضت أسماء العمّال على المنصور فكان فيها اسم حُشيش ، فقال : أهو الذي يقول فيه الشاعر :

يا لقومي للبلاء ومعاريض الشقاء ؟

قالوا : يا أمير المؤمنين ؛ فقال : لو كان في هذا خير ما تعرّض لهذا الشاعر ، ولم يستعمله ، قال : وقال حماد فيه أيضاً يخاطب سعيد بن الأسود ويعاتبه على صحبة حُشَيش وعِشرته :

صرتَ بعدي يا سعيد مِن أخِلّاء حُشيش
أتَلوّطتَ أم استخ لفتَ بعدي أم لأيش

---

(١) العقيان : الذهب . الصفر : النحاس .

حلقيٌّ استه أو سعُ من استِ بُجَيش[1]
ثم بغّاءٌ على ذا أبلغُ الناس لفَيش[2]
يا بَني الأشعث ما عَيشكم عندي بعَيش
حين لا يوجد منكم غيره قائدُ جَيش

قال : وكان بُجَيش هذا رجلًا من أهل البصرة لم يكن بينه وبين حماد شيء ، فلمّا بلغه هذا الشعر وفد من البصرة إلى حماد قاصداً وقال له : يا هذا ، ما لي ولك ، وما ذنبي اليك ؟ قال : ومَن أنت ؟ قال : أنا بُجيش ، أما وجدت أحداً أوسع دُبراً مني يُتمثّل به ؟ فضحك ثم قال : هذه بليّة صبّتها عليك القافية ، وأنت ظريف وليس يجري بعد هذا مثله .

هجا أبا عون :

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال : حدثني محمد بن الحسن بن الحرون . قال : كان حماد عجرد يعاشر أبا عون جدّ ابن أبي عون العابد ، وكان ينزل الكرخ ، وكان عجرد إذا قدم بغداد زاره ، فبلغ أبا عون أنه يحدّث الناس أنه يهوى جاريةً يقال لها جوهر ، فحجبه وجفاه واطّرحه ، فقال يهجو أبا عون :

أبا عَونٍ لحاك اللّٰـه — يا عُرّةُ — إنسانا[3]
فقد أصبحت في الناس إذا سُمّيت كَشخانا[4]

---

(١) الحلقي : صفة سوء في الرجل ، من قولهم : أتان حلقية اذا تداولتها الحمر فأصابها بسبب ذلك داء .

(٢) الفيش والفيشة : رأس الذكر .

(٣) العرة : الجرب ، والمعنى يا شبيهاً بالعرة .

(٤) الكشخان : الديوث .

بنَيت اليوم في الكشخ لأهل الكرخ بنيانا
وشرَّفتَ لهم في ذا ك أبواباً وحيطانا
وألفيتَ على ذاك من الفسّاق أعوانا
ومُجَّانا ولن تعدَ مَ مَن يَمجُن مُجَّانا
فأخزى الله من كنت أخاه كان من كانا
ولا زلت ولا زال بأخلاقك خَزيانا
وعُريانا كما أصبح تَ من دينك عُريانا

وقال فيه أيضاً :

إنّ أبا عَون ولا أقول فيه كَذبا
غاوٍ أتى مدينةً فسنَّ فيها عَجبا
إخوانُه قد جعلوا أمَّ بَنيه مَركبا
واتَّخذوا جوهرةً مِبوَلةً ومَلعبا
إن نِكتها أرضيته أو لم تنكها غضبا
أحبهم اليه مَن أدخل فيها ذنبا
ومَن إذا ما لم يَنك جرَّ اليها جَلَبا

أخبرني الحسن بن علي قال : حدثنا الغلّابي عن مهدي بن سابق قال : إستعمل محمد بن أبي العباس وهو يلي البصرة غَيلان جدّ عبد الصمد بن المعذّل على بعض أعشار البصرة ، وظهر منه على خيانة ، فعزله ، وأخذ ما خانه فيه ، فقال حماد عجردٍ يهجوه :

ظهر الأمير عليك يا غَيلانُ إذ خُنته إن الأمير مُعانُ
أمع الدمامة قد جمعتَ خيانةً قبحَ الدميم الفاجر الخوّان

أخبرني عمي قال : حدثني أحمد بن أبي طاهر عن أبي دعامة قال : أنشد بشار قول حماد عجرد في غلام كان يهواه يقال له أبو بِشر :

صوت

أخي كُفَّ عن لومي فإنك لا تدري بما فعل الحبّ المبرّح في صدري
أخي أنت تلحاني وقلبك فارغٌ وقلبيَ مشغول الجوانح بالفكر
أخي إنّ دائي ليس عندي دواؤه ولكن دوائي عند قاب أبي بشر
دوائي ودائي عند من لو رأيتـه يقلّب عينيه لأقصرت عن زجري
فأقسم لو أصبحت في لوعة الهوى لأقصرت عن لومي وأطنبت في عذري
ولكن بلائي منك أنك ناصحٌ وأنك لا تدري بأنك لا تدري

فطرب بشار ثم قال : وَيلكم ، أحسن والله ! مَن هذا ؟ قالوا : حماد عجرد ؛ قال : أوَّه ، وكلتموني والله بقيَّة يومي بهمٍّ طويل ، والله لا أطعم بقيَّة يومي طعاماً ولأصوم غمًّا بما يقول النبطيّ ابن الزانية مثل هذا .

في الأول والثاني من هذه الابيات لحن من الثقيل الأول ذكر الهشامي أنه لعطرّد .

أنشدني جحظة ، عن حماد بن اسحاق ، عن أبيه لحماد عجرد :

خليلي لا يفي أبدًا يمنّيني غداً فغـدًا
وبعد غدٍ وبعد غدٍ كذا لا ينقضي أبدا
له حجرٌ على كبدي إذا حرّكته اتقدا

شعره في يحيي بن زياد :

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبي قال : حدثنا عمر بن شبة قال : حدثنا الزّبالي قال : كان المهدي سأل أباه أن يولّي يحيى[1] بن زياد عملاً ، فلم يجبه ، وقال : هو

(١) من بني الحرث بن كعب ، شاعر مترسل بليغ .

خليعٌ متخرّق في النفقة ماجن، فقال: إنه قد تاب وأناب، وتضمن عنه ما يحبّ، فولّاه بعض أعمال الأهواز، فقصده حماد عجردٍ اليها، وقال فيه:

فمن كان يسأل أين الفعالُ فعنـدي شفاءٌ لذا الباحثِ
محلُّ النَّدى وفَعال النُّهى وبيتُ العلا في بني الحارث [١]
حللن بيحيي فخالفنـه حياء من البـاعث الوارث
فلا تعدلنّ إلى غيـره لعاجـلِ أمرٍ ولا رائث [٢]
فإنّ لديـه بلا مِنّـةٍ عطاء المرحّـل والماكث

قال: وقال فيه أيضاً:

يحيي امرؤٌ زيّنه ربُّـه بفعله الأقـدَم والأحدثِ
إن قال لم يكذب، وإن ودّ لم يقطع، وإن عاهد لم ينكث
أصبح في أخلاقه كلّهـا موكّلا بالأسهـل الأدمث [٣]
طبيعةٌ منه عليهـا جرى في خُلق ليس بمستحـدث
ورّثه ذاك أبوه فيـا طيبَ نَثا الوارث والمُورث [٤]

فوصله يحيي بصلة سنيّة وحمله وكساه، وأقام عنده مدّة ثم انصرف.

شعره في عيسى بن عمرو:

أخبرني عمي قال: حدثني الكراني عن النضر بن عمرو قال: ولِيَ عيسى بن

---

(١) النهى: العقل.

(٢) الرائث: البطيء، من راث يريث.

(٣) الادمث: الاسهل، من دمث كفرح: سهل ولان.

(٤) النثا: التحدث عن انسان بالمدح أو القدح، والمراد هنا الاوّل.

عمرو إمارة البصرة من قبَل محمد بن أبي العبّاس السفاح لما خرج عنها عليلاً، فقال له حماد عجرد:

قل لعيسى الأمير عيسى بن عمرٍو ذي المساعي العظام في قحطانِ
والبناء العالي الذي طال حتى قصرتْ دونه يدا كلّ بانِ
يابن عمرٍو عمرو المكارم والتقوى وعمرو الندى وعمرو الطِّعان
لك جارٌ بالمصر لم يجعل اللهُ له منك حُرمة الجيران
لا يصلّي ولا يصوم ولا يقرأ حرفاً من مُحكم القرآن
إنّما معدِن الزَّناة من النسلة في بيته ومأوى الزَّواني
وهو خِدن الصِّبيان وهو ابن سبعين، فماذا يهوى من الصِّبيان؟
طهِّر المصر منه يأيها المولى المسمى بالعدل والإحسان
وتقرَّب بذاك فيه الى اللهِ تفزْ منه فوز أهل الجنان
يابن بُرد إخسأ اليك فمثل الكلب في الناس أنت لا الإنسان[1]
ولعمري لأنت شرٌّ من الكلب وأولى منه بكلّ هوان

أخبرني الحسن بن علي قال: حدثنا محمد بن موسى بن حماد قال: حدثني محمد بنُ صالح الجَبَليّ قال: كان حماد عجردٍ قد مدح يَقطيناً فلم يثبه، فقال يهجوه:

متى أرى فيما أرى دولةً يَعزّ فيها ناصرُ الدّينِ
ميمونة مجَّدها ربُّها بصادق النيَّة ميمون
تردُّ يقطيناً وأشياعه منها الى أبزار يقطين

قال: وكان يقطيناً قبل ظهور الدولة العباسية بخراسان حائكاً.

(١) خسأ الكلب: طرده وزجره وقال له: اخسأ.

قال : ومرّ يوماً بيونس بن أبي فَروة الذي كان الربيع يزعم أنه ابنه، فلم يهشّ له كما عوّده ، فقال يهجوه :

أما ابن فروة يونسُ فكأنه من كبره ابنٌ للإمام القائمِ

وقال فيه :

ولقد رضيتَ بعصبة آخيتهم وإخاؤهم لك بالمعرّة لازمُ
فعلمتُ حين جعلتهم لك دِخلةً أنّي لعِرضي في إخائك ظالم[1]

شعره في ولد لبشار :

أخبرني عمي قال : حدثني المغيرة بن محمد المهلبي قال : حدثني أبو مُعاذ النميري أنّ بشاراً وُلد له ابن ، فلما وُلد قال فيه حماد عجرد :

سائل أمامة يابن بُرْ دٍ من أبو هذا الغلامِ ؟
أمِن الحلال أتت بـه أم من مقارفة الحرام[2]
فلتُخبرنّك أنّـه بين العراقي والشآمي
والآخر الروميّ والنبطيّ أيضاً وابن حام
أجعلتَ عِرسك شِقوةً غرضاً لأسهم كلّ رام

أخبرني أحمد بن العباس العسكري قال : حدثنا الحسن بن عليل العنزيّ قال : حدثني مسعود بن بشر قال : مرّ حماد عجردٍ بقصر شيرين ، فاستظلّ من الحرّ بين سِدرتَين[3] كانتا بإزاء القصر، وسمع إنساناً يغنّي في شعر مطيع بن إياس :

(١) دخلة الرجل مثلثة الدال : بطانته .

(٢) قارف الخطيئة : خالطها .

(٣) السدر : شجر النبق .

أسعداني يا نخلتيْ حُلوانِ ... وأرثيا لي من رَيب هذا الزمانِ
أسعداني وأيقنا أنّ نحساً ... سوف يلقاكما فتفترقان

قال شعراً حين سمع بيتي مطيع :

فقال حماد عجرد :

جعل الله سِدرتيْ قصر شيري ... ن فداء لنخلتيْ حُلوانِ
جئتُ مستسعداً فلم يُسعداني ... ومطيعٌ بكت له النّخلتان

استنجازه محمد بن أبي العباس وعداً :

أخبرني يحيى بن علي إجازةً عن أبيه ، عن اسحاق ، عن محمد بن الفضل السكوني قال : كان محمد بن أبي العباس قد وعد حماد عجردٍ أن يحمله على بغل ، ثم تشاغل عنه ، فكتب اليه حماد :

طلبتُ البذل ممن خُ ... لقتْ كفاه للبذلِ
ومَن يَنفي عن المُمحِ ... ل بالُجود أذى المَحلِ (١)
ألا يابن أبي العبا ... س يا ذا النائل الجزل
أما تذكر يا مولا ... يَ ميعادَك في البغل ؟
وذاك الرّجس في الدار ... جليسٌ لأبي سَهل (٢)
يريك الحزم في الإخلا ... ف الميعاد والَمطل

أخبرني الحسن بن علي قال : حدثنا هارون بن محمد بن عبد الملك قال : حدثنا

(١) المحل : الجدب .
(٢) الرجس : القذر ، عنى به عدواً له .

سليمان المديني قال : كان عثمان بن شيبة مبخّلا ، وكان حماد عجرد يهجوه ، فجاء رجل كان يقول الشعر إلى حماد فقال له :

أعنّي من غناك ببيت شعرٍ ... على فقري لعثمان بن شَيبَه

فقال له حماد :

فإنك إن رضيتَ به خليلا ... ملأْتَ يديك من فقرٍ وخيبه

فقال له الرجل : جزاك الله خيراً ، فقد عرّفتني من أخلاقه ما قطعني عن مدحه ، فصنتُ وجهي عنه .

هجاؤه مطيع بن إياس :

أخبرني عيسى بنُ الحسين الورّاق قال : حدّثنا ابن اسحاق عن أبيه قال : كان حماد عجرد يهوى غلاماً من أهل البصرة من موالي العتيك يقال له : أبو بشر الحلو ابن الحلال – أحسبه من موالي المهلّب – وكان موصوفاً بالجمال ، فأندس له مطيع ابن إياس ، ولم يزل يحتال عليه حتى وطئه ، فغضب حمّاد عجرد من ذلك ، ونَشب بينهما بسببه هجاء ، فقال فيه حماد :

يا مطيع النذل أنتَ الـ ... ـيوم مخذولٌ جهولُ
لا يغرّنك غرورٌ ... ذو أفانين ملول
ليس يحلو الفعلُ منه ... وهو يحلو ما يقول
مذانيٌّ[1] مع الرّيـ ... ـح اذا مالت يميل
وجوادٌ بالمواعيـ ... ـدِ وبالبذل بخيل
ليس يُرضيه من الجعـ ... ـل كثيرٌ أو قليل

(١) المذاني : الكذوب الذي لا يصح وده .

ذاك مـــا اخترتَ خليلاً   بئس واللهِ الخليـلُ
إنمـا يكفيك أن يأ   تيـك في السرّ رسول
ساخراً منـكَ يمنّيـ   ـك أمانيَّ تطـول

وقال في مطيع أيضاً وقد لجّ الهجاء بينهما :

عجبتُ للمدّعي في الناس منزلةً   وليس يصلح للدّنيـا وللدّينِ
لو أبصروا فيك وجه الرأي ما تركوا   حـتى يشدّوك كرهاً شدَّ مجنون
ما نال قطُّ مطيـعٌ فضلَ منزلةٍ   إلا بأن صرتُ أهجوه ويهجوني
ولو تركتُ مطيعاً لا أجاوبهُ   لكان ما فيه مِ الآفات يكفيني
يختار قربَ الفحول المُرد معتمداً   جهلا ويترك قربَ الخرّد العين[1]

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى إجازةً عن أبيه اسحاق قال : قال حمّاد عجرد في داود بن اسماعيل بن علي بن عبد الله بن العباس يمدحه ويعزيه عن ابن مات له ويستجيزه :

إن أرجى الانام عندي وأولا   هم بمـدحي ونصرتي داودُ
إن يعش لي أبو سليمان لا أحـ   ـفِلُ ما كادني به من يـكيد[2]
هدَّ رُكني فقدي أباك فقد شـ   ـدَّ بـك اليومَ ركني المهدود
قائـلٌ فاعـلٌ أبيٌّ وفيٌّ   مُتلفٌ مخلفٌ مُفيدٌ مُبيـد
وفـتى السنّ في كمال ابن خمسيـ   ـنَ دهاء وإربةً بل يزيـد[3]
مِخلَطٌ مِزيـلٌ أريبٌ أديبٌ   راتقٌ فاتـقٌ قريبٌ بعيـد[4]

---

(١) الخرّد : جمع خريدة ، وهي البكر لم تمس ، والعين : جمع عيناء ، وهي الواسعة العين .

(٢) يقال : ما حفله وما حفل به ، أي ما بالى ، ورفع هنا جواب الشرط وهو ضعيف .

(٣) الاربة : العقل .

(٤) رجل مخلط مزيل ، أي يخالط الامور ويزايلها ، والمزيـل : الرجل الكيس اللطيف ، والمزيل أيضاً : الجدل في الخصومات الذي يزول من حجة الى حجة .

وهو الذائد المدافع عني وعزيزٌ ممنعٌ مَن يذودُ

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثني عبد الملك بن شيبان قال: ولّى أبو جعفر المنصورُ محمد بن أبي العباس السفاح البصرة، فقدمها ومعه جماعة من الشعراء والمغنين منهم حماد عجرد، وحكَم الوادي ودحمان، فكانوا ينادمونه ولا يفارقونه، وشرب الشراب وعاث[1]، فبلغ ذلك أبا جعفر فعزله، قال: وكان ابن أبي العباس كثير الطّيب، يملأ لحيته بالغالية[2] حتى تسيل على ثيابه فتسودّ، فلقّبوه أبا الدّبس[3]، وقال فيه بعض شعراء أهل البصرة:

صرنا من الرّبح الى الوَكس اذ ولي المصرَ أبو الدّبسِ
ما شئتَ من لؤم على نفسه وجنسه من أكرم الجنس

أخبرني أحمدُ بنُ عبيد الله بن عمّار قال: حدّثنا علي بنُ محمد النوفلي قال: حدثني أبي قال: كان أبو جعفر المنصورُ يُبغض محمدَ بن أبي العبأس ويُحبّ عيبه، فولّاه البصرة بعقب مقتل ابراهيم بن عبد الله بن حسن، فقدمها، وأصحبه المنصورُ قوماً يعاب بصحبتهم مُجاناً زنادقة: منهم حماد عجرد، وحمّاد بن يحيى، ونُظراء لهم، ليغُضّ منه ويرتفع ابنه المهدي عند الناس، وكان محمد بن أبي العباس محمقاً، فكان يغلف لحيته اذا ركب بأواقٍ من الغالية، فتسيل على ثيابه فيصير شُهرة، فلقبه أهلُ البصرة أبا الدبس؛ قال ولما أقام بالبصرة مدّة قال لاصحابه: قد عزمت على أن أعترض أهل البصرة بالسيف في يوم الجمعة، فأقتل كلّ من وجدتُ، لانهم خرجوا مع ابراهيم بن عبد الله بن حسن، فقالوا له: نعم، نحن نفعل ذلك،

---

(١) عاث: أفسد.

(٢) الغالية: نوع من الطيب مركب من مسك وعنبر وعود ودهن.

(٣) الدبس: عسل التمر وعصارته.

لما يعرفونه منه ، ثم جاءوا الى أمه سلمة بنت أيوب بن سلمة المخزومية فأعلموها بذلك ، وقالوا : والله لئن هَمّ بها ليُقتلنّ ولنقتلنّ معه ، فإنما نحن في أهل البصرة أكلةُ رأس ، فخرجت اليه وكشفتْ عن ثدييها وأقسمتْ عليه بحقها حتى كفّ عمّا كان عزم عليه .

أخبرنا يحيى بن علي بن يحيى إجازةً قال : حدثني أبي عن اسحاق الموصلي قال : كان حمّاد عجرد في ناحية محمد بن أبي العباس السفاح ، وهو الذي أدّبه ، وكان محمد يهوى زينب بنتَ سليمان بن علي[1] ، وكان قد قدم البصرة أميراً عليها من قِبل عمه أبي جعفر ، فخطبها ، فلم يزوّجوه لشيء كان في عقله ، وكان حماد وحكم الوادي ينادمانه ، فقال محمد لحمّاد : قل فيها شعراً ، فقال حماد فيها على لسان محمد بن أبي العباس ، وغنّى فيه حكم الوادي :

صوت

زينبُ ما ذنبي وماذا الذي غضبتمُ منه ولم تُغضبوا[2]
والله ما أعرف لي عندكم ذنباً ففيمَ الهجرُ يا زينبُ ؟
إن كنتُ قد أغضبتكم ضلّةً فاستعتبوني إنني أعتب[3]
عُودوا على جهلي بأحلامكم إني – وان لم أذنب – المذنب

الغناء لحكم في هذه الابيات خفيف ثقيل ، الاول بالوسطى عن عمرو والهشامي وفيه هزَج يقال : إنه لخليد بن عتيك الوادي[4] ، ويقال : لعريب .

(١) هو سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس عم المنصور .

(٢) ولم تغضبوا ، اي لم آت ما يستوجب غضبكم .

(٣) الضلة : الضلال . استعتبه : اعطاه العتبى وهو الرضا . واعتبني فلان : ترك ما كنت أجد عليه من أجله ، ورجع الى ما ارضاني عنه بعد اسخاطه إياي عليه .

(٤) كذا في الاصل ولعله يقال : انه لحكم الوادي . ونص نسخة بولاق المطبوعة : وفيه هزج اظنه لعريب .

أخبرني محمد بن يحيي الصولي قال: حدثنا الحسين بن يحيي أبو الجمان الكاتب قال: حدثني عمرو بن بانةَ قال: كان لمحمد بن أبي العباس السفاح شعر في زينب، وغنّى فيه حكم الوادي:

صوت

قُولا لزينبَ لو رأيـ ـتِ تشوُّفي لك واشترافي[1]
وتلفُّتي كيما أرا كِ وكان شخصك غير خاف
وشممتُ ريحك ساطعاً كالبيت جُمِّر للطواف
فتركتني وكأنما قلبي يغرَّز بالأُشافي[2]

خطبته له:

أخبرني محمد بن يحيي أيضاً قال: حدثني الحارث بن أبي أسامة عن المدائني قال: خطب محمد بن أبي العباس زينب بنتَ سليمان، ثم ذكر مثل هذا الحديث سواء، إلا أنه قال فيه: فقال محمد بن أبي العباس فيها، وذكر الابيات كلها ونسبها الى محمد ولم يذكر حماداً.

قال أبو الفرج مؤلف هذا الكتاب: هذا فيما أراه غَلطٌ من رواته، لما سمعوا ذكر زينبَ ولحنَ حكم، نسبوه الى محمد بن أبي العباس، وقد ذكر هذا الشعر بعينه اسحاقُ الموصلي في كتابه، ونسبه الى ابن رُهيمة وهو من زيانب يونس الكاتب المشهورة، معروفٌ ومنها فيه يقول:

فذكرتُ ذاكَ ليونسٍ فذكرْتُه لأخٍ مُصافِ

---

(١) تشوّف الى الشيء: تطلع وتطاول واشرف. والاشتراف: الانتصاب.

(٢) الاشافي: جمع إشفى بكسر الهمزة، وهو المثقب.

وذكر إسحاقُ أن لحن يونسَ فيه خفيف رمل بالبنصر في مجرى الخنصر ، وأن لحن حكم من الثقيل الاول بالبنصر ، قال محمد بن يحيي : ولمحمد بن أبي العباس في زينب أشعارٌ كثيرة مما غنى فيها المغنون ، منها :

صوت

زينبُ ما لي عنكِ من صبرِ   وليس لي منكِ سوى الهجرِ
وجهكِ والله وإن شفَّني   أحسنُ من شمسٍ ومن بدرٍ[1]
لو أبصرَ العاذل منكِ الذي   أبصرتُه أسرع بالعذرِ

الغناء في هذه الابيات لحكم خفيف رمل بالوسطى .

وأخبرني محمد بن يحيي قال : حدّثنا الغلابي قال : حدثني عبدالله بن الضحاك عن هشام بن محمد قال: دخل دحمان المغني مولى بني مخزوم — وهو المعروف بدحمان الاشقر — على محمد بن أبي العباس وعنده حكم الوادي ، فأحضر محمدٌ عشرة آلاف درهم وقال : من سبق منكما الى صوت يُطربني فهذه له ؛ فابتدأ دحمان فغنى في شعر قيس بن الخطيم :

حوراء ممكورةٌ منعمةٌ   كأنما شفَّ وجهها ترفُ[2]

فلم يهشّ له ، فغنى حكم في شعر محمد في زينب :

زينبُ ما لي عنكِ من صبرِ   وليس لي منكِ سوى الهجرِ

قال : فطرب وضرب برجله وقال له : خُذها ، وأمر لدحمان بخمسة آلاف درهم ، قال : ومن شعره فيها الذي غنى فيه حكم ايضاً :

---

(١) شفه الهم : هزله .

(٢) امرأة ممكورة : مرتوية الساقين .

صوت

أحببتُ من لا يُنصفُ ورجوتُ من لا يُسعفُ
نسبٌ تليد بيننا وودادُنا مستطرَف
بالله أحلفُ جاهداً ومصدّقٌ مَن يحلف
إني لأكتمُ حبها جهدي لما أتخوّف
والحبّ ينطق إن سكَتّ بما أجنّ ويُعرَف

الغناء في هذه الابيات لحكم الوادي، ولحنه ثقيل أوّل. قال: ومن شعر محمد فيها الذي غنى فيه حكم:

صوت

أسعِد الصبَّ يا حكم وأعنه على الألمْ
وأدِرْ في غنائه نغماً تشبه النعم
أجميلٌ بأن تُرى نائماً وهو لم ينم
لائمي في هوايَ زيـنبَ أنصف ولا تَلم
لبس الجسمُ حُلةً في هواها من السقم

غناه حكم، ولحنه هزَج.

وقد أخبرني الحسن بن علي قال: حدّثنا أبو أيوب المديني قال: قال بُرَيه الهاشمي حدثني من حضر محمد بن أبي العباس وبين يديه حماد وحكمٌ الواديُّ يغنّيه، وندماؤه حضور، وهم يشربون حتى سكر وسكروا، فكان محمد أول من أفاق منهم، فقام الى جماعتهم ينبههم رجلًا رجلًا، فلم يجد فيهم فضلًا سوى حماد عجرد وحكم الواديّ، فأنبتها، وابتدءوا يشربون، فقال عجردٌ على لسانه، وغنى فيه حَكم:

أَسعِد الصبَّ يا حكم وأَعِنه على الألمْ
أجميلٌ بأن تُرى نائماً وهو لم ينم

هكذا ذَكر هذا الخبر الحسن ، ولم يزد على هذين البيتين شيئاً .

أخبرني محمد بن يحيى قال : أنشدني أبو خليفة وأبو ذَكوان والغَلّابي لمحمد بن أبي العباس في زينب بنتِ سليمان بن علي :

يا قمر المِربد قد هجتِ لي شوقاً فما أنفكُّ بالمِربدِ
أُراقبُ الفرقد من حُبكم كأنني وُكلتُ بالفرقد [1]
أهيم ليلي ونهاري بكم كأنني منكم على مَوعد
عُلقتُها رياً الشوى طفلةً قريبة المولد من مَولدي [2]
جدّي اذا ما نُسبتْ جدّها في الحسب الثاقب والمحتد [3]
والله ما أنساكِ في خلوتي يا نورَ عينيَّ ولا مشهدي

أخبرني محمد بن يحيى قال : حدثني الحارث بن أبي أسامة قال : حدثني المدائني قال : كان محمدُ بنُ أبي العباس نهايةً في الشدّة ، فعاتبه يوماً المهديُّ ، فغمزَ محمدٌ ركابَه حتى انضغطتْ رجلُ المهدي في الركاب ، ثم لم تخرج حتى ردّ محمد الركابَ بيده ، فأخرجها المهديّ حينئذٍ .

أخبرني محمد قال : حدثنا أبو ذَكوان قال : حدثنا العُتبيّ قال : كان محمد بن أبي العباس شديداً قوياً جواداً ممدّحاً ، وكان ياوي العمودَ ثم يلقيه الى أخته رَيطة فتردّه ، وفيه يقول حماد عجرد :

---

(١) الفرقد : النجم الذي يهتدى به .

(٢) علقتها : أحببتها . ريا : ممتلئة . الشوى : اليدان والرجلان . الطفلة : الرخصة الناعمة .

(٣) المحتد : الاصل .

أرجوكَ بعد أبي العباس إذ بانا ... يا أكرم الناس أعراقاً وعيدانا
فأنت أكرمُ من يمشي على قدمٍ ... وأنضرُ الناس عند المحل أغصانا
لو مَجّ عودٌ على قوم عُصارته ... لَمجّ عودُك فينا المِسكَ والبانا

أخبرني محمد بن يحيى قال: حدثنا الغلابيّ قال: حدثني محمد بن عبد الرحمن قال: لما أراد محمد بن أبي العباس الخروج عن البصرة لمّا عزله المنصور عنها قال:

أيا وقفةَ البين ماذا شببتِ ... من النار في كبد المُغرمِ!
رميتِ جوانحه إذ رميت ... بقوسٍ مُسدّدة الأسهم
وقفنا لزينبَ يومَ الوداع ... على مثل جمر الغضى المُضرَم
فمن صَرف دمع جرى للفراق ... لممتزجٍ بعدَه بالدم

أخبرني محمد قال: حدثنا الفضل بن الحُباب قال: حدثنا أبو عثمان المازنيّ قال: قال حماد عجرد يشبّب بزينبَ بنت سليمان على لسان محمد بن أبي العباس:

ألا من لقلبٍ مستهامٍ معذّب ... بحب غزالٍ في الحجال مُربَّبِ[1]
يراه فلا يسطيع ردّاً لطرفه ... اليه حِذارَ الكاشحِ المترقب
ولولا مليكٌ نافذٌ فيه حُكمه ... لأدنى وصالًا ذاهباً كلَّ مذهب
تغبرْتُ خِلفَ اللهو بعد صِراوةٍ[2] ... فبحت بما ألقاه من حبّ زينب

قال: فبلغ الشعرُ محمد بن سليمان، فنذر دمه، ولم يقدر عليه لمكانه من محمد.

أخبرني محمد بن يحيى قال: حدثني الغلابي عن محمد بن عبد الرحمن قال: مات محمد بن أبي العباس في أول سنة خمسين ومائة، فقال حماد يرثيه بقوله:

---

(١) الحجال: جمع حجلة كرقبة، وهي موضع يزين بالثياب والستور للعروس. مربب: مربّى.

(٢) تغبر الناقة: احتلب غبرها، والغبر: بقية اللبن في ضرع الناقة. والخلف: حلمة الضرع. والصرار: ما يشد فوق خلف الناقة من خيط لئلا يرضعها ولدها.

صرتُ للــدهر خاشعاً مستكيناً بعد ما كنتُ قد قهرتُ الدهورا
حين أودى الامير ذاك الذي كنـ ـتُ به حيثُ كنتُ أُدعى أميرا
كنتُ إذ كان لي أجير بـه الدهـ ـر فقد صرتُ بعده مستجيرا
يأسمى النـبي يأبن أبي العبـ ـاس حققتَ عنـدي المحذورا
سلبتـني الهمـومُ اذ سلبتنيـ ـك سروري فلست أرجو سرورا
ليتني متّ حين موتك لا بـل ليتـني كنت قبلـك المقبورا
أنت ظللتـني الغمامَ بنعما ك ووطّأتَ لي وِطاء وثـيرا (١)
لم تدع اذ مضيتَ فينا نظـيراً مثل ما لم يدع أبوك نظـيرا

خبر موت محمد بن أبي العباس :

حدثنا محمد بن العباس اليزيدي قال : حدثنا أحمد بن زهير قال : حدثنا محمد ابن سلّام الُجمحي قال : كان خصيب الطبيب نصرانياً نبيلاً ، فسقى محمد بن أبي العباس شربـةَ دواء وهو على البصرة ، فرض منها ، وحُمل الى بغداد فمات بها ، واتُّهم خصيب فحبس حتى مات ، وسئل عن علته وما به فقال : قال جالينوس : إن مثل هذا لا يعيش صاحبه ، فقيل له : إن جالينوس ربما أخطأ ، فقال : ما كنت قطّ الى خطإه أحوج مني اليوم ، وفي خصيب يقول ابن قنبر :

ولقد قلتُ لاهلي إذ أتوني بخصيبِ
ليس والله خصيبٌ للذي بي بطبيب
إنما يعرف مـا بي من به مثلُ الذي بي

أخبرني حبيبُ بن نصر وأحمدُ بن عبـد العزيز واسماعيل بن يونس ، قالوا : حدثنا عمر بن شبة قال : حدثني عبد الله بن شيبان وابن داحة ، وأخبرني يحيي بن

---

(١) وثير : لين .

علي بن يحيى إجازة قال: حدثني أبي عن اسحاق قال: لما مات محمد بن أبي العباس طلب محمد بن سليمان حماد عجرد لما كان يقوله في أخته زينبَ من الشعر، فعلم أنه لا مُقام له معه بالبصرة، فمضى فاستجار بقبر أبيه سليمان بن علي، وقال فيه:

من مقر بالذنب لم يوجب الله عليه بسيء إقرارا
ليس إلا بفضل حِلمك يعتدّ بلاء، وما يُعدّ اعتذارا[١]
يابن بنت النبي أحمد لا أجعلُ إلا اليكَ منك الفرارا
غير أني جعلتُ قبرَ أبي أيوبَ لي من حوادث الدهر جارا
وحريٌّ مَن استجار بذاك القبر أن يأمن الردى والعثارا
لم أجد لي من العباد مجيراً فاستجرتُ التراب والاحجارا
لستُ أعتاضُ منك في بغية العزّة قحطان كلها ونزارا
فأنا اليوم جارُ من ليس في الارض مجيرٌ أعزُّ منه جوارا
يابن بيت النبي يا خير من حطت اليه الغواربُ الاكوارا[٢]
إن أكن مذنباً فأنت ابن من كان لمن كان مُذنباً غفارا
فاعفُ عني قدرتَ وخيرُ العفو ما قلتَ كن فكان اقتدارا
لو يطيل الأعمار جارٌ لعزّ كان جاري يطوّل الاعمارا

أخبرني أحمد بن العباس العسكري ومحمد بن عمران الصيرفي قالا: حدثنا الحسن بن عُليل العنزيّ قال: حدثني علي بن الصباح قال: كان محمد بن سليمان قد طلب حماد عجرد بسبب نسيبه بأخته زينب، ولم يكن يقدر عليه لمكانه من محمد بن أبي العباس، فلما هلك محمد جدّ ابن سليمان في طلبه، وخافه حماد خوفاً شديداً، فكتب اليه:

---

(١) البلاء: الانعام.

(٢) الغوارب: جمع غارب، وهو أعلى الظهر، وأعلى مقدّم السنام. والاكوار: جمع كور بالضم: وهو الرحل أو بأداته.

يابن عمّ النبي وابن النـبي لعليّ اذا انتمى وعـليّ
أنتَ بدرُ الدجى المُضي، اذا أظ لم واسودّ كلُّ بـدرٍ مُضي
وحيا الناس في المُحـول اذا لم يُجـدِ غيثُ الربيعِ والوَسمي ١
إن مولاك قـد أساء ومن أء تب من ذنبه فغير مُسي
ثم قـد جاء تائباً فاقبل التو بة منـه يابن الوصي الرضي ٢

قال ومضى الى قبر أبيه سليمان بن علي فاستجار به ، فبلغه ذلك ، فقال : والله لأبلنّ قبر أبي من دمه ، فهرب حماد الى بغداد ، فعاذ بجعفر بن المنصور ، فأجاره فقال : لا أرضى أو تهجو محمد بن سليمان ، فقال يهجوه :

قل لوجه الخصي ذي العار إني سوف أهـدي لزينبَ الاشعارا
قد لعمري فررتُ من شدّة الخو ف وأنكرتُ صاحـبيّ نهارا
وظننتُ القبور تمنـع جاراً فاستجرت الـترابَ والاحجارا
كنتُ عنـد استجارتي بأبي أيـ وبَ أبغـي ضلالةً وخسارا
لم يُجرني ولم أجد فيه حظاً أضرم اللهُ ذلك القبر نارا

قال : وقال فيه :

له حَزمُ بُرغوثٍ وحلم مُكاتب وغُلمـةُ سِنَّورٍ بليل تُولولُ ٣

وقال فيه يهجوه :

يابنَ سليمانَ يا محمـدُ يا من يشتري المكرمات بالسمنِ

(١) الحيا : المطر . المحول : جمع محل ، وهو الجدب . والوسمي : مطر الربيع الاول لانه يسم الارض بالنبات .

(٢) يقول الشيعة : إن النبي صلى الله عليه وسلم أوصى بالخلافة من بعده لعلي كرّم الله وجهه ، فلقبوا علياً بالوصيّ ، وهو أوصى بها لمن بعده ، وهكذا كل إمام وصيّ من قبله .

(٣) تولول : تعول .

إن فخرتْ هاشمٌ بمكرمةٍ فخرتَ بالشحم منك والعُكنِ
لؤمكَ بادٍ لمن يراك اذا أقبلتَ في العارضين والذّقن
ليتك إذ كنتَ ضيقاً نكراً لم تُدع من هاشم ولم تكن
جدَّاك جدَّان لم تُعب بهما لكنما العيبُ منك في البدن

قال : فبلغ هجاؤه محمد بن سليمان فقال : والله لا يُفلتني أبداً ، وإنما يزداد حتفاً بلسانه ، ولا والله لا أعفو عنه ولا أتغافلُ أبداً .

وقد اختلف في وفاة حمّاد .

خبر مقتله :

فأخبرني أحمد بن عبد العزيز قال : حدثنا عمر بن شبة قال : حدثني أبو داحة وعبد الملك بنُ شيبان أن حماداً هرب من محمد بن سليمان فأقام بالاهواز مستتراً ، وبلغ محمد خبرُه ، فأرسل مولًى له الى الاهواز ، فلم يزَل يطلبه حتى ظفر به فقتله غِيلة .

وأخبرني أحمد بن العباس وأحمد بن يحيى ومحمد بن عمران قالوا : حدثنا الحسن ابن عُليل العنزي عن أحمد بن خلّاد أن حماداً نزل بالاهواز على سُليم بن سالم فأقام عنده مدة مستتراً من محمد بن سليمان ، ثم خرج من عنده يريد البصرة ، فمر بشير زاذان في طريقه ، فمرض بها ، فاضطر الى المُقام بها بسبب علته ، فاشتدّ مرضُه ، فمات هناك ودُفن على تلعة[١] ، وكان بشار بلغه أن حماداً عليل لما به ، ثم نُعي اليه قبل موته ، فقال بشار :

لو عاش حماد لهونا به لكنه صار الى النارِ

(١) التلعة : القطعة المرتفعة من الارض .

شعر له وهو يحتضر :

فبلغ هذا البيتُ حماداً قبل ان يموت وهو في السياق[١]، فقال يردّ عليه :

نُبئتُ بشاراً نعـاني ولا ... موت براني الخالـقُ الباري
يا ليتني متّ ولم أهجه ... نعم ولو صرتُ الى النـار
وأيُّ خِزيٍ هو اخزى من ان ... يقـال لي يا سِبَّ بشَّار

قال : فلما قتل المهدي بشاراً بالبطيحة[٢] اتفق أن حُمل الى مـنزله ميتاً ، فدفن مع حماد على تلك التلعة ، فمرّ بهما أبو هشام الباهلي[٤] الشاعر البصري الذي كان يُهاجي بشَّاراً ، فوقف على قبريهما وقال :

قد تبع الأعمى قفا عجردٍ ... فأصبحا جـارين في دارِ
قالتْ بقاعُ الارض لا مرحبا ... بقرب حمـاد وبشَّار
تجاورا بعد تنائيهما ... ما أبغضَ الجار الى الجار
صارا جميعاً في يدي مالكٍ ... في النار والكافر في النار

صوت

هل قلبكَ اليوم عن شنباء منصرفُ ... وأنتَ ما عشتَ مجنون بها كلفُ
ما تُذكَر الدهرَ إلا صدّعت كبداً ... حرّى عليكَ وأذرتْ دمعةً تكفُ

ذَكَر أبو عمرو الشيباني أن الشعر لحُريث بن عنّاب الطائي ، وذكر عمرو بن بانة أنه لإسماعيل بن يسار النساء ، والصحيح أنه لحريث ، والغناء لعريض ثقيل أول بالوسطى عن عمرو ، وذكر الهشامي أنه لمالك .

---

(١) السياق : نزع الروح .

(٢) البطيحة : أرض واسعة بين واسط والبصرة .

اخبار حريث ونسبه

حُرَيث بن عناب (بالنون) ابن مطر بن سلسلة بن كعب بن عوف بن عُنين ابن نائل بن أسودان ، وهو نبهان بن عمرو بن الغوث بن طيّء ، شاعر إسلامي من شعراء الدولة الاموية ، وليس بمذكور من الشعراء ، لانه كان بدوياً مُقلّاً غير متصدٍّ بالشعر للناس في مدح ولا هجاء ، ولا يعدو شعره أمر ما يخصه .

أخبرني بنسبه وما أذكره من أخباره عمي عن الخزنبل عن عمرو بن أبي عمرو الشيباني ، عن أبيه ، وتمام الابيات التي فيها الغناء بعد البيتين الاولين قوله :

يدوم ودي لمن دامت مودّته ... وأصرف النفسَ أحياناً فتنصرفُ
يا ويح كل محبٍّ كيف أرحمه ... لانني عارف صدق الذي يصف
لا تأمنن بعد حُبي خُلة أبداً ... على الخيانة إن الخائن الطرِف [1]
كأنها ريشةٌ في أرض بلقعة ... من حيثما واجهتها الريحُ تنصرف
يُنسي الخليلين طولُ النأي بينهم ... وتلتقي طُرَفٌ شتى فتأتلف

قال أبو عمرو ، قال حريث هذه القصيدة في امرأة يقال لها حُبَّى بنت الاسود من بني بُحتر بن عَتود ، وكان يهواها ويتحدث اليها ، ثم خطبها ، فوعده أهلها أن يزوّجوه ووعدته ألا تجيب الى تزويج إلا به ، فخطبها رجل من بني ثُعل وكان موسراً فالت اليه وتركت حريثاً ، وقد خُيّرت بينهما فاختارت الثعلي ، فتزوّجها ،

(١) الطرف : الرجل الحديث الشرف .

فطفق حريث يهجو قومها وقوم المتزوج بها من بني بُجتر وبني ثُعل ، فقال يهجو بني ثُعل :

بني ثُعل أهلَ الخنا ما حديثكم لكم منطق غاوٍ وللناس منطقُ
كأنكم مِعزى قواصعُ جِرّةٍ[1] من العِيدِ أو طيرٌ بخفان ينعق
ديافية قُلفٌ كأن خطيبهم سراة الضحى في سلحه يتمطق[2]

قال أبو عمرو : ولم يزل حريثٌ يهجو بني بُجتر وبني ثُعل من أجل حُبى ، فبينا هو ذات يوم بخيبر وقد نزل على رجل من قريش وهو جالس بفنائه ينشد الشعر الذي قاله يهجو به بني ثُعل وبني بُجتر ابني عتود ، وبخيبر يومئذ رجل من بني جُشم بن أبي حارثة بن جُدَي بن تدُول بن بُجتر يقال له أوفى بن حُجر بن أسيد ابن حُيي بن ثُرمُلة بن ثُرغل بن خشيم بن أبي حارثة عند بني أخت له من قريش ، فمرّ أوفى هذا بحريث بن عناب وهو يُنشد شعراً هجا به بني بُجتر، فسمعه أوفى وهو ينشد قوله :

وإن أحقّ الناس طُراً إهانةً عَتودٌ يُباريه فريرٌ وثعلبُ

العتود : التيس الهرم . والفرير : ولد الظبية . ويباريه : يفعل فعله . فدنا منه أوفى وقال : إني رجل أصمُّ لا أكاد أسمع ، فتقرّب إلي ، فقال له : ومن أنت ؟ فقال : أنا رجل من قيس ، وأنا أهاجي هذا الحيّ من بني ثُعلٍ وبني بجتر، وأحبّ أن أروي ما قيل فيهم من الهجاء، فأدنوه منه، وكانت معه هِراوة قد اشتمل عليها، فلما تمكن من ابن عناب جمع يديه بالهراوة ثم ضرب بها أنفه فحطمه ، وسقط على

(١) قصعت الناقة بجرتها اذا ردتها الى جوفها أو مضغتها وملأت بهـا فاها . يصفهم بالعي والفهاهة .

(٢) التمطق : التـذوق ، وهو إلصاق اللسان بالغار الاعلى فيسمع له صوت ، وذلك عند استطابة الشيء .

وجهه ووثب القرشي على أوفى فأخذه ، فوثب بنو أخته فانتزعوه من القرشي ، وكاد أن يقع بينهم شر ، وأفلتَ أوفى ودُوريَ ابن عنَّاب حتى صلح واستوى أنفه ، فقال أوفى في ذلك :

لاقى ابن عنَّاب بخيبر ماجدا   يزَعُ اللئام وينصرُ الأحسابا
فضربته بهراوتي فتركته   كالِحلس منعفر الجبين مصابا

قال : ثم لحق أوفى بقومه ، فلما كان بعد ذلك بمدة اتهمه رجل من قريش بأنه سرق عبداً له وباعه بخيبر ، فلم يزل القرشي يطلبه حتى أخذه واقام عليه البينة ، فحبس في سجن المدينة : وجُعلت للقرشي يده ، فبعث ابن عناب الى عشيرته بني نبهان ، فأبوا ان يعاونوه ، وأقبل عُرفاء بني بُحتر الى المدينة يريدون أن يؤدوا صدقات قومهم فيهم حصن وسلامة ابنا معرّض ، وسعدُ بن عمرو بن لأم ، ومنصور بن الوليد بن حارثة ، وجبّار بن أُنيف ، فلقوا القرشيَّ وانتسبوا له ، وقالوا : نحن نعطيك العِوض من عبدك ونرضيك ، ولم يزالوا به حتى قبل وخلَّى سبيله ، فقال حُريثٌ يمدحهم ويهجو قومه الأدنين من بني نبهان :

لما رأيتُ العبد نبهان تاركي   بلمّاعةٍ فيها الحوادثُ تخطرُ [1]
نُصرتُ بمنصور وبابني معرض   وسعدٍ وجبارٍ بل اللهُ يُنصر
وذو العرش أعطاني المودة منهم   وثبتَ ساقي بعدما كدتُ أعثر
اذا ركب الناس الطريق رأيتهم   لهم خابطٌ أعمى وآخر مُبصر
لكل بني عمرو بن غوثٍ رباعة [2]   وخيرُهم في الشرّ والخير بُحتر

وقال أبو عمرو : مرَّ ابن عناب بعدما أسنّ بنسوةٍ من بني قليع وهو يتوكأ على عصاً فضحكن منه ، فوقف عليهنَّ وأنشأ يقول :

---

(١) اللماعة : الفلاة يلمع فيها السراب .

(٢) الرباعة : السيادة .

هزئتْ نساءُ بني قُليع أن رأتْ خلق القميص على العصا يتركعُ
وجعلنني هُزُؤاً ولو يعرفنني لعلمن أني عند ضيمي أروع [1]

خبر إغارته على قوم من بني أسد :

قال أبو عمرو : وكان حريث بن عنَّاب أغار على قوم من بني أسد فاستاق إبلًا لهم ، فطلبه السلطان ، فهرب من نواحي المدينة وخيبر الى جبلين في بلاد طيء، يقال لهما: مُرَّى والشموس حتى غرمَ عنه قومُه ما طلب، ثم عاود وقال في ذلك :

اذا الدين أودى بالفساد فقل له يدعنا وركناً من معدٍ نصادمُهْ
ببيض خفافٍ مرهفاتٍ قواطع لداودَ فيها أثرُه وخواتمه [2]
وزرقٍ كستها ريشها مضرحيةٌ أثيثٌ خوافي ريشها وقوادمه [3]
اذا ما خرجنا خرّت الأكم سُجداً لعزٍ علا حيزومهُ وعلاجمه [4]
إذا نحن سرنا بين شرقٍ ومغربٍ تحركَ يقظانُ التراب ونائمه
وتفزع منّا الإنسُ والجنُّ كلها ويُشرب مهجورُ المياه وعائمه
ستمنع مُرّى والشموسُ أخاهما اذ حكم السلطان حُكماً يُضاجمه

يميل فيه . ويروى : يصاحمه ، وقال أبو عمرو : يصاحمه : يزاحمه . والاصحم منه مأخوذ .

(١) الاروع : الذي يروعك بشجاعته .

(٢) أثر السيف : فرنده وجوهره ووشيه .

(٣) الزرق : النصال . والمضرحية : جمع مضرحي ، وهو النسر او السيد الكريم . والاثيث : الكثير العظم . والخوافي : ريشات اذا ضم الطائر جناحيه خفيت . والقوادم : أربع أو عشر ريشات في مقدّم الجناح .

(٤) الحيزوم هنا : الغليظ من الارض او المرتفع منها . العلاجم : جمع علجم وهو الطويل من الإبل .

فهرس

المجلد الرابع عشر من كتاب الاغاني

اخبار حريث ونسبه

تراجم المجلد الرابع عشر

بدل الاشتراك بكتاب الاغاني

١٥٠	ل. ل.	قيمة اشتراك ٢٥ مجلد بما فيه الفهارس (غلاف)
١٩٠	〃 〃	〃 〃 〃 〃 〃 〃 〃 (مجلد قماش مبصوم بالذهب حسب الطلب)
٢١٥	〃 〃	〃 〃 〃 〃 〃 〃 〃 (〃 جلد 〃 〃 〃 〃 〃 〃)
٦	〃 〃	ثمن المجلد الواحد (غلاف)
٨	〃 〃	〃 〃 〃 〃 (تجليد ومبصوم بالذهب قماش)
٩	〃 〃	〃 〃 〃 〃 (〃 〃 〃 〃 جلد)

اجرة البريد للمشتركين بكامل الكتاب على حساب الدار

الأجزاء الاولى أصبحت محدودة جداً ولا تباع إلا مجموعات

وكلاء التوزيع والاشتراكات

لكتاب الاغاني في العالم العربي

الوكلاء العموميون : **دار الثقافة ومكتبتها** — ص . ب . ٥٤٣٠ — بيروت

مصر والسودان	: **مؤسسة المطبوعات الحديثة**	— شارع مسبيرو	القاهرة
العراق	: **مكتبة المثنى**	— قاسم الرجب	بغداد
شرق الاردن والقدس	: **مكتب التوزيع العربي**	— محمد المحتسب	القدس
المملكة العربية	: **مكتبة دار الفكر**	— عبد الرحمن المنيعي	الرياض
الكويت	: **مكتبة الطلبة**	— عبدالرحمن الخرجي	الكويت
الخليج الفارسي	: **مكتبة الاندلس**	— السادة عيودات	البحرين
عدن	: **احمد سعيد حداد**		المكلا
تونس	: **دار الكتب الشرقية**	— محمد الخوجة	تونس
الجزائر	: **المكتبة الجزائرية**	— شريفي عمرو	الجزائر
المغرب	: **دار الكتاب**	— ساحة المسجد	الدار البيضاء
طنجة	: **المكتبة العصرية**	— نصرالله الحريشي	طنجة
فرنسا	: **المكتبة الشرقية**	— صموليان	باريس

الثمن ٦٠٠ غ . ل . س . او ما يعادلها